دكتور
عبدالهادى عبدالله عطية
كلية التربية - جامعة الإسكندرية
فرع دمنهور

ملامح نقدية
فى الادب العربى

الجزء الثانى

مكتبة بستان المعرفة
لطبع ونشر وتوزيع الكتب
كفر الدوار - الحدائق - بجوار نقابة التطبقيين
٠٤٥ / ٢٢٤٢٢٨

ملامح نقدية
فى الأدب العربى

ملامح نقدية

فى الأدب العربى

الجزء الثانى

دكتور عبد الهادى عبد الله عطية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

فرع دمنهور

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أستاذى

الدكتور أحمد هيكل

أحد جهابذة الأدب والنقد فى مصر

ووزير الثقافة السابق

الذى كان عضواً فى لجنة مناقشة رسالتى للدكتوراه، وأثنى علىّ كثيراً، فهل يكون إهدائى له هذا العمل رداً لبعض جميله علىّ واعترافاً بدماثة خلقه، وكريم طبعه، وجميل أدبه؟

مقدمة

أحمد ربى جل فى علاه، وأصلى وأسلم على محمد بن عبد الله وبعد فهذه نظرات نقدية فى الأدب العربى، تنوعت بين النظر فى الشعر، والبحث فى النثر، وقد بدأتها بعرض سريع للمقامة القريضية، وهى المقامة الأولى فى مقامات بديع الزمان الهمذانى، ثم انطلقت منها إلى النظر فى شعر امرئ القيس، والنابغة الذبيانى، وزهير بن أبى سلمى، وطرفة بن العبد، وجرير بن عطية، والفرزدق، وشعر القدماء والمحدثين، هذه القضية التى أثيرت فى العصر العباسى، وكان لها صدى واسع فى كتب التراث النقد العربى، ثم عرضت المقامة الغيلانية، وتعرضت لها بالنقدى السريع، ثم تعرضت للصلتان العبدى، والبعيث، وذى الرمة بالتأريخ الأدبى، وأخيراً لمست ألفاظ المقامة الغيلانية ونقدتها من حيث صلتها بالشعر القديم، كما فعلت ذلك فى المقامة القريضية.

وفى كل هذا العمل جعلت الشعر أساساً فى عملى فذكرت من الشعر ما يدل على كل فكرة أريد إثباتها أو معنى أريد تناوله بالتحليل، وجمعت شعراً كثيراً فى هذا العمل لعل هذا الشعر يؤكد ما

أريد تأكيده، وتأصيله في هذا العمل، وهو أن الشعر العربي القديم كان على درجة عالية من الذوق الأدبي والفني، وأن الشعراء القدامى كانوا بحسهم الفطري، وإدراكهم الفني، وسليقتهم الشعرية أعظم ما يكونون فناً وموهبة وشفافية وتعبيراً، وأن شعرهم قد عبر عن كل ما يريدون أن يعبروا عنه، فأولى بنا أن ننظر نظرة طيبة لتراثنا العربي العظيم، هذا التراث الذي إن رجعنا إليه، وفهمناه، وأدركنا أبعاده، وتذوقناه فإننا نكون قد وضعنا أيدينا على ثروة هائلة من الفكر، والفن، والتذوق الجميل، الذي أدركه العربي في جاهليته، وسار به العربي، ومحب العربية حتى اليوم يرى التعبير الرائع في اللغة الفصحى الجميلة، وكلما ازداد إدراكاً للغته الفصحى ازداد إحساسه بجمال التعبير في لغة الضاد الجميلة. وأنا أزعم أنني من عشاق لغة الضاد، ومن أنصار التراث القديم، لذا فإنني أرجع إليه دائماً خدمة للغة القرآن الكريم، وأدب العرب.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يعيننا على أن نكمل ما بدأناه في هذه السبيل، إنه من وراء القصد، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور عبد الهادي عبد الله عطية

الفصل الأول

المقامة القريضية

المقامة القريضية

حدثنا عيسى بن هشام قال: طرحتني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصي، فاستظهرت على الايام بضياع أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي النهار، وللحانوت ما بينهما، فجلسنا يوماً نتذاكر القريض وأهله، وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلام بنا ميله، وجر الجدال فينا ذيله، قال: قد أصبتم عذيقه، واوفيتم جذيله، ولو شئت للفظت وأفضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم، وينزل العصم، فقلت: يا فاضل ادن فقد منيت، وهات فقد أثنيت، فدنا وقال: سلوني أجبكم، واسمعوا أعجبكم، فقلنا: ما تقول في امرئ القيس؟ قال: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسباً، ولم يجد القول راغباً، ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتجع للرغبة بنانه، قلنا: فما تقول في النابغة؟ قال: يثلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر إذا رهب، ولا يرمي إلا صائباً، قلنا: فما تقول في زهير؟ قال: يذيب الشعر والشعر يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه، قلنا: فما تقول في طرفة؟ قال: هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أغلاق خزائنه، فقلنا:

فما تقول في جرير والفرزدق؟ وأيهما أسبق؟ فقال: جرير أرق شعراً، وأغزر غزراً، والفرزدق أمتن صخراً، وأكثر فخراً، وجرير أوجع هجواً، وأشرف يوماً، والفرزدق أكثر روماً، وأكرم قوماً، وجرير إذا نسب أشجى، وإذا ثلب أردى، وإذا مدح أسنى، والفرزدق إذا افتخر أجزى، وإذا احتقر أزرى، وإذا وصف أوفى، قلنا: فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم؟ قال: المتقدمون أشرف لفظاً، وأكثر من المعاني حظاً، والمتأخرون ألطف صنعاً، وأرق نسجاً، قلنا: فلو أريت من أشعارك؟ ورويت لنا أخبارك؟ قال خذهما في معرضٍ واحدٍ وقال:

أما تروني أتغشى طمرا
ممتطياً في الضر أمراً مرا
مضطبناً على الليالي غمرا
ملاقيا منها صروفا حمرا
أقصى أماني طلوع الشعرى
فقد عنينا بالأماني دهرا
وكان هذا الحر أعلى قدرا
وماء هذا الوجه أغلى سعرا
ضربت للسرا قبابا خضرا
في دار دارا وإيوان كسرا

فانقلب الدهر لبطن ظهرا

وعاد عرف العيش عندي نكرا

لم يبق من وفري إلا ذكرا

ثم إلى اليوم هلم جرا

لولا عجوز لي بسر من را

وأفرخ دون جبال بصرى

قد جلب الدهر عليهم ضرا

قتلت يا سادة نفسي صبرا

قال عيسى بن هشام: فأنلته ما تاح، وأعرض عنا فراح، فجعلت أنفيه وأثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتني عليه ثناياه، فقلت: الإسكندري والله، فقد كان فارقنا خشفاً، ووافانا جلفاً، ونهضت على إثره، ثم قبضت على خصره، وقلت: ألست أبا الفتح؟ ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين؟ فأي عجوز لك بسر من را؟ فضحك إلي وقال:

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور

لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

المعاني واللغة:

قال الأستاذ الإمام في شرح هذه المقامة:(١)

النوى: ما ينويه المسافر بسفره فهو القائد له يصرفه في المسالك، ويطرحه المطارح، فلم يزل مقصده يرميه في مكان، ثم ينقله فيطرحه في آخر، حتى وطئ جرجان، أي وصلها وداس أرضها، وجرجان تعد اليوم من بلاد التتر المستقلة، استظهر على الأيام: استعان على حوادثها، والضياع: جمع ضيعة، ما تمتلكه من أراضي الزراعة، وأجال يد العمارة: حركها وأعملها في الضياع بإصلاح الفاسد منها وتقوية ما ضعفت مادة إلا نبات فيه، واجتلاب المياه إليها وتنقيتها من كل ما يضر بالزرع،لتعمر بعد ذلك بأنواع النباتات والأشجار الممدة بما تثمره جداول الرزق، وأراد من الحانوت موضع سلعه الذي تباع فيه والمثابة: المرجع كأن الحانوت لم يكن لحاجة إليه وإنما هو مآب له يرجع إليه ليعرف به فيجتمع إليه ما يطلبه، حاشيتا النهار طرفاه الصباح والمساء يكون جلوسه فيهما بالدار وما بينهما من أوساط النهار يصرفها بالحانوت، القريض: الشعر، وتلقاءنا أي على موازاتنا ومقابلتنا، مال الكلام بناميله أي: انحدر بنا في أبواب المعاني انحداره المعروف عند أهله فإن الكلام يكون اندفاعاً بالمتكلمين يكاد يغلبهم على ما لا يقصدون الخوض فيه وذلك معروف عند من له إلمام بالكلام، جر الذيل يكنى به

---

(١) مقامات أبي الفضل وشرحها ص ١ - ٥.

عن العجب والخيلاء كأنه مثل الجدال في تسلطه عليهم بمن حكم فظلم فتاه على المغلوبين له وقد يراد به الإطالة يقال جر الكلام ذيله وبذيله أي طال كأنه ثوب فاض حتى جر ذيله على الأرض، أصبتم وجدتم عذيقه تصغير عذق، بفتح العين، وهو النخلة بحملها، والتصغير للتعظيم، وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر«أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك»، والمرجب من رجب الشجرة إذا دعمها ما يمنعها من الانكسار والسقوط لثقل حملها، والجذيل: تصغير جذل، بالكسر، وهو عود ينصب للجربى من الإبل لتحتك به يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب فيه المثل، وهو به زعيم لا يضعف عن احتماله والنهوض به.

أفضت:من أفاضوا في الحديث إذا اندفعوا فيه أو نحو قولك كلمته فما أفاض بكلمة أى ما أفصح بها أي لو شئت لتكلمت وأفصحت، ولو قلت لأصدرت وأوردت إصدار الإبل عن الماء بعد إبرادها مثل لانقلاب الأذهان راوية بالفهم ثم اهتداء من لم يفهم بهدى من فهم فيرد الحوض الذي ورده فينال من الفهم حظه، وكان أيسر لو قدم أوردت على أصدرت، ينزل العصم: العصم جمع الأعصم وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، أنثاه عصماء، وهي تلزم الجبال دائما ولا تنزل إلا إذا اضطرت وكأن هذا البيان يختطف قلوبها إلي صاحبه فيستنزلها لسماعه وهو مثل مشهور، منيت: أي جعلت لنا فيك أمنية الاستفادة منك، ويصح أن يكون من منى الرجل إذا وافى الحلم وأثنيت من أثنى الرجل إذا ألقى ثنيته وهي إحدى أسنانه

الأربع في مقدم فمه ولا يكون ذلك عادة إلا بعد بلوغ حد الكبر أي إنك بلغت ببيانك مبلغ المحنكين، وقد يكون أثنيت بمعنى أنبأت عن عملك بفصاحة قولك من الثناء، هو أول من وقف بالديار وعرصاتها: أي هو أبرع الشعراء في وصف ذلك والتعبير عما يجده العشاق في مواقفهم بمواطن الأحبة، وكنة الطائر مثلثة الأول وبضمتين عش الطائر أو مأواه بلا عش أو أما في العش فهو وكر، والاغتداء الذهاب وقت الغدوة مقابل الرواح وهو الرجوع وقت المساء، والطير أسبق الحيوان تبكيراً فمن يغتدي وهي في مآويها يكون من أيقظ الناس قلباً وأشدهم دؤباً في همه أي إن امرء القيس أجود الناس ذكراً لذلك في شعره، فضل من تفتق للحيلة لسانه: أي إنه فاق في جودة شعره أولئك الذين ما فتق لسانهم بالقول إلا الإحتيال في كسب المال وما حرك أناملهم بالأقلام لتحبير الخطب والقصائد إلا انتجاعهم أي ذهابهم لارتياد الأرزاق رغبة في تحصيلها. يثلب: أي يسب ويشتم، وحنق أي اشتد غضبه، يذيب الشعر والشعر يذيبه: هذا تمثيل لسهولة الشعر في طبعه وانقياد طبعه للشعر ورقة كل منهما حتى كأن كلاً يذيب الآخر. ويدعو القول والسحر يجيبه: تمثيل لأثر قوله في القلوب بلا تعمد لذلك. فهو إذا دعا القول أي استنزله من قريحته إلى ظاهر لفظه أجابه السحر أي أخذ السحر من لسانه مكان القول فهو يريد قولاً فيكون سحرا. ماء الأشعار وطينتها تصوير لكون شعره مادة الأشعار ومنه كانت نشأتها، أي إن أجله لم يكن كافياً لإظهار ما أسر

في طبيعته من دقائق المعاني ولو عاش دهوراً طوالاً لاطلع الناس منه على ما لا يقاس إليه في الكثرة هذا الذي شاهدوه من أثره أي إن ما قاله ليس شيئاً إذا قيس إلى ما لم يقله، والأغلاق جمع غلق بالتحريك ما يغلق به الأبواب، أغزر: أكثر، وغزراً كثرة أي إن كان للفرزدق غزارة في معانيه فغزارة جرير أعلى من غزارة صاحبه، ثم أتي بتمثيل لتمكن قوافيه واستحكام ألفاظه في معانيه.

ثم بين أنه إذا ذكر أيام قومه ومواقع سلفه دل على شرف رفيع، الروم الطلب: أي أن مطالبه أكثر من مطالب جرير وإذا ذكر قومه ظهرت صفات كرمهم في شعره أكثر مما تظهر صفات كرم قوم جرير في شعره، نسب أي ذكر أوصاف النساء وفعال شمائلهن في قلوب الرجال وأشجى أي ألهب الأفئدة بنيران الأشواق، أردى مثل قوله أوجع هجواً أي إذا هجا أهلك مهجوه. أسنى الشئ رفعه فهو إذا مدح شخصاً رفع منزلته وأعلى مقامه بمدحه. أجزى أغنى بفخره عن غيره فلا يحتاج إلى من ينصره على من يفاخره.

أزرى بمن يحتقره أي وضع منه وألصق النقيضة به. أوفى من أوفى فلانا حقه أعطاه إياه تاما والفرزدق إذا وصف يوفي الموصوف ما يقتضيه من الوصف.

الطمر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف، وتغشاه اتخذه غشاءً أي غطاءً، وممتطياً أي راكباً من امتطى الناقة إذا ركب

مطاها أي ظهرها، والمعدم في فقره كأنما يلاقي من البؤس مثل ما يلاقي راكب الصعبة من التعب والعناء وما يتذوقه من آلام المشاق أشبه بالطعام أو الشراب المر البشع الطعم لهذا وصف الأمر بالمرارة بعدما عده مطية له.

مضطبناً من اضطبنه إذا حمله في ضبنه وهو ما دون الإبط، والغمر بالكسر الغل والحقد أي إني حاقد على الليالي لشدة ما آذتني ببردها ملاقياً منها شدائد نزلت مني منزلة العدو المجتاح، وذكر الحمرة لأن العرب تصف أشد الأشياء أذى بالحمرة فتقول الموت الأحمر والهلاك الأحمر لأنهم يعدون كل من ليس بعربي من الفرس والروم وأمثالهم من جنس الأحمر وكانت الحروب بينهم وبين الحمر لا تنقطع من عهد نشأتهم فوصفوا كل خبيث بالأحمر.

الشعرى كوكب يطلع في الجوزاء وظهوره في شدة الحر، والشاعر يتمنى طلوع الشعرى حتى يسالمه الجو فيستغنى بحرارته عن اللباس والصيف لباس الفقراء، وقد كان من قبل يعني بالأماني الكاذبة من دوام النعيم والازدياد في الترف.

يريد من الحر نفسه ومن الوجه وجهه يريد أنه كان غنياً رفيع المقدار.

السراء المسرة، والرخاء وضرب القباب الخضر في دار دارا ملك الفرس وإيوان أي قصر كسرى أنوشروان أو أزدشير كناية عن إظهار آيات الثروة وشواهد العظمة.

انقلب ظهراً لبطن بمعنى تحول من سرائه لضرائه وما كان معروفاً من العيش أصبح منكراً أي استبدل طيبه المألوف برديئه المكروه، الوفر: الغنى يقول ذهب ثروته إلا ذكرها فهو باق في هاجس نفسه وما يغنيه شيئاً ولم يزل حاله ينجر به في الشدة اليوم.

سر من را بلدة بناها المعتصم العباسي قرب بغداد يدعى أبو الفتح أن له عجوزاً أي زوجة في تلك البلدة وأن له أفراخاً أي أولاداً صغاراً بالقرب من جبال بصرى وهي من مدن سوريا في الشرق الجنوبي من حوران. يريد من الضر الفقر وقوله قتلت جواب لولا وكل من يحبس حتى يقتل يقال فيه قتل صبراً أي لولا العجوز والأولاد لحبست نفسي على أحد أسباب الهلاك حتى قتلتها صبراً. تاح: تهيأ وقدر. ثناياه: مقدم أسنانه.

الخشف: ولد الظبي يقول فارقناه حدثاً جميلاً ووافانا الآن جاسياً غليظاً، والجلف: الجافي الغليظ.

* * *

تعقيب:

- هذه المقامة تعد الصورة المثلى لمقامات الهمذاني، لأنها اتخذت النهج الأمثل للشكل الذي ابتدعه بديع الزمان الهمذاني لمقاماته.

- فقد بدأ المقامة بالرواية عن عيسى بن هشام، وكان الهمذاني قد اتخذ من شخصية عيسى بن هشام راوية مقاماته كلها.

- وهيأ الهمذاني بتمهيد قصير لحكاية المقامة. وهو قوله:

طرحتني النوى مطارحها، حتى إذا وطئت جرجان الأقصى

، فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة

، وأموال وقفتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة

، ووقفة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي النهار

، وللحانوت بينهما.

* * *

- وهذا التمهيد يمثل الجو العام الذي يحاول الهمذاني أن يصفه لنا، والذي يوضح حال الراوية، وظروفه التي يمكن أن تكون لحمة - بضم اللام- بين هذه الظروف، وبين البطل الذي يظهر في هذه الظروف، ليلتقي

بالراوية، فكأن الهمذاني يبين المشاهد العامة التي تهيئ لقاء الراوية بالبطل.

- بداية حكاية القصة التي تشتمل عليها المقامة، وهي بداية انخراط الراوية في قصة المقامة.

وذلك قوله:

فجلسنا يوماً نتذكر القريض وأهله.

- أي إن الراوية قد التقى ورفقته في الحانوت الذي جعله مثابة.

- ظهور البطل في حكاية المقامة ظهورا مشفوعا بالتستر، سواء كان هذا التستر من البطل، لأن البطل يعرف الراوية حق المعرفة، وذلك ما تؤكده المقامات، إذ عرفنا أن الراوية والبطل متعاونان معا، لكنهما قد عقدا شبه اتفاق أن لا يكشف الراوية البطل أمام الناس

وربما اتفقا على أن يسهم الراويه في إنجاح حيلة البطل بأن يظهر نفسه مع الذين يشفقون على البطل، ويمنحونه.

- أو أراد الهمداني هذا الدور للراوية والبطل معا، ولذلك حرص على أن لا يزيح الراوية الستار، أو يكشف النقاب، أو يميط اللثام عن البطل أمام من أوقعهم في حبائله.

* * *

* * *

أو كان هذا التستر الشديد من البطل - هكذا أراد له الهمذاني - حتى لا يعرفه الراوية نفسه، مبالغة في الحيلة من البطل، وجعل الزي، أو الهيئة مما يساعده على إخفاء شخصه الحقيقي عن الناس.

وهنا قد ظهر البطل ظهورا مشفوعا بالتستر، حتى إن الراوية نفسه لم يعرفه، وإنما قال:

وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم.

- اقتحام البطل الحكاية، والولوج فيها بصورة تكاد تكون أشبه بانبجاس الماء، وذلك حتى يلفت أنظار المشاهدين إليه، ويفجأ عقولهم إلى التنبه له، والإنصات الشديد إلى ما يقوله، أو بالأحرى: استراق عقولهم وأفهامهم وآذانهم له وحده، دون غيره.

وذلك في قوله:

حتى إذا مال الكلام بناميله،وجر الجدال فينا ذيله، قال: قد أصبتم عذيقه، ووافيتم جذيله.

- بدأ أولا بإظهار رأيه فيهم، وفي تذاكرهم القريض وأهله، حتى يستثير أذهانهم، ويخطب ودهم.

* * *

وتكون المفاجأة للمشاهدين عندما يعلن لهم ما غاب من فصاحته، وما خفي من بيانه، وما لم يعلموه من علمه بالأدب، والنقد، في المجال الذي يتسابقون فيه.

وذلك قوله:

ولو شئت للفظت وأفضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم، وينزل العصم.

آنئذ يكون رد الفعل لدى المشاهدين، إذ يرغبهم فيما عنده، مظهرا لهم قدره فيما أفاضوا فيه، وكأنه صاحب السبق في هذا المضمار، وله فيه القدح المعلى.

* * *

فينبرى الراوية متعرضا للبطل.

وذلك قوله:

فقلت: يا فاضل، ادن، فقد منيت، وهات فقد أثنيت.

آنئذ يكون الجو مهيئا للبطل، فقد أنصت المشاهدون، ومنحوه آذانا صاغية، وها هي ذي عيونهم قد وقفت عليه، فليقل، وليحدث، وليثر الأذهان، وليتلاعب بالعقول كما شاء.

***

وذلك قوله:

فدنا، وقال: سلوني احبكم، واسمعوا أعجبكم أي عالم هذا الذي جعل نفسه في موقف التصدي لما يخطر على بال هؤلاء المشاهدين من أسئلة؟

هنا أقول: هذا معرض من معارض حديث الهمذاني، يضمنه بعض ما يريد أن يقرره في مجال الأدب ونقده.

وكان لابد لهم أن يسألوا - وحالهم هذه، وحاله أيضا - فسألوه.

وذلك قوله:

قلنا: ما تقول في امرئ القيس؟

وأجاب:

قال: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها.

وسألوه: قلنا ما تقول في النابغة؟

وأجاب: قال: يثلب إذا حنق.

وسألوه: قلنا: فما تقول في جرير والفرزدق،

أيهما أسبق؟

وأجاب: فقال: جرير أرق شعرا، والفرزدق أمتن صخرا.

وسألوه: قلنا: فما تقول في المحدثين من الشعراء،والمتقدمين منهم؟

وأجاب: قال: المتقدمون أشرف لفظا، والمتأخرون ألطف صنعا.

ثم طلبوا منه أن يرى من أشعاره، ويروي من أخباره، وهنا حان الوقت لتنفيذ حيلته، وإلقاء حبائله، لينال.

* * *

وأنا أرى أن هذه المقامة تنم عن شخصية الهمذاني، إذ كيف عرف الراوية أن البطل من حاكة الشعر،وصناع القريض؟ إنهما معا- الراوية والبطل -من نسج خيال أديب واحد ثم يقول البطل: خذهما في معرض واحد.

وقال شعرا:

أما تروني أتغشى طمرا

وفيه حيلته، فهو يتغشى الأطمار، يركب العسرة،ويحمل الحقد على الليالي، من شدة ما يلقى منها من الصروف الحمر،لا يجد كساء حتى إنه يتمنى طلوع الشعرى، ليجلب الدفء إلى جسده، وهي أمنيه الذي يلبس الأطمار، وقد كان قبلا في نعيم، وقد غرق في الأماني الكاذبة بدوام هذا النعيم، إذ كان غنيا ،وكان أيضا مع غناه رفيع القدر، عظيم

المقدار، قد حقن ماء وجهه بعزه، ضاربا القباب الخضر في السراء في أعظم الأماكن مثل دار دارا ملك الفرس، وإيوان كسرى الذي يضرب به المثل، فلما انقلب الدهر به وله ظهر البطن، وتحول عن الغنى إلى الفقر، واستبدل طيبه المعروف إلى الرديء المنكر، فلم يبق من وفره إلى ذكراه، أو ذكره، وصار كذلك إلى اليوم، وها هو ذا يتأهب لزيادة ما ينزله الدهر به، ولولا زوجه العجوز بسر من رأى، وأولاده الصغار الذي يحول بينه وبينهم جبال، وقد جلب الدهر عليهم العسرة، والضر، لولا ذلك لحبس نفسه في مكانه حتى يموت.

* * *

عندئذ يتقدم الراوية أولا لينيل البطل ما تاح في ذلك الوقت.

ولم يخبرنا الهمذاني عن المشاهدين أمنحوه أو لا؟

ثم ينتهي الموقف الذي جمع البطل بالمشاهدين، ويغيب البطل عن أبصارهم.

* * *

ونلمح بعد ذلك إصرارا شديدا من الراوية على معرفة شخص البطل، وهو يقدح زند أفكاره، أيعرفه؟ أم لا؟ فيثبته، وينفيه، وينكره، ويعرفه أخيرا، فيقول: الإسكندري والله، فقد فارقنا صغيرا، ووافانا كبيرا، ثم ينهض الراوية على إثر البطل، ويمسك به قائلا: ألست أبا الفتح؟ فأي عجوز لك بسر من را؟

وهنا يضحك البطل للراوية، وكأنه يعلمه أنه يعرفه، ثم ينشده شعرا:

* * *

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور

لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

أي الزمان زور، وليس حقيقة، أو مموه أو أكاذيب، فلا يخدعك الشيطان، ولا تلتزم حالة واحدة، ولكن كما تدور الليالي در بها ومعها، أو كن كالليالي لا تسير في خط واحد، وإنما في خطوط كثيرة ومتعرجة.

* * *

قال محمد بن سلام الجمحي: سألت يونس النحوي عن أشعر الناس، فقال: لا أومئ إلى رجل بعينه، ولكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب[1].

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ١/٨٧، إرشاد الأريب ٧/٣١٠.

الفصل الثاني

امرؤ القيس

* * *

أما آراؤه النقدية التي وردت في المقامة فهي قوله في امرئ القيس: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدي والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسبا، ولم يجد القول راغبا، ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتجع للرغبة بنانه.

وامرؤ القيس هو حندج،أو عدي، أو مليكة[1] -بصيغة التصغير - بن حجر بن الحارث الكندي، الملك الضليل، أبو الحارث، من ملوك كندة.

وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل، وكليب من بني تغلب. وكان أبوه آخر ملك على بني أسد من المضرية الخاضعين لملوك كندة.

وجده قرين الملوك من لخم وغسان، وجده حجر آكل المرار[2] وهو من قبيلة كندة، ومن بيت السيادة والشرف فيها.

وفي نجد نشأ كما ينشأ أبناء الملوك مولعا بالصيد، ونال حظه من

---

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٧/١، المزهر ٢٦٥/٢، شرح شواهد المغنى ص ٦.

(٢) المرار: بضم الميم، وتخفيف الراء، شجر مر، وسمي حجر آكل المرار لأن ابنة له سباها ملك من ملوك سليح، فقالت له ابنة حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار، يعني كاشرا عن أنيابه، فسمي بذلك، وقيل: إنه كان في نفر من أصحابه في سفر، فأصابهم الجوع، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم.

اللهو والمجانة والفتون،والتف حوله رفاقه في الصيد، والطرد، والغزل، والشراب، فعكف معهم على اللهو، وانقاد للملذات.

وجرى الشعر على لسانه، فقاله فطرة ووراثة عن عمومته، وأخواله، فشبب به حتى بنساء أبيه، فطرده أبوه لذلك، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قول الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فيما يقول الرواة، فكان يسير في أحياء العرب، ومعه أخلاط من شذاذ القبائل، فإذا صادف غديرا، أو روضة، أو موضع صيد أقام وتصيد، حتى ينفد ماء الغدير، ثم ينتقل إلى غيره،وهو في خلال ذلك يشدو بالشعر، فتتناقله الأسواق، والمجامع، ويتسامع به الناس في البوادي والحواضر، ويتفرق على الألسنة في كل مكان.

* * *

وفي هذه الفترة كان شعره تشبيبا، ونسيبا، ووصفا للخيل، والسحاب، ومجالس اللهو والشراب، وفي شعره فصاحة البداوة، وترف الملك، ونضارة النعيم، وبه فتح كنوز الشعر لمن جاء بعده، وهداهم إلى أغراضه، وفنونه، فترسموه، وساروا على طريقته عصورا، وأجيالا، ينتحلون أسلوبه، ويطبعون على غراره، ولكنهم لا يدركون له شأوا.

* * *

قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس[1].

---

(١) الشعر والشعراء ١/١٠٥ - ١٣٦.

* * *

- وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غرة، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان، فقال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

فلما بلغ ذلك حجراً أباه دعا مولى له يقال له ربيعة، فقال له: اقتل امرأ القيس وأتني بعينه، فذبح جؤذرا فأتاه بعينيه، فندم حجر على ذلك، فقال: أبيت اللعن! إني لم أقتله، قال: فأتني به، فانطلق فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبل[2]، وهو قوله:

فلا تتركني يا ربيع لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقاً

فرده إلي أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال:

تطاول الليل علينا دمون

---

(١) صدر المعلقة.

(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ١/٩٨.

دمون إنا معشر يمانـــون

وإننا لأهلنا محبـون[1]

ثم قال: ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر، ثم قال:

خليلي ما في اليـــوم مصحى لشارب

ولا في غد إذ كـان ما كـان مشرب

ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه، فلما كان الليل لاح له برق فقال:

. أرقت لبرق بليل أهل   يضى سناه بأعلى الجبـــل

بقتل بني أسد ربهـم   ألا كل شئ سواه جلل[2]

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع بهم، ونجت بنو كاهل من يني أسد، فقال:

يـا لهـف نـفس إذ خطئـن كاهـلا

القاتلين الملـك الحلاحـلا

تالله لا يذهب شيخي باطـلا[3]

---

(١) الشعر والشعراء ١/١٠٧.

(٢) الشعر والشعراء ١/١٠٨.

(٣) الحلاحل: بضم الحاء الأولى، الشجاع الركين في مجلسه، السيد في عشيرته.

* * *

وبلغ بني أسد ما بيته لهم امرؤ القيس، فأرسلوا إليه وفدا من رجالاتهم فيهم عبيد بن الأبرص الشاعر، وقبيصة بن نعيم، وخيروه بين قتل أشرف بني أسد بيتا، وأعلاها في المكرمات صوتا، وتستل سخيمته بتمكينه من الانتقام، أو الفداء، أو الحرب، فاختار امرؤ القيس الحرب.

وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص:(١)

يا ذا المخوفنـــا بقتـــ ... ـل أبيـــه إذلالا ومينا

أزعمت أنك قد قتلـــ ... ـت سراتنا كذبا ومينا

هلا على حجـــر بن أ ... م قطام تبكي لا علينـا

هلا سألت جمـــوع كنـــ ... ـدة يوم ولوا أيـن أينـا

نحن الألى فاجمع جمـو ... عك ثم وجههـــم إلينا

---

(١) قصيدة في ديوانه في خمسة وعشرين بيتا، مختارات ابن الشجري ٣٩/٢، خزانة الأدب ١٦١/١، ٣٢٢/١، الشعر والشعراء ١٠٨/١، ١٤٣/١ - ١٤٤.

ديوان عبيد ص ٢٧ - ٢٩، مختارات ابن الشجري ٣٩/٢.

سراتنا: أشرافنا، جمع سري، مينا: كذبا، حجر بن قطام: أبو امرئ القيس، جموع كندة: قبيلة امرئ القيس، يريد الجموع التي غزا بها بني أسد، أين أين: أين أين الفرار، الألى: الذين، آلين لا يقضين دينا: أخذت على نفسها عهدا أن تكون هي البادئة بالإغارة، فلا=

واعلـم بأن جيادنـا   آلين لا يقضـين دينـا
ولقد أبحنـا ما حميـ   ـت ولا مبيـح لما حمينـا
هذا ولو قـدرت عليـ   ـك رماح قومي ما انتهينا
كم من رئيس قد قتلـ   ـنـاه وضيـم قـد أبينـا
إنا لعمـرك ما يضـا   م حليفنـا أبـدا لدينـا

فأغار على الكنانيين،وقتل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسد، ثم تبين أنهم ليسوا هم، فقال:

ألا يالهف نفسي إثـر قوم   هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم   وبالأشقين ما كان العقـاب
وأفلتهن علباء جريضـا   ولو أدركنه صفر الوطـاب[1]

=تنتظر حتى يغار عليها، أبحنا ما حميت: اعتدينا عليه، ولم نبال بحمايتك له، لا مبيح لما حمينا: لا يجرؤ أحد أن يقتحم لنا حمى، أو يعتدي على ما منعنا الناس منه، لو قدرت عليك رماح قومي. ما انتهينا: لو أمكنتنا الفرصة لقتلناك كما قتلنا أباك من قبل، الضيم: الذل، لعمرك: لفظ للقسم، أي أقسم بحياتك، الحليف: الناصر والصديق.

(١) الشعر والشعراء ١/١١٦، ١١٢، ديوان امرئ القيس ص ١٣٨ - ١٣٩.

كانوا الشفاء: يعني أن الذي يشفيه مما يجد بقتل أبيه قتل بني أسد، فوضع السلاح في كنانة، وهو يرى أنهم بنو أسد، فتلهف ألا يكون أدرك بني أسد، أي إن بني أسد كانوا شفاء نفسه لو أصابهم، إذ هم قتلة أبيه، الجد: الحظ والبخت، يقول: وقى بني أسد جدهم، وبختهم بقتل بني عمهم كنانة، بني أبيهم: يريد بني كنانة الذي حاربهم يحسبهم بني أسد، ثم كف عنهم حين تبين خطأه، وأسد وكنانة أخوان هما ابنا خزيمة، وهذا البيت وما بعده اشتمل كل واحد منهما على مثلين، وكان الأصمعي يعجب من جودة هذه الأبيات، ويفضلها، أفلتهن:=

ثم تبع بني أسد، فأدركهم، وقتل فيهم قتلا ذريعا، وقال:

قولا لدودان عبيد العصا ... ما غركم بالأسد الباسل
قد قرت العينان من وائل ... ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ ... نقذف أعلاهم على السافل
نطعنهم سلكى ومخلوجة ... كرك لأمين على نابل
إذ هن أقساط كرجل الدبى ... أو كقطى كاظمة الناهل
حتى تركناهم لدى معرك ... أرجلهم كالخشب الشائل
حلت لي الخمر، وكنت امرءا ... عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل[1]

=يعني الخيل التي كانت تطلبه، فلم تدركه، الجريض: الذي يغص بريقه عند الموت، أي غصص الموت، يريد: أفلتهن مجهودا يكاد يقضي، صفر الوطاب: أي هلك فخلا جسمه من روحه، كما يخلو الوطاب من اللبن، وقيل: المعنى أنه يقتل، فتصفر وطابه، أي تخلو ويذهب لبنها، فلا يكون له لبن، لأنه إذا مات فلا شئ له من ماله، صفر: خلا، الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن.

(١) دودان: قبيلة من بني أسد، عبيد العصا: أي لا ينقادون إلا على الضرب والهوان، وأراد بالأسد الباسل أباه،مالك وعمرو وكاهل: أحياء من بني أسد،بنو غنم بن دودان: من بني أسد، سلكي: طعنة مستقيمة أمام الوجه، مخلوجة: مائلة إى يمين أو شمال، كرك: عطفك وردك، اللأمان: السهمان، النابل: الذي يرمي بالنبل، هن: الخيل، وهي مفهومة من مقام الحرب، أقساط: جمع قسط، أي فرق وقطع، الرجل: بكسر الراء، القطعة من الجراد، كاظمة: بلد على الخليج العربي قرب مصب شط العرب، الناهل: الطالب للمنهل لعطشه، المعرك: موضع القتال، الخشب الشائل: الذي ألقى بعضه على بعض في غير نظام، المستحقب: الذي يجعل الشئ في الحقيبة خلفه إذا ركب الإبل، استعارة لمكتسب الإثم، الواغل: الذي يدخل على القوم يشربون الخمر ليشرب معهم دون أن يدعوه.

***

ولكن المنذر ملك الحيرة ألح في طلب امرئ القيس، لعداء قديم، ووجه إليه الجيوش، فتفرق عنه أصحابه خوفا من بطش المنذر وسطوته.

وتحولت حياة امرئ القيس وشعره، فها هو ذا يقول:

أرانـا موضعين لأمـر غيب ... ونسحر بالطعـام وبالشـراب
عصـافير وذبـان ودود ... وأجرأ من مجلحة الذئـاب
فبعض اللوم عاذلتي فإنـي ... ستكفيني التجارب وانتسابـي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابـي
ونفسي سوف يسلبها وجرمـي ... فيلحقني وشيكـا بالتـراب
ألم أنض المطي بكل خـرق ... أمق الطول لمـاع السـراب
وأركب في اللهام المجر حتى ... أنال مآكل القحـم الرغـاب
وكل مكارم الأخلاق صـارت ... إليه همتي وبـه اكتسـابي
وقد طوفت في الآفـاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإيـاب
أبعد الحارث الملك بن عمـرو ... وبعد الخير حجـر ذي القبـاب
أرجى من صروف الدهـر لينا ... ولم تغفل عن الصم الهضـاب

وأعلـــم أنني عمـــــا قريب   سأنشب في شبا ظفر ونــــاب

كما لاقى أبي حجـر وجـــدي   ولا أنسى قتيلا بالكـــلاب[(١)]

* * *

يقول الرواة: إنه أتى السموءل بن عادياء، استودعه أهله وماله، وسلاحه، ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة، فبكى ابن قميئة، وقال له: لقد غررت بنا، يقول امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأي الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصـــرا

فقلت له لا تبــــك عينك إنمــــا   نحاول ملكا أو نموت فعـذرا

إذا قلت هذا صاحب قـــد رضيته   وقرت به العينان بدات آخرا

كذلك جدي ما أصاحب صاحبــا   من الناس إلا خانني وتغيرا

---

(١) موضعين: مسرعين، لأمر غيب: يريد الموت، أو المستقبل المجهول، نسحر: نلهى، أو نغذى، العصافير: ضعاف الطير، المجلح: الجرئ، والأنثى مجلحة، فبعض اللوم: كفى بعض لومك، انتسابي: كوني ذا نسب في الهالكين، عرق الثرى: قيل: هو آدم، وشجت: اتصلت واشتبكت، الجرم: الجسد، الوشيك: السريع، أنضيت الدابة: هزلتها، الخرق: المفازة الواسعة تنخرق فيها الرياح وتشتد، أمق الطول: شديده، اللهام: الجيش الكثير يلتهم كل ما يمر به، المجر: الثقيل، القحم: جمع قحمة، وهي الدفعة، الرغاب: الواسعة، المآكل: المغانم وغيرها مما يظفر به، الحارث بن عمرو: جده، حجر بن الحارث بن عمرو: أبوه، وهما من ملوك كندة، القباب: أبنية من أدم لا تكون إلا للملوك، الصم: المصمتة، الهضبة: الصخرة الراسية الضخمة. شبه أباءه وأجداده بالهضاب والجبال، أنشب: أعلق، شبا كل شئ: حده، الكلاب: واد لبني عامر، قتيل الكلاب: عمه شرحبيل بن الحارث.

ولكنه لم ييأس، فسعى إلى قيصر ملك الروم، وكان عدوا للفرس واللخميين.

وأكرمه ملك الروم، ونادمه، واستمده فوعده ذلك، ويقول:

ونادمت قيصر في ملـــكه فأوجهني وركبت البريـــدا

إذا ما ازدحمنا على سكة سبقت الفرانق سبقا بعيدا

ولكنه - كما قيل - بعث إليه مع رجل من العرب يقال له الطماح بحلة منسوجة بالذهب مسمومة، فلما لبسها أسرع فيه السم، وتنفط جلده، والعرب تدعوه ذا القروح لذلك ولقوله:

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعمى تحولن أبؤسا

فلو أنها نفس تموت جميعـــة ولكنهـــا نفس تساقط أنفســا

وقال الفرزدق:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

قيل: أبو اليزيد هو المخبل السعدي، وذو القروح امرؤ القيس، وجرول الحطيئة(١)

* * *

- ولما صار إلى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل، فأقام بها حتى

---

(١) الشعر والشعراء ١/١٠٥.

مات، وقبر هناك، وقال قبل موته:

رب خطبة مسحنفره وطعنة مثعنجـــره
وجعبـــة متحيـــره تدفن غدا بأنقـــره

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة، فسأل عن صاحبه فخبر بخبرها، فقال:

أجارتنا إن المـــزار قريب وإني مقيم ما أقـــام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريبِ نسيب(١)

وعسيب: جبل هناك.

ولما بلغ السموأل موت امرئ القيس دفع ما خلف عنده من السلاح وغيره إلى عصبته.

* * *

- وكان يعد من عشاق العرب. وكان يشبب بنساء: منهن فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية، وهي التي يقول لها:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل(٢)

---

(١) الشعر والشعراء ١/١٢١.
(٢) من المعلقة.

ويقول لها:(١)

لا وأبيك ابنة العامـــــري لا يدعي القوم أني أفر

ومنهن أم الحرث الكلبية، وهي التي يقول فيها:(٢)

كدأبك من أم الحويـرث قبلها وجارتها أم الربـــاب بمأسل

ومنهن عنيزة، وهي صاحبة يوم دارة جلجل.(٣)

حدث راوية للفرزدق أنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق، هو وأبو شفقل، لأن امرأ القيس كان صحب عمه شرحبيل، وكان شرحبيل بن الحرث مسترضعاً في بني دارم رهط الفرزدق، وكان امرؤ القيس رأي من أبيه جفوة، فلحق بعمه، فأقام في بني دارم حيناً(٤).

★★★

وقال الشعر في جميع أطوار حياته.(٥)

وقد أجمع مؤرخو الأدب على أن امرأ القيس أسبق شعراء العربية

---

(١) من قصيدة في الديوان.
(٢) من المعلقة، مأسل: اسم ماء.
(٣) من المعلقة.
(٤) الشعر والشعراء ١٢٢/١.
(٥) نصوص، أحمد الشعراوي، عبد المقصود السعداوي ص ٥ - ٣٣.

إلى ابتداع المعاني،والتعبير عنها، وأنه افتتح أبوابا من الشعر، ووفق إلى تشبيهات ابتكرها، فكان أول من وقف على الطلول، واستوقف، وبكى، واستبكى، وأول من قيد الأوابد، وشبه النساء بالظباء، والبيض، والمها، والخيل بالعقبان والعصى، وأجاد في التشبيه، وأرق النسيب، وفصل بينه وبين المعنى[1]، وأول من لطف المعاني، وفرق بين النسيب، وما سواه من القصيد، وقرب مآخذ الكلام[2].

وقد ردد الفرزدق لقبه، وهو ذو القروح[3]

ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد[4].

ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية، وكثرة التصريع في غير أول القصيدة[5].

ويرجع الفضل في رواية أشعار امرئ القيس الكثيرة الاضطراب إلى حماد الراوية على وجه الخصوص. كما يرجع بعض ذلك إلى أبي عمرو بن العلاء[6].

---

(١) مقدمة ديوانه تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٦ - ٧.
(٢) العمدة ٧٧/١.
(٣) المزهر ٢٧٦/٢.
(٤) المزهر ٢٩٧/٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.
(٥) نقد الشعر، ص ١٤ وما بعدها، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.
(٦) المزهر ٢٥٣/٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

وزعم الرياشي أن كثيرا من الشعر المدون في ديوان امرئ القيس منحول عليه، وهو لفتيان من أصحابه، مثل عمرو بن قميئة[1].

وكان امرؤ القيس ممن يتعهر في شعره[2] وذلك قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

سموت إليها بعد ما نام أهلها

- وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ.

***

- ويستجاد من تشبيهه قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله:

كأن عيون الوحش حول قبابنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب[3]

---

(١) الموشح ص ٣٤، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١/٩٩.

(٢) الجمحي ١٤، الشعر والشعراء ١/١١٠.

(٣) الجزع: خرز فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين. وهو بفتح الجيم، وحكى فيه كسرها أيضاً، والبيت في اللسان ٩ - ٣٩٨.

وقوله:[1]

كأني غداة البين لما تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقد أجاد في صفة الفرس:

مكر مفر مقبل مدبر معـا كجلمود صخر حطه السيل من عل

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل[2]

- ومما يعاب عليه من شعره قوله:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقالوا: الثريا لا تعرض لها، وإنما أراد الجوزاء، فذكر الثريا على الغلط، كما قال الآخر، كأحمر عاد، وإنما هو كأحمر ثمود، وهو عاقر الناقة[3].

* * *

- قال يونس النحوي: قدم علينا ذو الرمة في سفر، وكان أحسن

---

(١) من المعلقة.

(٢) الأيطل: الخاصرة، يريد أن خاصرتيه لضمورهما كخاصرتي الظبي. السرحان: الذئب، وإرخاؤه: سرعته، وليس دابة أحسن إرخاء من الذئب. التقريب: أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً. التتفل: ولد الثعلب، وهو أحسن الدواب تقريباً، وهو بتاءين مثناتين.

(٣) الذي قال: كأحمر عاد، هو زهير في معلقته، وقد اعتذر عنه المبرد بأن ثمود يقال لها «عاد الأخيرة» وقوم هود هم «عاد الأولى»، شرح ديوان زهير طبعة دار الكتب ٢٠ وشرح التبريزي على القصائد العشر ١١٣ والخزانة ١ - ١٦٢ والأصمعية ٥٥ - ١٥.

الناس وصفاً للمطر، فذكرنا له قول عبيد وأوس وعبد بني الحسحاس في المطر، فاختار قول امرئ القيس[1]:

ديمة هطــــلاء فيها وطف   طبق الأرض تحرى وتدر[2]

- أقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء، إذ أقبل راكب على بعير، وأنشد بعض القوم[3]:

لما رأت أن الشريعة همهــــا   وأن البياض من فرائضهــــا دامـــي

تيممت العين التي عند ضارج

يفئ عليها الظل عرمضها طامي[4]

(١) الديوان ٨٩ - ٩٠ والبيت في اللسان ١٤ - ٧٩ - ٢٢٣.

(٢) الديمة: المطر الدائم في سكون. الهطلاء: الدائمة أيضاً فوق الديمة أو نحوها. الوطف: الغزارة مع الاسترخاء. طبق الأرض: غشاء لها، تطبق الأرض وتعمها، تحرى: تتحرى أي تتوخى وتعمد. تدر: تصب الماء. والبيت في اللسان ١٨ - ١٨٩.

(٣) الديوان ١٨٢، الشعر والشعراء ١/١١١.

(٤) الشريعة: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرشاء. الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة عند نغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان، ترتعدان عند الفزع.

ضارج: جبل، كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٧٨. وذهب صاحب اللسان إلى أنه موضع ببلاد عبس. العرمض، بفتح العين والميم: الطحلب قال في اللسان ٣ - ١٣٩: «همها: طلبها، والضمير في رأت للحمر، يريد أن الحمر لما أرادت ربعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمي فرائصها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين فيه... وطامي: مرتفع». لسان العرب ٩ - ٥٠.

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، هذا ضارج عندكم، وأشار إليه، فمشوا على الركب، فإذا ماء غدق،وإذا عليه العرمض والظل يفئ عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا[1].

★★★

- ومما يتمثل به من شعره قوله[2]:

وقاهم جدهم ببني أبيهم   وبالأشقين ما كان العقاب[3]

وقوله:

صبت عليـــه ولم تنصب من كثب

إن الشقاء على الأشقين مصبوب[4]

وقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) القصة في اللسان ٣ - ١٣٩ ونقلها ياقوت في البلدان ٥ - ٤٢١ - ٤٢٢.
(٢) البيت من أبيات ثلاثة في ديوانه ٥٠ - ٥١ وهي الأصمعية ٤١.
(٣) جدهم: حظهم. ببني أبيهم: يريد بني كنانة الذين حاربهم يحسبهم بنى أسد، ثم كف عنهم حين تبين خطأه، وأسد وكنانة أخوان، هما ابنا خزيمة.
(٤) الكثب: القرب. وفي الديوان ٥٣ «وما تنصب من أمم»، الشعر والشعراء ١١٢/١.

- ومما يتغنى به من شعره: قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل[1]

وقوله:

تقول وقد مـال الغبيط بنا معـاً

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل[2]

وقال أبو النجم يصف قينة:

تغنى، فإن اليوم يوم من الصبي،

ببعض الذي غنى امرؤ القيس أو عمرو

فظلت تغنـى بالغبيـط وميـله

وترفـــع صوتـــاً في أواخـــره كسر

وقوله:[3]

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به بـرد أنيابهـــــا إذا طرب الطائر المستحـر

وكل ما قيل في هذا المعنى فمنه أخذ.

---

(1) يعني المعلقة.

(2) الغبيط: هودج يقبب بشجار، يكون للحرائر.

(3) من قصيدة في ديوانه ٧٧ - ٨٣.

صوب الغمام: ماء السحاب. الخزامى: قال أبو حنيفة: عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج، قال: ولم نجد من الزهرة زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى. القطر، بضم الطاء وبسكونها: العود الذي يتبخر به. قال في اللسان:=

- واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء، فسألهم عن أرق بيت قالته العرب، فاجتمعوا على بيت امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل[1]

وقال:[2]

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

وقال:[3]

من آل ليلى وأين ليلى وخير ما رمت ما ينال

وجده حجر لقب بآكل المرار[4]

=«شبه ماء فيها في طيبه عند السحر بالمدام وهي الخمر وصوب الغمام الذي يمزج به الخمر وريح الخزامى ونشر القطر وهو رائحة العود. والطائر المستحر وهو المصوت عند السحر». لسان العرب ١٤/٦، ٤١٩، ٦١/٧، ٦٦/٢٥ الشعر والشعراء ١١٣/١.

(١) من المعلقة. الأعشار: أعشار الجزور، تقسم في الميسر إلى عشرة أنصباء ثم يجال عليها بالسهام، وهذا مثل. قال ثعلب: أراد بقوله بسهميك هنا سهمي قداح الميسر، وهما المعلى والرقيب، فللمعلى سبعة أنصباء وللرقيب ثلاثة، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها، ولم يطمع غيره في شئ منها، وهي تقسم على عشرة أجزاء. فالمعنى أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان فغلبته على قلبه كله وفتنته فملكته. قال في اللسان: «وجعل السهم الذي له ثلاثة أنصباء الضريب،وهو الذي سماه ثعلب الرقيب. وقال اللحياني: بعض العرب يسميه الضريب وبعضهم يسميه الرقيب. لسان العرب ٦ - ٢٤٩ وشرح التبريزي ٢٣ - ٢٤، الشعر والشعراء ١١٤/١.

(٢) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٤٩.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٦١ - ١٦٣.

(٤) المرار، بضم الميم وتخفيف الراء، والمرار: شجر مر، قال في اللسان: أن حجراً إنما سمي آكل المرار أن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له ابن هبولة، فقالت له ابنة حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار، يعني كاشراً عن أنيابه، فسمي بذلك. وقيل أنه كان في نفر من أصحابة في سفر فأصابهم الجوع، فأبى هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم، ففضل عليهم بصبره على أكله المرار».

* * *

وتدور أغراضه على حوادثه وأخباره من غزله، وذكر مغامراته، وصيده، وفرسه، وطوافه على القبائل، يمدح أنصاره، ويهجو خاذليه وأعداءه، وسفره إلى القسطنطينية، وهذه الأغراض تقوم عنده على الوصف والقصص.

وهو معدود من شعراء الطبقة الأولى، وأبعدهم شهرة، ويمتاز شعره بالجزالة والروعة، والإيجاز، وقد اتفق الراة على تفضيله، وقد أورث الأدب العربي ثروة ضخمة كانت مادة خصبة للغويين، والنحاة، والأدباء، وسبق إلى معان أخذها من جاء بعده من الشعراء.

* * *

قال ابن رشيق في المخترع: وهو ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره، أو ما يقرب منه، كقول امرئ القيس:

كأن قلـوب الطير رطبـا ويابسـا

لدى وكرها العناب والحشف البالي(١)

وله اختراعات كثيرة، وهو أول الشعراء اختراعا في الشعر، وأكثرهم توليدا.

---

(١) الشعر والشعراء ١/١١٠.

هذا البيت في وصف العقاب، كأن قلوب الطير رطبا العناب، ويابسا الحشف البالي، وخص القلوب، لأن فرخ العقاب - فيما يقال - يأكل لحم الطائر ما خلا قلبه، فلذلك كثرت قلوب الطير عندها.

وكان بشار بن برد يقول: لم أزل أحسد امرئ القيس على قوله هذا حتى قال بيتا مقاربا.

وقوله:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل[1]

فابتدع قيد الأوابد.

وقوله في باب التمثيل:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك فى أعشار قلب مقتل[2]

وقال في الإيغال: وليس بين الناس اختلاف في أن امرأ القيس أول من ابتكر هذ المعنى:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب[3]

قال البكري:

وهذا التشبيه من التشبيهات العقم التي لم يسبقه أحد إليها، ولا تعاطاها أحد بعده.

---

(١) قيد الأوابد: عنى بذلك أنه إذا أرسله على الصيد صار قيدا له من شدة عدوه، وقد اقتدى به الشعراء والكتاب فيه، فقالوا: قيد النواظر، وقيد الكلام.

(٢) مثل عينيها بسهمي الميسر، يعنى المعلى، وله سبعة أنصباء، والرقيب وله ثلاثة أنصباء، ومثل قلبه بأعشار الجزور.

(٣) قال البكري: الظباء والبقر عيونها سود في حالة الحياة، فإذا ماتت بدا بياضها، فلذلك شبهها بالجزع الذي فيه سواد وبياض بعدما ماتت، والجزع هو الخرز اليماني فيه سواد وبياض، الشعر والشعراء ١/ ١١٠.

* * *

وله في تشبيهاته طرائق بديعة هو أول من ابتكرها، كتشبيه الإضافة في قوله:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وقد زعم الفرزدق أنه أكمل بيت، أو قال أجمع بيت، وهو أول من فتح هذا الباب.

* * *

وزعم بعض الرواة أن أول استعارة وقعت في الكلام قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

قال الرافعي في هذين البيتين: ليس بخفي أن العربي الذي يجئ بالاستعارة المتمكنة، إنما كان ينظر فيها، ويديرها إدارة بحيث لا تتفق اتفاقا، ولا تجئ عفوا إلا في النادر، ولذلك قل الجيد منها في كلامهم حتى نزل القرآن، فتكون من هذه الجهة اختراعا يدل على قوة غير قوة الفطرة، وهي في امرئ القيس أكثر منها في المأثور من شعر غيره من الجاهلية، وأصفى ماء،وأعذب رواء، وحسب ذلك أن يكون دليلا على

تفضله،وأشهر الاستعارات التي اتفقت له هذا البيتان، فاستعار الليل سدولا يرخيها،وصلبا يتمطى به، وأعجازا يردفها، وكلكلا ينوء به، وقد تنازعها الأدباء حتى جريا مجرى المثل،وقلما نجد كتابا في البيان خاليا منهما.

★★★

كما علل الرافعي أسباب شهرة امرئ القيس في العرب،وبقاء شعره على ألسنتهم،فقال: إنهم يجدون في بعض كلامه رقة المنادمة، وطرب الخمر، وفنون الغزل، وغير ذلك مما هو من حظ القلب، ثم هم يرونه إذا أخذ في غير هذه المعاني يطبع ألفاظه على قالبها من الاستعارة والتشبيه، فإذا قابلوا ذلك بخشونة غيره، وانصرافه إلى أوصاف البداوة وجدوا في شعره كالظل الذي يفيئ، والماء الذي يجرى، والحسن الذي يمتدح، والنسيم الذي يترنح، فكان ولا جرم، وكأنه يستهويهم استهواء، وكان مجموع شعره في البدو حضارة، وفي الحضر بداوة.

★★★

وقال أحد النقاد المحدثين: فضل امرئ القيس في سبقه الشعراء إلى أبواب كثيرة، وتعرفه بمعانيها العديدة، فسن للشعراء طرقا وأساليب تبعوها عن قرب، ولم يزالوا مأخوذين بتلك المطالع الجميلة، من أمثال:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي

وقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فكان أول من وقف واستوقف على الأطلال، وبكى من ذكر الأحبة، وأدخل في الشعر مواضيع الغزل الرقيقة، مع إطالة الوصف، واستبقاء جميع صوره.

★ ★ ★

وكان فضله في ابتكار التعبير فضله في ابتكار المعنى، كقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقوله:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجـــد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالي

وقد سبق إلى معان أخذها من جاء بعده من الشعراء، ومن ذلك قوله:

كميت يزل اللبد عن حال متنه كمـا زلت الصفواء بالمتنزل

أخذه أوس بن حجر، فقال:

يزل قتود الرحـــل عن دأياتهـــا

كما زل عن عظم الشجيج المحارف[1]

وقال:

فعن لنا سرب كأن نعاجـــه عذارى دوار في ملاء مذيل

عكس الصورة في التشبيه المقلوب، ففتح بابه لمن بعده من الشعراء.

وكان له فضل السبق إلى ما يدعونه التشبيه المألوف

مثل قوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد فتبعه الناس.

★ ★ ★

وكان امرؤ القيس لا يتكسب بشعره، ولكنه مدح بني تيم رهط المعلى:

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيـــم مصابيح الظـلام

---

(١) الدايات: أضلاع الكتف، الشجيج: المشقوق الرأس، المحارف - جمع المحرف - وهو الميل الذي تسبر به الجراحات.

لأن المعلى أحسن إليه،وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله بني أبيه.

وقال أيضا لسعد بن الضباب:

سأجزيك الذي دافعت عني وما يجزيك عني غير شكري

فأخبره بأن شكره هو الغاية في مجازاته.(١)

وقال ابن رشيق: فضل علي رضي الله عنه امرأ القيس بأن قال: رأيته أحسن نادرة، وأسبقهم بادرة، وأنه لم يقل لرغبة، ولا لرهبة.

وقدم دعبل امرء القيس بقوله في وصف عقاب:

ويلمها من هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب.

وسئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال الملك الضليل،قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل، يعني طرفة.

وسئل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح، قيل: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب(٢)

---

(١) العمدة ١/٦٤.

(٢) العمدة ١/٧٧.

* * *

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يقول من فضله: إنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى في الدمن، ووصف ما فيها. ثم قال: دع ذا رغبة عن المنسبة، فتبعوا أثره. وهو أول من شبه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف.

أول من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام بن معاوية[1]، وإياه عني امرؤ القيس بقوله:

يا صاحبي قفا النواعج ساعة　　　نبكي الديار كما بكى ابن حمام[2]

وقال أبو عبيدة: هو ابن خذام، وأنشد:

عوجا على الطلل المحيل لعلنا　　　نبكي الديار كما بكى ابن خذام[3]

---

(١) جمهرة الانساب لابن خزم ص ٤٢٥ - ٤٢٦.
ونسبه في المؤتلف للآمدي ١٠ هكذا «امرؤ القيس بن حمام ثم أعاده في ٩٢ وقال في شأنه: ص ١١ «والذي أدركه الرواة من شعره قليل جداً» وقال في ص ٩٢: «درس شعره وذهب إلا اليسير».

(٢) من المعلقة، وفي رواية البيت خلاف كثير. النواعج والناعجات من الإبل: البيض الكريمة.

(٣) المحيل: الذي أتت عليه أحوال وغيرته. وقد اختلف في ابن حمام هذا، فقيل أيضاً «ابن خدام» بالخاء المعجمة والدال المهملة، وقيل غير ذلك. الخزانة ٢:٢٣٤ - ٢٣٥.

- قال: وهو القائل:[١]

كأني غداة البين يوم تحملوا　　لدى سمرات الدار ناقف حنظل

أراد أنه بكى في الدار عند تحملهم، فكأنه ناقف حنظل، وناقف الحنظلة ينقفها بظفره، فإن صوتت علم أنها مدركة فاجتناها، فعينه تدمع لحدة الحنظل وشدة رائحته، كما تدمع عيناً من يدوف الخردل، فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل.

* * *

- فمما أخذه الشعراء من شعر امرئ القيس[٢]:

قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم　　يقولون: لا تهلك أسى وتجمل

أخذه طرفة فقال:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم　　يقولون: لا تهلك أسى وتجلد

---

(١) يريد أن أبا عبيدة يذهب إلى أن البيت الآتي، وهو من المعلقة، أصله لامرئ القيس بن خذام، فأخذه امرؤ القيس بن حجر. وقد صرح بذلك صاحب الخزانة، الشعر والشعراء ١٢٨/١.

(٢) من المعلقة.

- وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب[١]

أخذه النابغة الجعدي فقال:

كأن حواميه[٢] مدبراً خضبن وإن كان لم يخضب

حجارة غيل برضراضة كسين طلاء من الطحلب

- وقال امرؤ القيس يصف الناقة:

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها خذف أعسرا[٣]

أخذ الشماخ فقال:

لها منسم مثل المحارة خفة كأن الحصى من خلفه خذف أعسرا[٤]

---

(١) من قصيدة في الديوان ٣١ - ٤١. الصم الصلاب: حوافر الفرس، شبهها بالصخور الصم. الغيل: الماء الجاري. الوارسات: المصفرات من الطحلب، لونها كلون الورس. اللسان ٨:١٤١، ١٤:٢٥.

(٢) الحوامي: حروف الحوافر من عن يمين وشمال.

(٣) من قصيدة في الديوان ٦٦ - ٧٦. نجلته: رمته بمناسمها. الخذف: رمي الحصى بالأصابع. الأعسر: الذي يعمل بيسراه، فإذا خذف بها فقلما أصاب. اللسان ١٠:٧٠٤.

(٤) المحارة: الصدفة، شبه بها منسم الناقة. وفي اللسان عن أبي العميثل الأعرابي: «المحارة منسم البعير» فهذا على التشبيه، أخذوه كأنه معنى وضعي، ولم يشيروا إلى أصل التشبيه وأنه استعمال شاعر كالشماخ.

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل[1]

أخذه أوس بن حجر فقال:

يــزل قتــود الرحـل عـن دأياتهـا

كما زل عن عظم الشجيج المحارف[2]

ـ وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

له حجبات مشرفات على الفال[3]

---

(١) من المعلقة. يزل اللبد عن وسط ظهره. الصفواء: الصخرة الملساء. اللسان ١٩: ١٩٧، الشعر والشعراء ١/ ١٣٠.

(٢) قتود: جمع قتد، وهو من خشب الرحل. الدأيات: فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير. الشجيج: المشجوج. المحارف: جمع محراف، وهو الميل الذي تسبر به الجراحات. اللسان ١٠: ٣٩٠.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٣٨ - ١٥٦. الشظى: عظيم ملزق بالذراع. عبل الشوى: غليظ القوائم. النسا: قال الأصمعي: «عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر» والشنج: المتقبض، وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه. الحجبات: رؤوس عظام الوركين. الفال: عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل، وأصله «فائل» فأتى به على القلب، أو هما لغتان فيه. اللسان ١٤: ٥٢، ١٩: ١٦٢، ١: ٢٩١.

فأخذه كعب بن زهير[1] فقال:

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

كأن مكان الردف من ظهره قصر

وأخذه النجاشي فقال:

أمين الشظا عاري الشوى شنج النسا

أقب الحشا مستذرع الندفان[2]

- وقال امرؤ القيس:

فلأيا بلاي ما حملنا غلامنا   على ظهر محبوك السراة محنب[3]

فأخذه زهير فقال:

فلأيا بلأي ما حملنا غلامنا   على ظهر محبوك ظماء مفاصله[4]

---

(١) وأخذه أيضاً دريد بن الصمة في الأصمعية ٢٨:٢٥.

(٢) الندفان: سرعة رجل اليدين. الأغاني ١٢:٧٣، الشعر والشعراء ١/١٣١.

(٣) من قصيدة في الديوان ٣١ - ٤١. لأيا بلأي: أي جهداً بعد جهد حملنا غلامنا على الفرس. محبوك السراة: مجدول الظهر. محنب: من التحنيب، وهو احديداب في وظيفي يدي الفرس، وليس ذلك بالاعوجاج الشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة. والبيت في اللسان ١:٣٢٤، ٢٠:١٠٣.

(٤) البيت من قصيدة في ديوانه بشرح ثعلب طبعة دار الكتب المصرية ١٣٣. ظماء مفاصله: ليست برهلة، وإذا كان المفصل ظمآن كان أيبس له.

- وقال امرؤ القيس:

وعنس كألواح الإران نسأتها   على لاحبٍ كالبرد ذي الحبرات(1)

أخذه طرفة فقال:

أمون كألواح الإران نسأتها   على لاحبٍ كأنه ظهر برجد(2)

- وقال امرؤ القيس يصف امرأة:

نظرت إليك بعين جازئة   حوراء حانية على طفل(3)

أخذه المسيب فقال:

نظرت إليك بعين جازئة   في ظل باردة من السدر

- وقال امرؤ القيس يصف الفرس:

يجم على الساقين بعد كلاله   جموم عيون الحسى بعد المخيض(4)

---

(1) من قصيدة في الديوان ٥٧ - ٥٩. العنس: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها. الإران: خشب صلب يشد بعضه إلى بعض. نسأتها: زجرتها وسقتها بالمنسأة، وهي العصا. اللاحب: الطريق الواضح. البرد ذو الحبرات: من ثياب اليمن الموشاة. وصدر هذا البيت أخذه أيضاً شاعر آخر. في اللسان ١:١٦٤.

(٢) ناقة أمون: أمينة وثيقة الخلق قد أمنت أن تكون ضعيفة، وهي التي أمنت العثار والإعياء. البرجد: كساء مخطط ضخم. اللسان ١٦:١٥٣.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٤٩. جازئة: من «جزأ بالشئ» قنع واكتفى به، كاجتزأ. وبقرة جازئة: مكتفية بالكلأ عن الماء.

(٤) من قصيدة في الديوان ١٠٨ - ١١١. يجم عن الساقين: يستريح عليهما بعد تعبه فيذهب إعياؤه. الحسى: حفيرة قريبة القعر في الرمل ينبط ماؤه بارداً عذباً. بعد المخيض: بعد أن مخض بالدلاء، أي أكثر الناس النزع بها منه، اللسان ١٤:٣٧٢.

أخذه زيد الخيل فقال:

يجم على الساقين بعد كلاله　　كما جم جفر بالكلاب نقيب[1]

– قال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد، يعني في قوله وصف الفرس «قيد الأوابد[2]» فتبعه الناس على ذلك.

– وقال غيره: هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال:

منابته مثل السدوس ولونه　　كشوك السيال وهو عذب يفيض[3]

فاتبعه الناس. وأول من قال «فعادى عداء» فاتبعه الناس[4]. وأول من شبه الحمار «بمقلاء الوليد»، وهو عود القلة[5]. و«بكر الأندري»

---

(١) نقيب: منقوب، الشعر والشعراء ١٣٢/١.

(٢) الأوابد: الوحوش. يريد أن هذا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد. وهذا الوصف في المعلقة، الخزانة ١:٥٠٧ – ٥٠٨.

(٣) في الديوان ١٠٤. السدوس، بضم السين: النيلج الأسود، الذي تسميه العامة «النيلة». السيال: شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض، أصوله أمثال ثنايا العذارى. يفيض: يقطر ويسيل، وقيل يبرق، اللسان ٧:٤١٠ و ٨:٣٣٥.

(٤) البيت من المعلقة:

فعادى عداء بين ثور ونعجة　　دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل

اللسان ١٩:٢٦٧، ١٩:٢٦٦ وهو في قصيدة علقمة الفحل، والبيت فيها ٤٧. وكذلك هو مثبت في ديوان علقمة الذي في (مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب) ص ١٣٤. عادي: والي. يقال «عادي بين صيدين وبين رجلين» إذ طعنهما طعنتين متواليتين.

(٥) المقلاء، والقلة، بضم القاف وفتح اللام مخففة: عودان يلعب بهما الصبيان، فالمقلاء: العود الكبير الذي يضرب به، والقلة: الخشبة الصغيرة التي تنصب، وهي قدر ذراع. وهذا التشبيه في بيت في الديوان ١٠٧ واللسان ٢٠:٦١.

والكر:الحبل[1].وشبه الطلل «بوحي الزبور في العسيب[2]». والفرس «بتيس الحلب[3]».

- ومما انفرد به قوله في العقاب[4]:

كأن قلـوب الطيـر رطبـاً ويابسـاً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه شيئين بشيئين في بيت واحد: وأحسن التشبيه.

- وقوله:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل[5]

وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه، ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد. وكان أشدهم إخفاء لسرقة القائل. وهو المعذل:[6]

---

(١) الأندري: الحبل الغليظ. اللسان ٧:٥٤ في شطر من شعر لبيد.

(٢) الزبور: الكتاب المزبور. العسيب: سعف النخل الذي جرد عنه خوصه. وهذه إشارة إلى مطلع قصيدة في الديوان ١٨٦.

(٣) في بيت في الديوان ٤١ واللسان ١:٣٢١ وقال: «شبه الفرس بالتيس الذي تحلب عليه صائك المطر من الشجر، والصائك الذي تغير لونه وريحه».

(٤) في الديوان ١٤٦.

(٥) من المعلقة. التتفل: بنا ءبن مثناتين.

(٦) القصري: الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن. الرثم: الظبي الأبيض الخالص البياض. السالفة: أعلى العنق. الهيق: الظليم، وهو ذكر النعام. ظليم أربد ونعامة ربداء ورمداء: لونها كلون الرماد، وقيل سوداء، والجمع ربد.

له قصريا رئم وشدقا حمامة وسالفتا هيق من الريد أربدا

- ويستجاد من قوله[1]:

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

***

ويعاب في قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول[2]

إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول

قال أبو محمد: وليس هذا عندي عيباً. لأن المرضع والحبلى لا تريدان الرجال . فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصباء وإلهاء.

- ويعاب من قوله[3]:

أغركِ مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وقالوا: إذا كان هذا لا يغر فما الذي يغر؟ إنما هذا كأسير قال لآسره: أغرك مني أني في يديك وفي إسارك وأنك ملكت سَفك دمي!

---

(١) في الديوان ٣٣، الشعر والشعراء ١/١٣٤.
(٢) من المعلقة. التمائم: التعاويذ. محول: أتي عليه حول.
(٣) من المعلقة، الشعر والشعراء ١/١٣٥.

قال أبو محمد: ولا أري هذا عيباً، ولا المثل المضروب له شكلاً، لأنه لم يرد بقوله «حبك قاتلي» القتل بعينه، وإنما أراد به: أنه قد برح بي فكأنه قد قتلني. وهذا كما يقول القائل: قتلتني المرأة بدلها وبعينها. وقتلني فلان بكلامه. فأراد: أغرك مني أن حبك قد برح بي وأنك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلو عني يطعك، أى فلا تغتري بهذا، فإني أملك نفسي وأصبرها عنك وأصرف هواي.

- ويعاب عليه تصريحه بالزنا والدبيب إلى حرم الناس. والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته، قال:

سموت إليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال

فقالت: سباك الله إنك فاضحي

ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت: يمين الله أبرح قاعداً

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حلفت لها بالله حلفة فاجر:

لناموا وما إن من حديث ولا صالي

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت

هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا

ورضت، فذلت، صعبة، أي إذلال

فأصبحت معشوقاً، وأصبح بعلها

عليه القتام سيئ الظن والبال(١)

★★★

ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معاني الشعر في اسلوب القصائد، ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية. وكثرة التصريع في غير أول القصيدة(٢).

ولا يعرف الأدب العربي في العصر الجاهلي أحدا من قالة الشعر، ورواض القريض سبق امرأ القيس فيما أتي به من مقلدات الشعر، وغرر القصائد، وما تصرف فيه من فنون البيان، وابتكره من المعاني والأساليب، واتخذه من مذاهب الكلام.

---

(١) سموت: نهضت، حباب: نفاخات وفقاقيع تطفو على الماء، أحوالي: جمع حول، الصالي: المستدفئ بالنار، القتام: الغبار، الشعر والشعراء ١٣٦/١.

(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٩/١.

وهو عند النقاد من القدماء أول من فتح أبواب الشعر، وجلا أبكار المعاني، وقرب المآخذ ونوع الأغراض، وافتن في المقاصد، ووصف الخيل، وبكى النؤى والديار، وهو أيضاً صاحب مذهب اخترعه، وجوده، وانفرد به، وأتى في التشبيه المصيب، والاستعارة القريبة بأشياء تابعته فيها الشعراء، وعد العلماد شعره في ذلك مثل يقاس عليه، ويحتكم في السبق والتخلف إليه.

وعند أصحاب اللغة، وعلماء العربية صاحب مذهب لغوي، اختار لشعره اللفظ المحبر، والأسلوب المتنخل، وأفرغ كلامه في قالب اختص به وأصبح دليلا عليه، فجاء شعره على الأسماع منسجما منغوما رائعا، وجرى على الألسنة عذبا سائغا سلسالا.

وفي جميع أطوار حياته، منذ حداثته وطراءة سنة، إلى آخر أيامه، قال الشعر، وصاغ القريض،وتناقلته الأسواق والمجامع، وتسومع به في البوادي والحواضر، وتفرق على ألسنة الناس في كل مكان[١].

* * *

وَيعد امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية،والمقدم في الطبقة الأولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم، وهو - وإن كان راوية أبي دؤاد الإيادي، وخاله مهلهل - لم يسبقه على مبلغ علمنا إلى طرق كثير من أبواب

---

(١) تصدير ديوان امرئ القيس ص ٥ - ٧.

الشعر، والإفاضة أحد، فهو أول من أجاد القول في استيقاف الصحب، وبكاء الديار، وتشبيه النساء بالظباء، والمها والبيض، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد، وترقيق النسيب، وتقريب مآخذ الكلام، وتجويد الاستعارة وتنويع التشبيه، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك، ويغلب على شعره التشبيب، والوصف أيام صبوته، وبث الشكوى، وتنكر الخلان زمن محنته، وقد يفحش في تشبيبه بالنساء، وفي حديثه عنهن ويشم من شعره رائحة النبل، وتلمح فيه شارات اليسار، والسيادة، والملك، ومن ذلك قوله:

فظل العذارى يرتمين بلحمها   وشحم كهداب الدمقس المفتل

وقوله:

وظل طهاة اللحم ما بين منضج   صفيف شواء أو قدير معجل

وقوله:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني ولم أطلب قليل من الماء
ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

★ ★ ★

وشعره - وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة، وخشونة الألفاظ، وتجهم المعاني - تراه يخطر أحيانا في حلل من حسن

الديباجة، وبديع المعاني، ودقة النسيب، ومقاربة الوصف، وسهولة المأخذ، مما كان منه لخلفه أجمل مثل حاكوه في ترقيق شعرهم، وحسن تأتيهم في تصوير معانيه.

فمن النوع الأول قوله في وصف محبوبته:

وإن هي تمشي كمشي النزيـــف يصرعه بالكثيب البهر
برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر

وقوله في معلقته:

وفرع يغشى المتن أسود فاحم أثيت كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل
ويعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

* * *

ومن النوع الثاني:

كأنَ عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

* * *

وقوله:

أغرك مني أن حبك قاتلي   وأنك مهما تأمري القلب يفعل

* * *

وفي شعره السائر مسير الأمثال قوله:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شئ سواه بخزان

وقوله:

فإنك لم يفخر عليك كفاخر   ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالإياب[1]

* * *

وقد ذكره - النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هو قائد الشعراء إلى النار، أو ومعه لواء الشعراء إلى النار.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فيه: ذاك رجل مذكور في

---

(١) شرح مقامات بديع الزمان ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجئ يوم القيامة ومعه لواء الشعراء إلى النار.

وذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: سابق الشعراء، خسف لهم عين الشعر[1].

***

أما قول الهمذاني على لسان البطل عن امرئ القيس:

هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها. فهأنذا أوضح ذلك بأمثلة من شعر امرئ القيس.

أولا: أول من وقف بالديار وعرصاتها:

***

قال امرؤ القيس في الوقوف بالديار:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول وحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمال

(١) الشعر والشعراء ١٢٦/١،عيون الأخبار ١٤٣/١ - ١٤٤ الإصابة ٢٤٩/٤، الأغاني ١٢٣/٧،معجم البلدان ٤٢١/٥،تاريخ ابن الأثير ٢١٨/٢، تاريخ بغداد ٣٧/٩.

ترى بعر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وإن شفائي عبرة إن سفحتها وهل عند رسم دارس من معول

كدينك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

ففاضت دموع العين مني صبابة

على النحر حتى بل دمعي محملي(١)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨ - ٩.

السقط: منقطع الرمل، واللوى: حيث يلتوي ويرق، وإنما خص منقطع الرمل وملتواه، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية، وأمكن لحفر النؤى، وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوي ويرق. والدخول وحومل: بلدان.

توضح والمقراة: موضعان، «يعف» يدرس، الرسم: الأثر، الجنوب: الريح القبيلة، الشمال: الجوفية، «نسجتها» تعاقبت عليها فمحت آثارها، «لم يعف رسمها»: تغير لتقادم عهده، وبقيت منه آثار تدل عليه، منعها من أن تذهب ألبتة اختلاف الريحين عليه؛ فكلما رمسته هذه ودفنته - بما هالت عليه من الرمل - سرت عنه الأخرى وأظهرته، فهو - وإن تغير أثره - باق، فنحن ننظر إليه ونحزن، ولو ذهب كل الذهاب لاسترحنا ولم ننظر إلى ما يحزننا، وأنث ضمير المنزل في قوله: «رسمها»، لأنه في معنى الدار والمنزلة.

الآرام: الظباء البيض،يعني أن الدار أقفرت من أهلها وصارت مألفاً للوحش فبعرها فيها.

السمر: شجر أم غيلان؛ وهي شجر الصمغ العربي. والناقف: المستخرج حب الحنظل، والحنظل له حرارة تدمع منها العين؛ فشبه ما جرى من دمعه لفقد أهل الدار بما يسيل من عين ناقف الحنظل، وإنما خص ناقف الحنظل، لأنه لا يملك سيلان دمعه كما لا يملكه من اشتد شوقه وحزنه.

=

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحي الجميع فهيجت عقابيل سقم من ضمير وأشجان
فسحت دموعي في الرداء كأنها كلي من شعيب ذات سح وتهتان
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شئ سواه بخزان[1]

= المطي: الإبل؛ وقفت الدابة، أي حبستها.

«عند رسم دارس»، وقد قال: «لم يعف رسمها»، فإنما يريد أنه قد درس ولم يذهب كله، والمعول هنا: من العويل والبكاء، وأنه يقول: واعولاه! ويحتمل أن يكون من التعويل على الشئ، أي أن البكاء على الرسوم لا يجدي شيئاً، فلا ينبغي أن يعول عليه.

الدين: الدأب؛ وهو العادة؛ أي لقيت من هذه ما كنت تلقى من أم الحويرث، وهي هر أخت الحارث بن حصين بن ضمضم. ومأسل: موضع.

الصبابة: رقة الشوق. والمحمل: سير يحمل به السيف؛ وأراد أنه بكى بكاء شديداً حتى بل دمعه محمل سيفه.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨٩ – ٩٠

«وعرفان» أي ما عرف من علامات الدار، فدعاه إلى الوقوف والبكاء. «عفت آياته» أي تغيرت ودرست علامته.

«أتت حجج» يصف قدم الدار وبُعد أهلها بالأنيس حتى تغيرت رسومها، ودرست آثارها، فأصبحت كالكتاب في الخفاء والدقة. والزبور: اسم للكتاب؛ وإنما يشبهون الرسوم بالكتاب، لأنها تدل على مواضع الديار وتبينها كما يدل الكتاب على المعنى المراد، ويعبر عنه مع دقته وحقرة حروفه. =

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

لمن الديار عفون بالحبس ... درست وتحسب عهدها أمس

كيف الوقوف بها خلق ... أم ما سؤال جنادل خرس

دار لفاطمة التي تبلت ... قلبي وتيم حبها نفسي

إن تغد في دوني نناع فقد ... أصبى فتاة الحي بالأنس[1]

***

= «الجميع» المجتمعون مرتبعهم. والعقابيل: البقايا، ولا واحد لها، ويقال: هي وجع في الفؤاد، يقول: ذكرتني هذه الرسوم اجتماع الحي، فهيج ذلك بقايا سقمي وقواها. وقوله: «من ضمير» أي كنت نوي على ما بقى من سقمي لفراقهم إلى أن هيجته الدار فأظهرته ولم أستطع إخفاءه.

«فسحت دموعي أي سالت وصبت كما يسح المطر، وشبه ذلك بما يسيل من كلى الشعيب؛ وهي المزادزكلاها: رقع تكون في أصول عراها، وأكثر ما يسيل الماء منها. والتهتان: السيلان؛ و أيضاً مطر ضعيف.

إذا كان المرء لا يحفظ سره فهو أحرى ألا يحفظ سر غيره. «يخزن» يستر ويحفظ، وكنى باللسان عن الذي يحفظه ويذيعه.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٤٣.

عفون، أي درس الحبس: مكان، عهدها، أي عهدك بها.

الجنادل: الحجارة الواحدة جندلة؛ والكثير الجندل.

«تبلت» أي كأنطالبته بتبل؛ وهو الثأر والترة والطائلة؛ وكله واحد، «وتيم»، أي وذلل حبها نفسي. تغد أوترسلي وتسبلي واحد.

* * *

وقال امرؤ القيس أيضا في الوقوف بالديار:

ديار بها الظلمان والعين تعكف وقفت بها تبكي ودمعك يذرف

يهيج حزنا من ضميرك داخلا تذكر ليلى بعد غرب يكفكف

لقد راعني ظبى تعرض مطفل أغن عليه حليه يتشوف[1]

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣٢٣.

الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام. والعين: بقر الوحش، والذكر أعين، والأنثى عيناء؛ «تعكف» أي تلزم هذه الديار فلا تبرحها، «يذرف»، يسيل ويجري.

الغرب: الدلو الكبيرة، والجمع غروب، «يكفكف»، أي يكف.

راعني، أي أفزعني، والروع: الفزع. وقوله: «مطفل»، يعني معه ولده. وهو طفله؛ وأكثر ما يقال «مطفل» للأنثى من الظباء، وإنما يريد ها هنا مطفلا، أي شبب بها، فذكر ولدها، أغن: يريد في صوته غنة، وهي شبيهة بالبحة، يتشوف: يكون يجلو نفسه في حليه، وفي معنى يتقرب ويتشوق.

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال

وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال

ديار لسلمى عافيات بذي خال ألح عليها كل أسحم هطال[1]

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة فبرقة العيرات

فغول فحليت فنفء فمنعج إلى عاقل فالجب ذي الأمرات

ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

أعني على التهمام والذكرات يبتن على ذي الهم معتكرات

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٧.

دعاء للطلل بالنعيم، وأن يكون سالماً من الآفات - وهذا من عاداتهم - كأنهم يعنون بذلك أهل الطلل. «وهل يعمن»، يقول: قد تفرق أهلك وذهبوا فتغيرت بعدهم عما كنت عليه، فكيف تنعم بعدهم! وكأنه يعني بذلك نفسه، فضرب المثل بوصف الطلل، ويقال: وعم يعم في معنى نعيم ينعم.

«سعيد مخلد» يريد المخلد في الدنيا بسعادة الجد. والأوجال: جمع وجل، وهو الفزع.

الأحوال: الأعوام. يقول: كيف يتعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال! أي من ثلاثة أحوال. وتكون: «في» أيضاً بمعنى «مع» ها هنا

الأسحم: السحاب الأسود. والهطال: المطر الدائم، يصف أن هذه الديار قد تعفت ودرست لإلحاح المطر عليها ولزومه إياها.

بليل التمام أو وصلن بمثله   مقايسة أيامهـا نكـرات

أرن على حقب حيال طروقة   كذود الأجير الأربع الأشرات(١)

***

وقال امرؤ القيس أيضا في الوقوف بالديار:

لمن طلل أبصرته فشجاني   كخط زبور في عسيب يمان

ديار لهند والرباب وفرتني   ليالينا بالنعف من بدلان

ليالي يدعونني الهوى فأجيبه   وأعين من أهوى إلى رواني(٢)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٧٨ - ٧٩.

البكرات: جبيلات بطريق مكة، كأنها شبهت بالبكرات من الإبل. والبرقة: أرض فيها حجارة ورمل. والعيرات هنا: مواضع الأعيار جمع عير وهو حمار الوحش، وعارمة: موضع. وغول وحليت ونف، ومنعج كلها مواضع. وعاقل: : جبل. والأمرات: الأعلام، واحداها أمرة، وهي الجبيل الصغير؛ وهي مثل الصوى. وصف أن الديار التي غشيها مستقرة بين هذه المواضع.

«ظللت ردائي فوق رأسي»، أي لما غشيت الديار فوجدتها مقفرة متغيرة قعدت متذكراً باكياً ما تنقضي دموعي، «أعد الحصى» يصف أنه كان يعبث بالحصي ويقلبه بين يديه، وهو من فعل المحزون المتحير.

«أعني على التهمام»، أي ساعدني على مقاساة همومي. والذكرات: أي ما يتذكره من أحبته فيهيج حزنه وهمه. «معتكرات»، أي دائمات متتابعات.

«بليل التمام»، أي تبيت الذكرات والهموم متتابعات على في ليل التمام، وهو أطول الليل. «أو وصلن بمثله» يريد: أو وصلت الهموم والذكرات بليل التمام في الطول. «مقايسة أيامهم» أي قد قيست أيام همومي بلياليها في الشدة والإنكار، وهو كقوله: «وما الإصباح فيك بأمثل». وقوله: «نكرات» أي شديدات منكرات، ونصبها على الحال من الأيام.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٨٥.

يقول نظرت إلى هذا الطلل فشجاني، أي أحزنني «كخط زبور»، أي قد درس وخفيت=

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألما على الربع القديم بعسعسا كأني أنادى أو أكلم أخرسا

فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرسا

فلا تنكروني إنني أنا ذاكم ليالي حل الحي غولا فألعسا

فإما تريني لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أكب فأنعسا

تأويني دائي القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا(١)

= آثاره فلا يرى منه إلا مثل الكتاب في الخفاء. والزبور: الكتاب. «في عسيب يمان» كان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم. ويروي: «في عسيب يمان» على الإضافة، أي في عسيب رجل يمان.

«ديار لهند»، ذكر أن الطلل، كانت هند وصواحبها مقيمات فيه زمن المرتبع، «لياليناً بالنعف»، أي كانت هذه الديار لهند وصواحبها في أيام وليال كانت تجمعهن مع امرئ القيس يلهو بهن. والنعف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن الوادي. وبدلان: اسم موضع؛ وصف أن منازلهم كانت له.

«يدعوني الهوى فأجيبه»، أي أسرع إليه وأتابعه، وقوله: «روان» دائمات النظر في سكون؛ وإنما يريد أنهن كلفات به، مائلات إليه، لا يرمين أبصارهن إلى غيره.

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٠٥.

يقول لصاحبيه: ألما على الربع، أي انزلا عليه مساعدة لي حتى أساله عن أهله، ثم أخبر أنه ناداه فلم يجبه فقال: كأني أنادي أو أكلم أخرس، والأخرس: الذي لا ينطق. وعسعس: اسم موضع.

ثم بين أن هذه الدار خالية لا أنيس بها يستقر عندها فقال: لو أن أهل الدار فيها كعهدنا، أي كما عهدنا زمن المرتبع وجدت مقيلا، أي نزولا في القائلة ومعرساً، و[illegible]زول=

★★★

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

وقال أيضاً وكان بينه وبين سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة قرابة،فأتى امرأ القيس يسأله فلم يعطه شيئاً،فقال سبيع أبياتاً يعرض بامرئ القيس فيها ويذمه، فقال امرؤ القيس مجيباً له على ذلك:

لمن الديار غشيتها بسحام فعمايتين فهضب ذي أقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر تمشي النعاج بها مع الآرام
دار لهند والرباب وفرتنى ولميس قبل حوادث الأيام
عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام
أو ما ترى أظعانهن بواكرا كالنخل من شوكان حين صرام

= في أول الليل أو في آخره للاستراحة.

«فلا تنكروني» كأنه يخاطب أهل الدار فلما أتاها فلم يجد بها ما يوافقه ويسره، «إنني أنا ذاكم» أي الذي عرفتم وصحبتم زمن المرتبع إذ كان الحي يحل غولاً فألعس، وهما موضعان ارتبعوا فيهما.

«فإما تريني لا أغمض ساعة»، يصف أن فيه منها داء يمنعه النوم، فلا ينام منه شيئاً إلا أن يكب فينعس. والإكباب ملازمة الشيء مع انعطاف عليه وانحناء.

تأويني دائي:جاءني مع الليل،يعني أنه كان سلا،ثم تذكر فعاود وجده وأسفه، وإنما خص الليل بذلك لأن الانسان ينفرد فيه بنفسه،ويتفرغ لذكره وهمومه،فغلسا:أتاه ليلاً في الغلس، وهو الظلمة، فأنكسا من نكس المرض، وهو الرجوع إليه بعد البرء، يرتد: يعود على برء.

حور تعلل بالعبير جلودها بيض الوجوه نواعم الأجسام

فظللت من دمن الديار كأنني نشوان باكره صبوح مدام

أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام

وكأن شاربها أصاب لسانه موم يخالط جسمه بسقام(١)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ١١٤ - ١١٥.

«لمن الديار»، كأنه لما ألم بها فرآها متغيرة عن حاله تنكرت عليه، فمال عنها، ثم تبين له بعد استثباته أنها دار لهند وصواحبها. وسحام اسم موضع أو جبل، وعمايتان: جبلان. والهضب: جمع هضبة؛ وهي قطعة من الجبل مرتفعة: وذو أقدام: جبل؛ وصف أن هذه الديار بين هذه المواضع.

صفا الأطيط وصاحتان وغاضر: كلها مواضع؛ وصف أن هذه الديار قديمة العهد بالأنيس، والنعاج تمشي مع الآرام. يقول: هذه الديار لهند وصواحبها؛ إذ نحن جيرة قبل أن تحدث الأيام الفراق.

«عوجا» أي اعطفا رواحلكما، وعوجا على الطلل المحيل؛ يعني الذي أتى عليه حول فتغير. «لأننا» بمعنى «لعلنا». وابن خذام: رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس وبكى عليها. ويروى: «ابن حذام»، و «ابن حمام».

«كالنخل من شوكان» شبه الأظعان في ارتفاع هوادجهن واختلاف ألوانها بالنخل الذي حان صرامه. وشوكان: موضع كثير النخل ناعمه.

«حور تعلل بالعبير»، أي يطيبن بالزعفران مرة بعد مرة. والعبير: الزعفران عند أكثر العرب؛ وهو أيضاً اخلاط من الطيب فيها زعفران، والحور: جمع حوراء؛ وهي الشديدة بياض الحدقة والشديدة سوادها.

«فظللت في دمن الديار» يصف أنه أقام في تلك الديار حيران أسفاً لما رأي من تغيرها، فشبه نفسه بالنشوان لذلك.

«أنف»، أي مستأنفة أول ما فتقت وأخرجت من الدن، وشبهها بدم الغزال في شدة حمرته، وخص الغزال لأن دمه - فيما يذكر - أشد حمرة من غيره. وعانة: قرية بالجزيرة. وشبام: اسم قرية.

«أصاب لسانه موم»، يريد أن شارب الخمر إذا سكر يذهب عقله ويخلط في كلامه ولا ينطلق لسانه؛ فكأن به موماً، وهو البرسام والبلسام أيضاً، وهي علة يهذي بها.

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

يا دار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
صم صداها وعفا رسمها واستعجمت من منطق السائل(١)

***

وقال أمرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألا انعم صباحا أيها الربع وانطق
وحدث حديث الركب إن شئت واصدق
وحدث بأن زالت بليل حمولهم
كنخل من الأعراض غير منبق

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ١١٩.

الحائل: موضع. والخبتان: أرض فيها لين. والسهب: المستوى من الأرض. وعاقل: جبل باليمامة.

«صم صداها»، هذا مثل ضربه للدار؛ ويقال: أصم الله صداه؛ أي سمعه؛ وإنما يريد أنها مقفرة لا أنيس بها فيسمع صوته. ويحتمل أن يكون الصدى هنا: الصوت الذي يجيبك بمثل الذي تتكلم به؛ وهو الذي يسمى بابنة الجبل؛ فيكون المعنى أنه لا أحد بها؛ يجيبه الصدى. وقوله: «واستعجمت» أي لم تتكلم ولم تحر جواباً؛ وإنما يريد أن من ألم بها فسأل عن حال أهلها لا يجد جواباً.

جعلن حوايا ، واقتعدن قعائدا   وحففن من حوك العراق المنمق
وفوق الحوايا غزلة وجآذر   تضمخن من مسك ذكي وزنبق
فأتبعتهم طرفي وقد حال دونهم   غوارب رمل ذي إلاء وشبرق
على إثر حي عامدين لنية   فحلوا العقيق أو ثنية مطرق[1]

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

يا دار سلمى دارساً نؤيها   بالرمل فالخبتين من عاقل

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

«انعم صباحا»، كانت تحية أهل الجاهلية، وقالوا: الدعاء هو للربع والمعنى لأهله؛ ومثل هذا في أشعارهم كثير.

الحمول: الإبل الي يحتمل عليها. والأعراض: أودية، واحدها عرض. «غير منبق» يعني غير مزه؛ يقال منه: نبق النخل إذا أزهي، وإزهاؤه: خروج ثمره ويسره إذا لون قبل أن يرطب. وقالوا: المنبق الفاسد التمر، الصغار كالنبق.

الحوايا: جمع حوية، وهي مركب من مراكب النساء. وقوله: «من حوك العراق»، يعنى ما يحاك بالعراق. والمنمق: المزين.

«غزلة» أي جماعة غزال. والجآذر: جمع جُؤذَر، ويقال: جؤذُر، قال: وهي أولاد البقر. وتضمخن: تلطخن وتطيبن، ويروى: «في مسك».

طرفي: عيني. وقوله: «غوارب رمل» يعني أوائله. والألاء: شجر، واحده ألاءة. والشبرق: شجر أيضاً، وأكثر ما يكون في الرمل.

«عامدين لنية» أي قاصدين الوجه الذي يريدونه. ويروي: «سائرين لنية». وحلوا: أى نزلوا. ومطرق: واد. قال: وثنية: عقبة منه فيها فرجة. والعقيق: مكان.

صم صداها وعفا رسمها ... واستعجمت عن منطق السائل

يا سلم هل عندكم نائل ... للمرء ذي الأكرومة الفاضل

الحافظ السر الأمين الذي ... لا ترهبين، القائل الفاعل

لم أر شبهاً لسليمى التي ... علقت غير الظبية الحائل[1]

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

لمن الدار تعفت مذ حقب ... فجنوب الفرد أقوت فالخرب

دار حي بدلت من بعدهم ... ساكن الوحش، وللدهر عقب

قد أرى ساكنها من معشر ... حي صدق ذي بهاء ولجب

إذ هم أهل قباب وقرى ... ولهم صحراء محلال مرب

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٥٥.

النؤى: التراب الذي حول الخيمة من الحفيرة المستديرة. والرمل: موضع معروف. والخبتان: أرض فيها لين. وعاقل: جبل باليمامة. وتروى: «دارساً رسمها»؛ وهو آثار الدار من المطر.

«صم صداها»؛ هذا مثل ضربه للدار؛ يقال أصم الله صداه يريد سمعه؛ وقوله: «واستعجمت» أي لم تتكلم.

يا سلم، مرخم. والنائل: العطاء. والأكرومة: الأفعولة؛ من الكرم.

ويروى «إلا ظبيه الحابل»، يعنى أنها في حبالة، والحابل هو الصائد.

عفت الدار بهم فانتجعوا ... أكل الدهر عليهم وشرب
قالت الخنساء لما جئتها: ... شاب بعدي رأس هذا واشتهب[1]

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أشاقك من آل ليلى الطلل ... فقلبك من ذكرها مختبل
فلا هي تعطف من ودها ... ولا أنت تعقل فيمن عقل
وصادتك غراء وهنانة ... ثقال فما خالطت من عجل
رقود الضحا ساجياً طرفها ... يميلها حين تمشي الكسل
عظيمة حلم إذا استنطقت ... تطيل السكوت إذا لم تسل
ويلهاء من غير وعي بها ... يرى لبها ظاهراً من عقل
ألا حي نعماً على نأيها ... ألا حي نعماً وعنها فسل[2]

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٩٣.

«تعفت» أي درست. والحقب: الدهور، والواحدة حقبة، يقال أربعون عاماً، ويقال ثمانون عاماً، وأقوت، أي خلت. وجنوب الفرد والخرب: موضعان.

عقب الدهر: صروفه؛ مرة خير، ومرة شر، اللجب: الضجة والصياح.

القباب: الخيام. والقرى: المدن. وقوله: «محلال» يريد: لا يزال يحله الناس، أي ينزلونه. والمرب: التي لا يزال بها ثرى ومطر.

عفت، أي درست. وقوله: «فانتجعوا»، أي طلبوا الكلأ والخصب. «أكل الدهر عليهم وشربهم؛ ضربه مثلا لهم.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٩٦.

الطلل: ما ارتفع لك من أعلام الدار. ومختبل: «مفتعل»، من الخبال وهو الفساد. =

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أهاجك الربع القواء المقفر

غيره مر دروج صرصر

يروح في آياته ويبكر

بل هاج عينيك السوام المدبر

غداة ولوا ظعناً فبكروا

والبين للناس قديماً عنصر

إذا أقول إن قلبي مقصر

ثناه أن يوليكه المقفر

وانهلت العين بدمع تهمر

بل أم عمرو لك شجو مضمر

= الغراء: البيضاء.والوهنانة: ذات الوقار. والثقال: التي أثقلها ردفها. يقول: ليست وثابة. يريد برقود الضحا، أي أن لها من يكفيها؛ ولا تكلف الخدمة، فهي تنام. والساجي: الساكن؛ أي لا تنظر شزراً، اللب: الخالص من كل شيء، قوله: «على نأيها» يريد على بعدها.

هي الجوى والسقم المقدر

يخفي بخافي حبها ويظهر(١)

***

وقال وهو بأنقرة يذكر علته، ويدأ بذكر الديار:

لمــن طــلــل داثــر آيه ... تقادم في سالف الأحرس

فإما تريني بي عـرة ... كأني نكيب من النقرس

وصيرني القرح في جبة ... تخـال لبيساً ولـم تلبس

ترى أثر القرح في جلده ... كنقش الخواتم في الجرجس(٢)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣١٢ - ٣١٣.

الربع: المنزل؛ وأصله من الربيع حيث كانوا يرتبعون فيه، فكثر لفظهم به حتى سموا المنزل الربع. القواء: الخالي. والمقفر: القحط، دروج: ريح. وصرصر: باردة، آياته: علاماته؛ وبذلك سميت آيات القرآن، السوام: الإبل الراعية، وليس ها هنا رعي، ولكنه سماه به إذ كان قد عهده يرعى، ولوا، أي رحلوا. وقوله: «ظعنا» أي ظاعنين، أي راحلين، البين: الانقطاع، وعنصر، أي هو أصل قديم في الناس، المقصر: التارك للشئ؛ النازع عنه، ثناه، أي عطفه، وقوله: «يوليكه» أي يبليك، أو يضعه عندك. والمقفر: الذي يقفر الأثر، انهلت، أي سالت: وتهمر: تسيل ولا تنقطع، الشجو: الحزن، الجوى: الحزن يأخذ الانسان في جوفه من الحب، الخافي: الظاهر، ويكون المستتر.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٣٩.

الأحرس: جمع حرس، (بسكون الراء)؛ وهو الدهر، العرة: القرحة في الجسم. والنقرس: مرض يصيب المفاصل، اللبيس هنا: الثوب الخلق الملبوس، الجرجس: الصحيفة؛ كذا فسره صاحب اللسان، وأورد البيت.

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ما هاج هذا الشوق غير منازل   دوارس بين يذبل فذقان
أمن ذكر نبهانية حل أهلها   جنوب الملا عيناك تبتدران
كأنهما مزادتا متعجل   فريان لما تدهنا بدهان
وغرب على مقطورة بكرت به   غدت في سواد الليل قبل السواني
يصرفها شثن يرى بلبانه   ولحيته نضح من النفيان
تمتع من الدنيا فإنك فان   من النشوات والنساء الحسان
من البيض كالآرام والأدم كالدمى   حواصنها والمبرقات الرواني[1]

* * *

(١) يوان امرئ القيس، ص ٣٤٥.
ذقان ويذبل: جبلان لبني عمرو بن كلاب (معجم ما استعجم).
فريان: محزوزان. لما تدهنا: لما تدلكا؛ وإنما قال «لما تدهنا» لأنه يكون أوسع للحزوز وأكثر لخروج الماء. (شرح ابن النحاس).
غرب: دلو ضخم. مقطورة: ناقة مهنوءة بالقطران. والسواني: جمع سانية؛ وهي الناقة التي يستقى عليها. (شرح ابن النحاس).
يصرفها: يقلبها. شثن: غليظ الكفين. لبانه: صدره. والنفيان: ما تطاير عليه من الماء إذا استقى من الرشاء. (شرح ابن النحاس).

* * *

أما قول الهمذاني على لسان البطل عن امرئ القيس: واغتدى والطير في وكناتها، فهذه هي الأمثلة من شعر امرئ القيس:

قال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل(١)

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٩ - ٢٣.

الوكنات: المواضع التي تأوى إليها الطير، المنجرد: الفرس القصير الشعر؛ وبذلك توصف العتاق؛ ويقال: المتجرد الماضي المنسلخ من الخيل عند السباق. والأوابد الوحش؛ وجعله قيداً لها لأنه يسبقها فيمنعها من القوت. والهيكل: الفرس الضخم شبهه ببيت النصارى والمجوس، يقال له الهيكل، «والطير في وكناتها»، أى أنه يبكر قبل خروج الطير؛ على أنها مما يبكر في الخروج.

إذا أردت الكر على العدو وأنا عليه وجدت ذلك عنده، وكذلك إذا أردت الفرار منهم «مقبل مدبر» فالمقبل هو المكر، والمدبر هو المفر، يعني أن هذه الأشياء عنده. وشبه صلابته وصلابة حافره بالجلمود، وجعل الجلمود منحطاً من فوق الجبل؛ لأن ذلك أصلب له، وأسرع لوقوعه؛ وكأنه شبه سرعة الفرس وصلابته به.

«كميت ينزل اللبد» أي أنه أملس المتن سهله. والحال: موضع اللبد من ظهره. والصفواء: الصخرة الملساء. والمتنزل: النازل عليها؛ شبه اللبد إذا زل عن ظهر الفرس بالذي يزل عن الصخرة الملساء،وإنما أراد تشبيه الظهر بالصخرة الملساء؛والتقدير:كما أزلت الصفواء المتنزل.

مسح إذا ما السابحات على الونى   أثرن غباراً بالكديد المركل

على العقب جياش كأن اهتزامه   إذا جاش فيه حمية غلى مرجل

يطير الغلام الخف عن صهواته   ويلوي بأثواب العنيف المثقل

درير كخذروف الوليد أمره   تقلب كفيه بخيط موصل

له أيطلا ظبي وساقا نعامة   وإرخاء سرحان وتقريب تتفل(١)

---

(١) «مسح» أي يسح العدو سحاً مثل سح المطر؛ وهو انصبابه. والسابحات: التي تبسط يديها إذا عدت فكأنها تسبح. والونى: الفتور. والكديد: ما غلظ من الأرض. والمركل: الذي ركلته الخيل بحوافرها؛ فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها؛ والمعنى أن هذا المسح بمنزلة السابحات.

«على العقب جياش» أي يجيش، في جريه كما تجيش القدر على النار. والعقب: جري بعد جري؛ وقيل: هو تحريك الفرس بالعقب؛ أي لا يحوجك إلى السوط لنشاطه وسرعته. واهتزامه: صوت جوفه عند الجري. والحمى: الغلي. والمرجل: القدر.

يسقط الغلام الخف عن ظهره من سرعة عدوه وشدة دفعته. والخف: الخفيف. والصهوات: جمع صهوة؛ وهي موضع اللبد من ظهره، وجمعها بما حولها، «ويلوي بأثواب العنيف» يعني يهب بها ويسقطها من شدة عدوه. والعنيف: الأخرق. والمثقل الثقيل الذي لا يحسن الركوب؛ فهو يخاف أن يصرعه، فيثبت على ظهره ولا تثبت أثوابه عليه.

«درير» يعني هو درير في عدوه، أي سريع خفيف. والخذروف: الخرارة التي يلعب بها الصبيان، تسمع لها صوتاً، وهي سريعة المر، وجعل خيط الخذروف موصلا؛ لأنه قد لعب به كثيراً حتى خف وأخلق وتقطع خيطه فوصل، فذلك أسرع لدورانه.

شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي؛ وشبه ساقيه بساقي النعامة؛ لأنها قصيرة الساقين صلبتهما طويلة الفخذين، ويستحب ذلك من الفرس. وشبه إرخاءه - هو سير ليس بالشديد - بإرخاء الذئب، وليس دابة بأحسن إرخاء منه؛ وشبه تقريبه في الجري بتقريب الثعلب، وهو حسن التقريب. والتتفل: ولد الثعلب؛ وإنما أراد الثعلب بعينه.

كأن على الكتفين منه إذا انتحى   مداك عروس أو صراية حنظل

وبات عليه سرجه ولجامه   وبات بعيني قائما غير مرسل

فعن لنا سرب كأن نعاجه   عذارى دوار في الملاء المذيل

فأدبرن كالجزع المفصل بينه   بجيد معم في العشيرة مخول

فألحقنا بالهاديات ودونه   جواحرها في صرة لم تزيل

فعادى عداء بين ثور ونعجة   دراكا ولم ينضح بماء فيغسل(١)

---

(١) «مداك عروس» أي هو يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق عليه الطيب؛ وخص العروس لأنها قريبة العهد بسحق الطيب؛ فمداكها براق. والصراية: الحنظلة الصفراء البراقة؛ وإذا لم تصفر فهي مغبرة. شبه حارك الفرس إذا اعترض ونظرت إليه صخرة الطيب، أو صراية الحنظل في ملاستها وبريقها.

يعني أنه كان مرتقباً للصباح ليصيد فلم يحط عنه سرجه ولجامه. «وبات بعيني قائما» أي حيث أراه لكرامته على. وقوله «غير مرسل» أي لم أهمله لأني مستعد لركوبه.

«فعن لنا سرب» أي عرض لنا قطيع بقر؛ وشبه إناثه بجوار أبكار يطفن بدوار، وهو صنم لأهل الجاهلية يدورون حوله. والملاء: الملاحف. والمذيل: الطويل المهدب، شبه البقر في مشيتهن وطول أذنابهن وبياضهن بالعذارى في الملاء المذيل.

شبه بقر الوحش في بريقهن وما فيهن من البياض والسواد بالجزع؛ وهو الخرز. والمفصل: الذي فصل بينه باللؤلؤ؛ وهو أصلح للخرز.وقوله: «يجيد معم في العشيرة مخول» أي بعنق صبي كريم العم والخال؛وخص الخرز بأن يكون بجيد هذا المعم لأنه لا يكون إلا نفيساً منتخباً.

«فألحقنا بالهاديات» أي ألحقنا الفرس بالمتقدمات من البقر. والجواحر: ما تخلف منها. والصرة: الجماعة.«لم تزيل»:لم تفرق،أي جمع الفرس بين أواخرها وأوائلها فلم يفت منها شئ.

العداء: الموالاة في الجري. «لم ينضح بماء» أي لم يعرق؛ وأراد بالماء ها هنا العرق؛ والمعنى أنه صاد قبل أن يجهد ويعرق فيكون كأنه قد غسل.

وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه متى ما ترق العين فيه تسهل

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل

وأنت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل(١)

***

الطهاة: الطباخون. والصفيف: المرقق. والقدير المعجل: المطبوخ في القدر، وجعله معجلاً، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيل ما كان من الصيد ويستطرفونه ويصفونه في أشعارهم. وحمل قوله: «أو قدير معجل» على معنى: من بين صفيف شواء أو طابخ قدير.

الطرف: الفرس السريع، وقيل: هو الكريم الطرفين. «متى ما ترق العين»، يقول: هو حسن الأعلى والأسفل، فالناظر إليه يصعد فيه النظر ويصوبه عجباً به. ويحتمل أن يريد: أنه لعتقه وتمام خلقه إذا ارتفعت عين الناظر إليه بالنظر راعه منظره، فخشي إصابته بعينه، فصوب رأسه وكف عنه نظره.

«كأن دماء الهاديات بنحره»، شبه دم الوحش بصدر هذا الفرس بعصارة الحناء على الشيب، وإنما أراد: بشيب قد غسل عنه الحناء، مرجل. وعصارته: ما عصر منه؛ وإنما أراد أن حمرة الدم بصدره كحمرة الخضاب في الشيب، ولا يريد أنه أشهب؛ لأنه قد وصفه بالكمتة، ومن زعم أن العرق قد يبس بنحره فابيض فقد خلط أيضاً؛ لأنه نفى عنه العرق بقوله: «لم ينضح بماء فيغسل».

الفرج: ما بين رجليه. والضافي: الذنب الطويل. وقوله: «فويق الأرض» أي ليس بالطويل فيطأ عليه، ولا بالقصير فيبعد عن الأرض. والأعزل: الذي يكون ذنبه في ناحية، وهو مكروه.

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس:

ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحا

على هيكل نهد الجزارة جوال

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا

له حجبات مشرقات على الفال

وصم صلاب ما يقين من الوجى

كأن مكان الردف منه على رال(١)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣٦ - ٣٨.

«ولم أشهد الخيل»، أراد أصحاب الخيل. «بالضحا» خص الضحا لأن الغارة إنما تكون في وجه الصباح والقوم غارون. والجزارة: القوائم. والجوال: النشيط السريع في إقباله وإدباره؛ وذكر هذا كله متأسفا على ما فاته منه لذهاب شبابه وتغير حاله.

«سليم الشظى»، هو عظم صغير في يد الفرس فإذا تحرك قيل: شظى الفرس. والشوى: القوائم. والنسا عرق، ووصفه بالشنج لأنه أصلب له. والحجبات: رءوس الأوراك. وقوله: «على الفال»: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عجب الذنب ويساره. والمعنى أنه مشرف الكفل، فحجباته مشرفة لاتصالها بالكفل.

أراد بالصم حوافره. «ما يقين من الوجى»، أي لا يهبن المشى من حفاً، لصلابتهن. والرأل: فرخ النعامة؛ وهو مشرف المؤخر؛ فشبه قطاة الفرس لإشرافها بمؤخر الرأل.

وقد أغتدى والطير في وكناتها

لغيث من الوسمى رائده خال

تحاماه أطراف الرماح تحاميا

وجاد عليه كل أسحم هطال

بعجلزة قد أترز الجرى لحمها

كميت كأنها هراوة منوال

ذعرت بها سربا نقيا جلوده

وأكرعه وشى البرود من الخال[1]

(١) «لغيث من الوسمى» الغيث هنا: البقل والنبت، أو ما أنبته المطر. والوسمى: أول المطر. ورائده: الرجل الذي يرتاده، أي يطلبه لأهله. وخال: من الخلوة؛ أي ليس فيه غيره؛ أي هو ما بين حيين متعاديين، فهذا يحميه، وهذا يحميه؛ فهو خال لا يقربه أحد؛ وذلك أخصب لمن حل به.

«تحاماه أطراف الرماح» أي تمنع منه الرماح؛ ولكني أتيته لعزى ولما أنا فيه من الملك؛ وخص أطراف الرماح لأنها هي العاملة. «وجاد عليه» من المطر الجود؛ وهو الغزير. والمعنى أن هذا الموضع تتابعت عليه الأمطار ومنعت منه الرماح؛ فهو كامل الخصب وافر النبت.

«بعجلزة» أي بفرس صلبة اللحم، «أترز» أيبس، يعني أنها ضامرة شديدة؛ شبهها بالهراوة لأنها لا تتخذ إلا من أصلب العود وأشده؛ وخص الكميت لأنه أصلب حافراً، وأشد فلقاً. والهراوة: العصا؛ وهي ها هنا من آلات الحائك، وأضافها إلى المنوال.

«ذعرت بها سرباً» أي تصيدت بها الفرس فذعرت بها قطيع بقر نقيا جلوده، أي بيض الجلود. وأكرعه موشية، أي فيها سواد وبياض. والخال ضرب من برود اليمن.

كـأن الصــوار إذ تجهـد عـدوه

على جمزى خيـل تجـول بأجـلال

فجال الصوار واتقين بقر هب

طويل القرا والروق أخنس ذيال

فعادى عداء بين ثور ونعجـة

وكان عداء الوحش مني على بال

كأني بفتخـاء الجناحين لقـوة

صيود من العقبان طأطأت شملال(١)

---

(١) الصوار: قطيع بقر الوحش. يقول: لما ذعرتها بفرسي أجهدت العدو وقوته، فكأنها من شدة العدو خيل تجول عليها أجلال بيض. وجمزى هنا: اسم موضع.

القرهب: فحل من البقر مسن. والأخنس: القصير الأنف، وإنما اتقين به لأنه أشدهن مما يلي الصائد ليذب عنهن. والقرا: الظهر. والروق: القرن.

«فعادى عداء»، أي والى وصرع واحداً بعد واحد. وقوله: «على بال»، أي على حال اهتمام مني.

الفتخاء: اللينة الجناحين. واللقوة: السريعة من العقبان. ومعنى «طأطأت» دانيت وخفضت، ويقال: أسرعت. والشملال: الخفيفة السريعة، يقول: كأني بطأطأتي هذه الفرس طأطأت عقاباً لينة الجناحين منتفختهما عند الطيران في سهولة وتأت، وجعل العقاب صيوداً لأنها ذات فراخ، فهي تكثر الصيد من أجلها. وقال بعضهم: الشملال الشمال، أي كأني طأطأت شمالي وأملتها من هذه الفرس بعقاب فتخاء الجناحين.

تخطف خزان الشربة بالضحا

وقد حجرت منها ثعالب أورال

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البال(١)

وقال أيضاً امرؤ القيس في الأغتداء ووصف الفرس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب(٢)

---

(١) «تخطف خزان الشربة» أي تأخذها بسرعة، وواحد الخزان خزز؛ وهو ذكر الأرانب. وقوله: «وقد حجرت منا ثعالب أورال»، أي اختفت ثعالب هذا الموضع ولم تسرح خوفا من هذه العقاب. والشربة وأورال: موضعان.

كأن الرطب من قلوب الطير وما جاءت به العقاب حديثاً العناب، وهو الزفيزف، وكأن ما يبس منها وقدم الحشف؛ وهو البالي من التمر ورديئه؛ وتقدير البيت: كأن قلوب الطير رطبة العناب؛ وكأنها يابسة الحشف البالي؛ وإنما خص قلوب الطير لأنها أطيب لحوماً، فإذا صادت العقاب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها. وأشار بقوله: «رطباً ويابساً» إلى كثرة ما تأتي به من القلوب حتى تفضل عن الفراخ. وقد قيل: إن الجوارح لا تأكل قلوب الطير ولا سائر حشوة بطونها.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٤٦ - ٥٥.

المذنب: مسيل الماء إلى الروضة، يقول: غلست قبل خروج الطير من أوكارها في ليل كثير المطر تسيل منه المذانب. وأراد بالندى ها هنا المطر، يصف نفسه بالجلد وحمل النفس على المشقة فيما يكسبه المجد والشرف، فلا يشق عليه البكور في طلب ذلك؛ على إثر المطر وتعذر السفر في إثره، ويحتمل أن يريد أنه يبكر للصيد غب المطر. وذلك مما يستحب ويستعمل.

بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادى كل شأو مغرب

على الأين جياش كأن سراته على الضمر والتعداء سرحة مرقب

يبالي الخنوف المستقل زماعه ترى شخصه كأنه عود مشجب

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب

ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب(١)

---

(١) الهوادى: المتقدمة السابقة. والشأو: الطلق. والمغرب: البعيد. يقول: أضمر هذا الفرس كثرة الوحش واتباعه لها كل طلق بعيد. وقد تقدم القول في قيد الأوابد.

«على الأين جياش» أي هو سريع بعد فتوره. وسراته: أعلاه. والتعداء: كثرة العدو. والسرحة: ما عظم من الشجر وطال. والمراقب: كل ما أشرف من الأرض. وسمي بذلك لأن الرائي يرقب فيه العدو. وبه أعلى الفرس على ضمره وكثرة عدوه بأعظم الشجر في أعلى الأماكن، وإنما أراد أشراف الفرس وارتفاعه وعظم خلقه.

الخنوف: الذي يخنف بيديه؛ أي يرمى بهما في السير؛ وهو من وصف الحمار الوحشي. والزماع لذوات الظلف؛ واستعارها هنا لشعر الرسغ؛ وجعلها مستقلة؛ لأن ذلك أسرع له وأكمش؛ وإذا كانت تمس الأرض كان ذلك عيباً، فيقول: هذا الفرس يباري بسرعته ونشاطه الخنوف. وقوله: «ترى شخصه» وصف الفرس بالصلابة والاملاس والضمر؛ فشبهه بالمشجب لذلك.

«وصهوة عير قائم»، شبه ظهر الفرس بظهر العير في اعتدلاله واستوائه؛ وجعله قائما لأنه إذا قام تمدد واستوى، وإذا عدا اضطرب، وجعله فوق مرقب، لأن ذلك ما يبين استوا ءه، ويزيد في تمام خلقه وحسن منظره.

الصم: الحوافر التي ليست بجوف؛ وذلك أصلب لها. والغيل: الماء الجاري على الأرض. والوارسات: المصفرات؛ يقال: أورس النبت فهو وارس؛ وشبه حوافر الفرس في صلابتها وملاستها بحجارة ماء قد علاها الطحلب فاصفرت واملاست وصليت.

به كفل كالدعص لبده الندى   إلى حارك مثـل الغبيط المذأب

وعين كمرآة الصناع تديرها   لمحجرها من النصيف المنقب

له أذنان تعرف العتق فيهما   كسامعتي مذعورة وسط ربرب

ومستفلك الذفرى كأن عنانه   ومثناته في رأس جـذع مشذب

وأسحم ريان العسيب كأنه   عثا كيل قنو من سميحة مرطب(١)

---

(١) «كالدعص» هو الكثيب الصغير من الرمل. وقوله: «لبده الندى»، أي باشره الندى فتلبد واشتد ولم يتساقط؛ فشبه الكفل به على هذه الحال. والغبيط: قتب الهودج وهو مشرف. والمذأب: الموسع؛ شبه الحارك به لارتفاعه وسعته. و «إلى» هنا بمعنى «مع».

الصناع: الحاذقة بالعمل، الصانعة بيديها، التي لا تتكل على غيرها؛ فمرآتها أبداً مجلوة نظيفة؛ فإذا تنقبت بالنصيف – أي تقنعت به – أدارت مرآتها لتنظر إلى محجرها، فتعلم: هل استوى النقاب عليه أو لا؟

«تعرف العتق فيهما» يعني أن أذنيه دقيقتان مؤللتان، فإذا نظرت إليه تبينت عتقه وكرمه فيهما؛ وشبه الأذنين بسامعتي بقرة ذعرت فنصبت أذنيها وحددتهما. والربرب: القطيع من البقر؛ وإنما قال: «وسط ربرب» ليبين المذعورة ما هي؛ ولو كانت منفردة لكان أذعر لها وأشد لجزعها.

المستفلك: المستدير كالفلكة. والذفري: عظم ناتئ خلف الأذن، وإذا استدار كان أعتق له. والمثناة والثناية: الحبل المشدود في رأسه؛ وسمي بذلك لأن الفرس يثنى، أي يعطف. والمشذب: الذي نزع شوكه وسعفه؛ يقول: كأن عنان هذا الفرس في رأس جذع لطول عنقه وإشرافه؛ وخص المشذب، إشارة إلى أن الفرس قصير الشعر منجرد؛ وبذلك توصف العتاق؛ مع أن الجذع إذا شذب تبين طوله؛ ولذلك قيل: مشذب، للرجل الطويل.

«أسحم» يعني ذيلاً أسود. والريان: الممتلئ الناعم. والعسيب: عظم الذنب، ويحمد في الفرس يبس العسيب ومن الناقة امتلاؤه ونعمته وقد غلظ امرؤ القيس في هذا. والقنو: عذق النخلة. وسميحة: اسم بئر؛ يريد أن ذيل هذا الفرس كامل غزير كشماريخ نخل مرطب، من نخل هذا الموضع المجاور لهذه البئر.

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه   تقول هزيز الريح مرت بأثأب

يدير قطاة كالمحالة أشرفت   إلى سند مثل الغبيط المذأب

ويخضد في الآرى حتى كأنما   به عرة من طائف غير معقب

فيوماً على سرب نقي جلوده   ويوماً على بيدانة أم تولب

فبينا نعاج يرتعين خميلة   كمشي العذارى في الملاء المهدب

فكان تنادينا وعقد عذاره   وقال صحابي قد شأونك فاطلب(١)

---

(١) إذا جرى هذا الفرس طلقين وابتل جانبه من العرق سمعت له خفقاً كخفق الريح إذا مرت بأثأب، وهو شجر يشبه الأثل، يشتد صوت الريح فيه - وهزيز الريح: صوتها.

«يدير قطاة كالمحالة» أي يصرف قطاة فقرتها مستديرة كالبكرة. والقطاة: مقعد الرديف. وقوله: «إلى سند» أي أشرفت هذه القطاة إلى كفل مشرف كالسند؛ وهو سفح الجبل؛ ولذلك شبهه بالغبيط، وهو قتب الهودج. والمذأب: الموسع الأسفل.

«يخضد» أي يشد المضغ، وأصل الخضد القطع. والعرة: الجنون. والطائف: من طائف الشيطان، «غير معقب» أي هو ملازم له؛ ليس يأخذه مرة ويدعه أخرى؛ يصفه بالنشاط وكثرة الحركة.

«فيوماً على سرب» أي يطارد هذا الفرس يوماً بقرة وحشية. ويوماً على بيدانة، أي أتاناً في البيد لا تقرب الناس، فهو أذعر لها، وأسرع لجريها. والتولب: الولد الصغير، «نقي جلوده» أي أبيض الجلود؛ وكذا بقر الوحش، إلا سواداً في قوائمها وخدودها.

النعاج: إناث بقر الوحش. والخميلة: رملة فيها شجر قد صار لها كالخمل. والملاء: الملاحف البيض؛ شبه النعاج في بياضهن وسكون مشيتهن بالعذارى الماشيات في الملاحف البيض. والمهدب: ذو الهدب، شبه شعر أذنابهن به.

«فكان تنادينا» أي كان نداء بعضنا بالخروج إلى مطاردة الوحش وعقد عذار الفرس من العجلة، ومعنى: «شأونك» سبقنك.

فلأيا بلأى ما حملنا وليدنا على ظهر محبوك السراة محنب

وولى كشؤبوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثرا ه منصب

فللساق ألهوب وللسوط درة وللزجر منه وقع أهوج منعب

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

ترى الفأرقي مستنقع القاع لاحباً

على جدد الصحراء من شد ملهب(١)

---

(١) «فلأيا بلأي» أي جهداً بعد جهداً حمل غلامنا على ظهر هذا الفرس لنشاطه وامتناعه. والمحبوك: القوي المجدول. والسراة: الظهر. والمحنب: الذي في يديه وصلبه انحنا ء؛ ويستحب ذلك؛ وهو من خلقة الجياد. «وولي كشؤبوب العشي» شبه شدة دفعه في الجري، وخص شؤبوب العشي لأنه أغزر من غيره وأشد. والجعد: الشديد النداوة. والمنصب: المرتفع المنتصب؛ وصفه بذلك لشدة وقع حوافرهن فيثرن ما لا يكاد يثور. وقيل: الجعد المتراكب بعضه على بعض؛ وهو من صفة الغبار؛ والتقدير يخرجن من غبار جعد ثراه ، والمعنى: ويخرجن من مكان مخصب ند قد تجعد ثراه لندوته، ورِبت أرضه وتنصبت لريها وثراها. والمعنى أن هذه النعاج كانت في خصب، فهو أسرع لها وأقوى على العدو، والفرس مع ذلك لاحق بهن.

يقول: إذا حركه بساقه ألهب الجري؛ أي أتى بجرى شديد كالتهاب النار؛ وإذا ضربه بالسوط در بالجري، وإذا زجره وقع منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل معه؛ أي كأن هذا الفرس مجنون أهوج لما يبدو من شدة حركته ونشاطه عند الزجر. والمنعب: الذي يستعين بعنقه في الجري ويمده.

«فأدرك لم يجهد»، أي أدرك لم يجهد»، أي أدرك الفرس الوحش دون مشقة وتعب. لم يثن شأوه، أي أدركها في طلق واحد دون أن تثنيه لسرعته؛ وشبهه لخفته وسرعته بالخذروف المثقب إذا أداره الوليد.

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب

فعادى عداء بين ثور ونعجة وبين شبوب كالقضيمة قرهب

وظل لثيران الصريم غماغم يداعسها بالسمهري المعلب

فكاب على حر الجبين ومتق بمدرية كأنها ذلق مشعب

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب[1]

---

(١) مر الفرس له حفيف لشدة جريه، فخرجت الفئرة من جحرتهن ظننه مطراً؛ فخشين أن يسيل الأرض فيغرقهن، فيبرزن من القاع - وهو بطن الأرض - إلى الجدد؛ وما استوى من الأرض وصلب. والملهب: الشديد العدو الملتهب في الجري.

«خفاهن»، أي أظهرهن، أي استخرجهن. والأنفاق: أسراب تحت الأرض. والودق: المطر؛ وخص مطر العشي لأنه أغزر. والمجلب: الذي تسمع له جلبه لشدة وقعه. ويروى: «محلب» بالحاء؛ وهو الذي يتحلب بالمطر. وصف العشي به على معنى النسب. أي ودق من عشي فيه جلبة للمطر أو تحلب.

تابع هذا الفرس ووالى صيد الوحش؛ من بين ثور ونعجة، وثور مسن وهو الشبوب: وإنما خصه بالذكر بعد أن قال: «بين ثور ونعجة» لفضله على الثيران والنعاج لسنه وقوته؛ وأنه فحلها الذاب عنها؛ وشبهه لبياضه بالقضيمة، وهي الصحفية البيضاء.والقرهب: المسن أيضاً.

الصريم: المنقطع من معظم الرمل. والغماغم: الأصوات. ومعنى: يداعسها، يطاعنها. والمعلب: المشدود بالعلباء؛ وهي عصبة في القفا؛ وكانوا يشدون بها الرماح وهي رطبة طرية؛ ثم تيبس عليها؛ فيؤمن تعطفها عند المطاعنة. والسمهري: الرمح الشديد؛ يقال: اسمهر الأمر إذا اشتد؛ يقول: جعل الغلام يطاعن الثيران فيسمع لها غماغم؛ أي أصوات مرددة.

الكابي: الساقط على وجهه. والمدرية: القرن. وذلق كل شيء: حده. والمشعب: مخرز يشعب به؛ فيقول: من الثيران ما قد صرع، ومنها ما يتقي بقرن حديد كحد الإشفى.

«نمش بأعراف الجياد أكفنا» نمسح؛ ومنه سمى المنديل مشوشاً. والمضهب: الذي لم يدرك نضجه. يصف أنهم شووا من صيدهم ولم يبلغوا به النضج لما كانوا فيه من العجلة. وقيل: إن ذلك مستحب عندهم في لحم الصيد.

ورحنا كأنا من جؤاثى عشية   نعالي النعاج بين عدل ومحقب

وراح كتيس الربل ينفض رأسه   أذاة به من صائك متحلب

كأن دماء الهاديات بنحره   عصارة حناء بشيب مخضب

وأنت إذا استدبرته سد فرجه   بضاف فويق الأرض ليس بأصهب[1]

* * *

وقال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

فظلت وظل الجون عندي بلبده   كأني أعدى عن جناح مهيض[1]

---

(١) «ورحنا كأنا من جؤاثي» أي كأنا - لما معنا من الصيد الكثير - رحنا من جؤاثي؛ وكأنا قد اشترينا تمراً، فمنه ما جعلناه بين عدلين ثم ركبنا عليه؛ ومنه ما قد احتقبناه، أي جعلناه في الحقيبة. وجؤاثي: قرية بالبحرين يمتار منها التمر.

الربل: نبت ينبت في آخر الصيف واستقبال الشتاء في أصول اليبيس؛ وإنما ينبت ببرد الهواء لا بالمطر. والتيس: الذكر من الظباء؛ وسمي بذلك كما تسمى الظبية ماعزة. والصائك: العرق الثقيل الريح، وأصله بالعبرانية؛ يقول: هذا الفرس راح عشياً كتيس الربل في قوته ونشاطه ينفض رأسه من العرق وهو يتأذى بريح عرقه؛ وإنما خص تيس الربل، لأنه قد أكل الربيع واليبيس، ثم صار إلى رعي الربل؛ فهو مخصب أبداً، نشيط قوي.

هذا الفرس معتاد للصيد، فهو يزاحم الوحش ويلصق بها، فإذا طعنت صار الدم إلى نحره؛ ويقال: إنه أراد أن الفرس يلطخ بدم الصيد ليعرف ذلك منه، وإنما خص الشيب لأن الشيب لبياضه أثبت أثراً وأشد حمرة من غيره.

«ليس بأصهب»، أي هو أسود لا تشوبه حمرة؛ وذلك أتم لوصفه.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٧٤ - ٧٦.

فظلت وظل الجون عندي؛ يعني أنه لم يحط عنه سرجه؛ لأنه متأهب لركوبه، كأني أعدى أي أتكئ عليه كما يتكئ ذو الجناح الكسير على جناحه؛ وإنما قال هذا لفرط حدة الفرس=

فلما أجن الشمس عني غيارها نـزلت إليـه قائمـا بالحضيض

يباري شباة الرمح خد مذلق كصفـح السنـان الصلبـى النحيض

أخفضه بالنقـر لما علوتـه ويرفع طرفـاً غيـر جـاف غضيض

وقد أغتدى والطير في وكراتها بمنجـرد عبـل اليـديـن قبيض

له قصريا عير وساقا نعامـة كفحل الهجان ينتحي للعضيض[1]

=ونشاطه؛ وكأنه يداريه ويسكنه، والجون هنا: الفرس الأدهم، ويكون الأبيض، وهو من الأضداد. أعدى: أصرف وأمنع.

(١) كنت فوق المرقبة أرقب لأصحابي نهاري كله؛ فلما غابت الشمس، وسترها عني غيوبها نزلت إلى فرسي، وهو قائم بالحضيض، فركبته ورجعت إلى أهلي، والحضيض: المستوى من الأرض، وأسفل الجبل.

يباري شباة الرمح؛ أي يعارض هذا الفرس في رقته وطوله وقلة لحمه شباة الرمح، أي حدته وبريقه، والمذلق: المرقق الطويل، وصفح السنان: أحد جانبيه، والسنان: سنان الرمح؛ وقيل: هو المسن هنا. والصلبى: الذي جلي وصقل بحجارة الصلب، وهو الصلب من الحجارة، والنحيض: الرقيق، وأصله الذي أذهب نحضه، والنحض: اللحم، واستعاره للشباة.

لما نزلت إليه فركبته أبدى شدة الحركة والنشاط؛ فجعلت أخفضه بالنقر، أي أسكته، والنقر: صوت يسكن به الفرس، «ويرفع طرفاً غير جاف غضيض، أي لا يجفو نظره عن شخص ولا يغضه عنه.

بمنجرد عبل اليدين، أي أغتدى بفرس قصير الشعر، وذلك من نعت العتاق، والعبل: الضخم في صلابة، والقبيض: الشديد؛ وقيل: هو سريع.

القصريان: واحدهما قصرى، وهي آخر الضلوع مما يلي الخصر؛ شبه كشح الفرس بكشح العير في الطي والاستواء؛ وشبه ساقيه في قصرهما مع طول فخذيه بساقي النعامة، كفحل الهجان، هي البيض الكرام من الإبل، ولا يكون فحلها إلا كريماً مثلها، ينتحي للعضيض، أي يعترض ويعتمد للعض، نشاطاً وغيرة؛ شبه الفرس به في نشاطه وقوته.

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسي بعد المخيض
ذعرت به سربا نقيا جلوده كما ذعر السرحان جنب الربيض
ووالى ثلاثاً واثنتين وأربعا وغادر أخرى في قناة رفيض
فآب إياباً غير نكد مواكل وأخلف ماء بعد ماء فضيض
وسن كسنيق سناء وسنماً ذعرت بمدلاج الهجير نهوض(١)

* * *

(١) يجم على الساقين: أي إذا حرك بالساقين واستحث بهما كثر جريه، والجم: الكثير من كل شيء، بعد كلاله، أي يكثر جريه بعد إعيائه، فكيف به قبل ذلك، جموم عيون الحسي، إذا استخرج ماؤه، والحسي: موضع قريب الماء يدرك باليد، وكلما استخرج ماؤه جم، والمخيض: أي يمخض ويستخرج ماؤه، فضربه مثلا للفرس.

ذعرت بهذا الفرس قطيع بقر بيض الجلود، كما ذعر الذئب ناحية الربيض، وهي ضرب من الغنم، وإنما سماها ربيضاً لأنها تربض.

«ووالي ثلاثاً»، أي تابع هذا الفرس وصاد من السرب ثلاثاً واثنتين وأربعاً، وغادر أخرى والرمح متكسر فيها، والرفيض: المكسورة، وجعل الفعل للفرس في اللفظ وهو يريد راكبه، وجاز ذلك لأنه السبب والوصلة إلى عقر الوحش والإحاطة به.

المواكل: الذي ليس بجاد في أمره ويتكل على غيره، وأخلف ماء أي عرقاً بعد عرق، أي جهد مرة بعد مرة، والفضيض: المصوب.

وسن كسنيق أراد: ورب سن ذعرت، والسن: الثور الوحشي، والسنيق: الصخرة الصلبة؛ وقيل: هو جبل، شبه الثور به لصلابته وشدته وارتفاعه، والسنا: الارتفاع، وكذلك السنم، «بمدلاج الهجير»، أي بفرس يسير في الهجير وينهض فيه لنشاطه وقوته، على أنه وقت تسكن فيه الدواب وتستقر؛ وجعله مدلاجاً في الهاجرة على الاستعارة؛ والدلج: سير الليل كله، والإدلاج: السير من آخره.

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس وكلب الصيد:

وقد أغتدى ومعي القانصان ... وكل بمربأة مقتفر

فيدركنا فغم داجن ... سميع بصير طلوب نكر

ألص الضروس جنى الضلوع ... تبوع طلوب نشيط أشر

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر

لها حافر مثل قعب الوليـ ... ـد ركب فيه وظيف عجر

لها ثنن كخوافي العقا ... ب سود يفئن إذا تزبئر

وساقان كعباهما أصمعا ... ن لحم حماتيهما منبتر(١)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٦٠ - ١٦٧.

القانصان: الصائدان، والمربأة: مكان يربأ فيه، وهو شئ شبيه بالجبل أو نحو ذلك، وإنما أشرف لينظر إلى الوحش، ومفتقر: أى يتبع آثار الوحش، والفغم: المولع بالشئ الحريص عليه، يريد ها هنا كلباً، وداجن: آلف قد عاود الصيد غير مرة، ونكر، أي منكر، سميع: إذا سمع حساً لا يكذبه سمعه، وبصير، إذا أبصر لم يرتب ببصره، وطلوب: إذا هو طلب أدرك، ونكر، أي منكسر عالم بصيده.

ألص الضروس: أي ملتصقة بعضها إلى بعض، يريد ضروس الكلب، حنى الضلوع: أي ضلوعه محنية معطوفة، وحبى: منتفخ بالعرض، والضروس: الأضراس، والحنى:المأطور المعوج الضلوع، المحنيها.

الروع: الفزع، والخيفانة ها هنا: الفرس السريعة الخفيفة، والخيفانة الجرادة، شبهها بها =

لها عجز كصفاة المسيـ ـل أبرز عنها جحاف مضر

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

لها عذر كقرون النسا ء ركبن في يوم ريح وصر (١)

=في خفتها، «كسا وجهها سعف منتشر»: أراد الناصية، شبهها بسعف النخلة، والمنتشر: المتفرق.

القعب: القدح الصغير، الوليد: الصبي، فيقول: حافرها في صغر قدح الصبي، ويستحبه ذلك في الفرس؛ لأنه أثبت له، ولأن الكبير ثقيل مضطرب؛ وإنما يكون ذلك في البراذين، والوظيف في اليد، والوظيف في الرجل: ما بين الرسغ إلى الركبة، أو ما بين الرسغ إلى العرقوب، والعجز: الذي كأن فيه عقداً، وذلك لصلابته.

الشعرات التي خلف الرسغ يقال لها الثنن، والواحدة ثنة، والخوافي من ريش الجناح: ما بعد القوادم؛ يلين أصل الجناح، وإنما شبهها بها لرقتها، يفشن بالهمز، يعني يرجعن بعد ازبئرارها إلى مواضعهن، وازبئرارها، أي اقشعرارها.

جمع الكعب كعوب وكعاب، وهي المفاصل، أصمعان: يعني صغيرين، وإنما أارد لصوقهما، ويريد أنها ليست برهلة، وكذلك الخيل العتاق، والحماتان: اللحمتان الغليظتان اللتان فوق الكعبين، منبتر: يقول هو لصلابته كأنه بائن متفرق.

(١) الصفاة: الصخرة، المسيل: أراد أن السيل جرى عليها وأذهب عنها ما كان عليها من الغبار، والجحاف: السيل الذي يجرف ويجحف كل شئ؛ أي يجمعه، «مضر» أي يضر بكل شئ يمر به، أي يقلعه.

إنما قال مثل ذيل العروس؛ لأنه طويل سابغ، خظاتان، يعني مكتنزتين قليلاً، وذهب إلى الصلابة في وصفه لا إلى كثرة اللحم، كما أكب على ساعديه النمر، أراد كساعدي النمر البارك في غلظهما.

العذر: الشعرات قدام القربوس، وهو آخر العرف. وقرون النساء: ذوائبها، «ركبن في يوم ريح وصر»، ضربه مثلاً، وإنما أراد انتشار الشعر وكثرته، فلذلك قال: «في يوم ريح»، والصر: شدة البرد.

وسالفة كسحوق اللبان أضرم فيه الغوى السعر
لها جبهة كسراة المجن حذقه الصانع المقتدر
لها منخر كوجار السباع فمنه تريح إذا تنبهر
وعين لها حدرة بدرة شقت مآقيها من أخر
إذا أقبلت قلت دباءة من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أثفية ململمة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر(١)

---

(١) السالفة ها هنا، يريد بها العنق،كسحوق اللبان،يعني كالشجرة في الطول. واللبان: شجرة اللبان، وهو الكندر، والسحوق: الطويلة أضرم، يعني أشعل وألهب وأوقد، والغوى: الغاوي، والسعر: جمع سعير، وهو شدة الوقود، وإنما أراد أنها شقراء فلذلك ذكر الوقود.

كسراة المجن، يعني كظهر الترس، والصانع: العامل، والمقتدر: الحاذق، وإنما أراد اتساع الجبهة.

الوجار: جحر الضب، وإنما أراد سعة المنخر، فمنه تريح، أي تتنفس فتخرج الريح، وقال بعضهم تريح:أي تستريح،وإذا سهل مخرج النفس لم يضق في جوف الفرس، ولم يشق عليه.

حدرة بدرة، يعني مكتنزة صلبة ضخمة، بدرة يعني تبدر بالنظر، والمآقي: جمع مآق ومؤق، شقت مآقيهما، أي تفتحت فكأنها انشقت، من أخر، أي من مآخير العين.

مغموسة في الغدر، أراد أنها ناعمة رطبة، والدباءة: القرعة؛ وإنما شبهها بها للطافة مقدمها ورقته، ولأنها ملساء لينة مستديرة المؤخرة.

الأثفية: الصخرة المدورة المجتمعة، شبه استدارة مؤخرها بالأثفية الملساء التي ليس فيها أثر، والململمة: المجتمعة، وقالوا: المدورة الصلبة.

وإن أعرضت، أي إن أمكنتك من النظر إليها، والسرعوفة: الجرادة. والجمع السراعيف، ولم يرد ها هنا الخفة، وإنما أراد الاستواء في الخلق، والمسبطر: الممتد الطويل، والسرعوفة: القليلة اللحم، وبذلك توصف الخيل العتاق.

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر
لها وثبات كوثب الظباء فواد خطاء وواد مطر
وتعدو كعدو نجاة الظبا ء أخطأها الحاذف المقتدر[1]

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس:

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
بعثنا ربيئاً قبل ذلك مخملاً كذئب الغضى يمشي الضراء ويتقي
فقال ألا هذا صوار وعانة وخيط نعام يرتعي متفرق[1]

---

(١) مجال، أي جولان، وإنما يريد أن السوط إذا وقع بها حالت، وذلك من حدة نفسها، ذو برد منهمر، أي من الانهمار وهو الصب الواسع الكثير، وقالوا: أراد شدة جريها كشدة وقع هذا السحاب ذي البرد في سرعة وقعه، الخطاء: جمع خطوة، وأراد وادياً تخطو، ووادياً تمطر فيه العدو، فيقول: مرة تخطو فتكف عن العدو، ومرة تعدو عدواً يشبه المطر. كعدو نجاة الظباء يقال: فرس نجاة وناقة نجاة، إذا كانت ناجية سريعة العدو.

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٧٢ - ١٧٦.

قبل العطاس: يعني قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، والهيكل: الفرس الضخم المرتفع، شبهه بهيكل النصارى، وهو أكبر بيت لهم، ويروى: «بسابح» أي كأنه يسبح في عدوه، شديد مشك الجنب: يعني شديد معزز الجنب في الصلب، فعم المنطق، ممتلئ الجوف.

الربئ والربيئة: الذي يربأ للقوم، أي ينظر الصيد من مكان مرتفع، مخملا: يعني يخمل نفسه، أي يسترها ويخفيها، كذئب الغضى، والغضى شجر، وأخبث الذئاب ما كان منشؤه ومأواه الغضى، يمشي الضراء: هي مشية فيها اختيال وتبختر، وإنما قال ذلك استتاراً من الصيد. ويتقي أن يراه.

الصوار: القطيع من البقر، والعانة من الحمر: الجماعة، وكذلك الخيط من النعام.

فقمنا بأشلاء اللجام ولم نقد إلى غصن بان ناضر لم يحرق

نزاوله حتى حملنا غلامنا على ظهر ساط كالصليف المعرق

كأن غلامي إذ علا حال متنه على ظهر باز في السماء محلق

رأي أرنباً فانقض يهوى أمامه إليها ، وجلاها بطرف ملقلق

فقلت له صوب ولا تجهدنه فيذرك من أعلى القطاة فتزلق

وأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد الغلام ذي القميص المطوق(١)

---

(١) أشلاء اللجام: حدائده؛ وإنما يريد: قمنا إليه فألجمناه ولم نقده إلى اللجام قوداً، إلى غصن بان، يعني إلى فرس كأنه في حسنه وصفاء لونه غصن بان، ويروي: ولم نكد، يعني ولم نكد نطيق إلجامه من كثرة مرحه ونشاطه.

نزاوله، يعني نحاول منه ركوب الغلام، ولم يكد الغلام يركبه إلا بعد معالجة، والساطي: الذي يسطو بنفسه فلا يتوقى ما ركب وما ضرب بحافره، والصليف ها هنا: عود من أعواد الرحل؛ وهما صليفان فيه من جانبيه، «المعرق» يعني أنه قد يرى بريا؛ وإنما وصف ضمور الفرس؛ وبه توصف الخيل العتاق.

حال متنه، حال الفرس: موضع الراكب؛ يقول: كأن غلامي إذا ركب فرسي فمر مسرعاً جاداً في عدوه مثل باز قد حلق في السماء يطير طيراناً شديداً.

رأى أرنباً، يعني البازي، فانقض إليها ، إلى الأرنب، أي انحط، ويهوي: يدنو إليها ، وجلاها ، يعني نظر إليها. والطرف: طرف العين، والمقلق: المبادر بالنظر، الذي لا يفتر.

يعني فقلت للغلام: صوب الفرس ولا تجهده، أي خذ عفوه ولا تحمله على العدو فيصرعك، يقال: أذراه عن فرسه يذريه إذراء إذا صرعه وألقاه، والقطاة من الفرس: موضع الردف.

الجزع: الخرز، وأدبرن: يعني بقر الوحش، شبههن في صفائهن وبريقهن واختلاف ألوانهن بالخرز، بجيد الغلام: أي عليه طوق.

وأدركهن ثانيـاً مـن عنانـه كغيث العشي الأقهب المتودق

فصاد لنا ثوراً وعيراً وخاضباً عداءً ، ولم ينضح بماء فيعرق

وظل غلامي يضجع الرمح حوله لكل مهاة أو لأحقب سهوق

وقام طوال الشخص إذ يخضبونه قيام العزيز الفارسي المنطق

فقلنا ألا قد كان صيد لقانص فخبوا علينا كل ثوب مروق

وظل صحابي يشتوون بنعمـة يصفون غاراً باللكيك الموشق(١)

---

(١) وأدركهن: يعني الغلام أدرك الحمير، ثانياً من عنانه، يقول: لم يخرج ما عنده من الجري، ولكنه أدركهن قبل أن يجهد، والغيث: السحاب، والغيث: المطر، والغيث أيضا: النبت والعشب، والأقهب: ما كان لونه إلى الكدرة من البياض، المتودق من الودق، وهو الشديد من المطر.

الثور من بقر الوحش، والعير: الحمار، والخاضب: الظليم، عداء: يعني موالاة واحداً بعد واحد، يقول: فصاد لنا هذا كله قبل أن يعرق، وإنما قيل للظليم: خاضب، لأنه إذا أكل الربيع خضب قوائمه وأطراف ريشه من الزهر.

يضجع الرمح حوله، يعني قد لحقه؛ فهو يطعنه كيف شاء. مهاة، أى بقرة وحشية، والأحقب: حمار الوحش، وإنما سمي الذكر أحقب والأنثى حقباء، لأن في موضع الحقيبة منها بياضاً، والسهوق: الطويل.

وقام، يعني الفرس، إذ يخضبونه، يعني بالدم، وذلك إذا صادوا عليه جعلوا على شعر ناصيته وعلى عنقه من ذلك الدم ليعلم أن قد صادوا به، قيام العزيز الفارسي، شبهه بالرئيس من الفرس المعظم عندهم، والمنطق: ذو المنطقة، وقال بعضهم: إذا صاد القوم على الفرس ثم أصابه من دم الصيد شئ فهو خضابه.

القانص: الصائد، فخبوا علينا، أى ضربوا لنا خباء، «مروق» يعني له رواق.

يشتوون: يعني يصلحون من ذلك الصيد شواء، والمشتوي الرجل الذي يشويه، يصفون غاراً، يعني أنهم قد ملئوا الغار من اللحم الذي يصفونه، والمصفوف والصفيف من اللحم: المشرح المرقق، والغار والمغارة واحدة، واللكيك: اللحم الكثير الشخين، والموشق: الذي يطبخ بماء وملح، ثم يجفف ويحمله القوم معهم. وهي الوشائق والواحدة وشيقة.

ورحنا كأنا من جؤاثى عشية نعالي النعاج بين عدل ومشنق
ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طوراً وترتقي
وأصبح زهلولا يزل غلامنا كقدح النضى باليدين المفوق
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مفرق(١)

★★★

وقال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

ولقد أغدو على عيرانة وبطرف ذي سبيب منتخب
شنج الأنساء ممحوص الشوى أخلف القارح عاماً أو كرب(٢)

---

(١) كأنا من جؤاثي: يعني كأنا من ملوك جؤاثي، وهي قرية بالبحرين، وإنما قال ذلك لكثرة ما معهم من الصيد المعدول في الأعدال. والمشنق: المعلق الذي لم يجعل في الأعدال.
رحنا بفرس كأنه ابن الماء في خفته وسرعة عدوه. وابن الماء طائر، وسطنا: بيننا. تصوب فيه العين طوراً وترتقي: تنظر العين إلى أعلاه وأسفله من إعجابها به، يعني أصبح الفرس زهلولا، والزهلول: الخفيف، والجمع الزهاليل. ويزل الغلام الذي قد ركبه عن ظهره من نشاطه ومرحه أي يلقيه عنه، والقدح: السهم، والنضي: الذي لا نصل فيه، والمفوق: السهم الذي جعل له فوق، الهاديات: أوائل الوحش المتقدمات؛ والواحدة هادية، يدرك هذا الفرس أوائل هذه الحمير، فكيف أواخرها!

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٢٩٥.
المنتخب: المختار، وهو من نعت الطرف، العيرانة: الناقة، شبهها بالعير وهو الحمار الوحشي لخفتها: والطرف: الكريم من الخيل، والسبيب: الذنب.
النسا: عرق في الفخدين، فإذا تشنج كان أقوى له، ممحوص الشوى، وهي القوائم، يقول: منجرد الشعر منها، والقارح في سنه، «أو كرب» يريد أو قارب ذاك، الشنج: المتقبض، وهو مدح له، المحوص: الشديد القوي، القارح من الخيل: ما أمضى خمس سنين.

يأخذ الأرض بفعم صلب   في وظيف غير مسترخي العصب
وقطاة لم يخنها متنه   مجفر الجنبين في غير حدب
فهو سباق إلى غاياته   يبهض الملجم إلا ما انتصب(١)

☆☆☆

وقال امرؤ القيس في وصف الفرس:

وإني زعيم إن رجعت مملكاً   بسير ترى منه الفرانق أزورا
على لاحب لا يهتدي بمناره   إذا سافه العود النباطي جرجرا
على كل مقصوص الذنابى معاود
بريد السرى بالليل من خيل بربرا(١)

الوظيف: عظم في أسفل الساق، والفعم: الممتلئ، وصلب، أي صلب، القطاة: موضع الردف من الدابة، والمجفر: الضخم الجنبين، يبهض، أي يشق عليه.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٦٦ - ٦٧.

الزعيم: الكفيل الضامن، والأزور: المائل الذي يسير في جانب من شدة السير؛ يقول لصاحبه مطيباً لنفسه: أنا كفيل بأن أسير سيراً شديداً ترى منه الفرانق مائلا إلى جهة من شدته، إن رجعت من عند قيصر مملكا على قومي.

لا يهتدى بمناره، أي ليس فيه علم ولا منار فيهتدي به: يصف أنه طريق غير مسلوك فلم يجعل فيه علم، إذا سافه العود، أي إذا شمه المسن من الإبل صوت ورغا لبعده وما يلقى من مشقته، والنباطي: منسوب إلى النبط، أشد الإبل وأصبرها، وقيل: هو الضخم، واللاحب: الطريق البين الذي لحبته الحوافر، أي أثرت فيه، جرجر: صوت.

أقطع هذا الطريق على كل فرس مقصوص الذنب، وكذلك خيل البريد، معاود بريد=

أقب كسرحان الغضى متمطر ترى الماء من أعطافه قد تحدرا
إذا زعته من جانبيه كليهما مشى الهيدبي في دفه ثم فرفرا
إذا قلت روحنا أرن فرانق على جلعد واهي الأباجل أبترا[1]

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

وإن أمس مكروبا فيارب غارة شهدت على أقب رخو اللبان[2]

=السرى: أي قد استعمل في سير البريد مراراً وعاوده، من خيل برير، وخص خيل برير، لأنها كانت أصلب الخيل عندهم وأجودها. وأراد: «معاود سير بريد السرى».

(١) أقب كسرحان الغضي، أي هو خميص البطن كالذئب، وخص ذئب الغضي لأنه أخبث الذئاب وأنكرها، والغضي: شجر، والمتمطر: السابق الماضي على وجهه، ترى الماء من أعطافه، يعني أن العرق يسيل منه ويتحدر من جوانبه لشدة السير ومشقته.

إذا عطفته وأملته بالركض وبالزجر من جانبيه كليهما تبختر في مشيه، ومال في أحد جانبيه، ثم حرك فمه باللجام عبثاً ونشاطاً، والهيدبي، بالدال: مشية فيها تبختر؛ واشتقاقها من الثوب ذي الهدب، لأنه مما يتبختر فيه، ويروى: الهيذبي، بالذال المعجمة، وهو من أهذب في سيره إذا أسرع، فرفر: حرك اللجام في فمه، ويروى: قرقرا بالقاف، أي صوت، وليس بالجيد، لأن الخيل لا توصف بهذا.

إذا قلت روحنا أرن فرانق؛ أي إذا شق علينا السير أرن الفرانق بالغناء والتطريب ليروحنا ويسلينا عن بعض ما نجد من المشقة والعناء، أرن: رجع صوته بالغناء، والجلعد: الغليظ الشديد، واهي الأباجل أبترا، يريد أنه لين العروق والمفاصل فيتسع لذلك في العدو، والأباجل: عروق في الرجل، واحدها أبجل، والأبتر: المقطوع الذنب.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٨٦ - ٨٧.

الأقب: الظامر البطن من الخيل، رخو اللبان، أي واسع جلدته، لين العطف؛ وهو المستحب من الخيل.

على ربذ يزداد عفوا إذا جرى مسح حثيث الركض والذألان

ويخدى على صم صلاب ملاطس شدايدات عقد لينات متان

وغيث من الوسمى حو تلاعه تبطنته بشيظم صلتان

مكر مفر مقبل مدبر معا كتيس ظباء الحلب العدوان

إذا ما جنبناه تأود متنه كعرق الرخامى اهتز في الهطلان

تمتع من الدنيا فإنك فان من النشوات والنساء الحسان(١)

---

(١) على زبد، هو السريع رفع القوائم ووضعها؛ وهو الخفيف، والعفو: الجري على غير مشقة وتكلف، ويروي: «يزداد عدواً» أي جرياً. مسح: أي سريع العدو كأنه يسحه سحاً، حثيث الركض والذألان: أي سريع الجري والسير، والركض: الجري، والذألان: سرعة السير؛ ومنه قيل للذئب: ذؤالة.

ويخدى: أي يسير سيراً سريعاً، والصم: حوافره؛ يريد أنها مصمتة صلبة، ملاطس، أي مكسرات للحجارة لشدة وقعهن وصلابتهن، شديدات عقد، يعني عقد الأرساغ مع لين المفاصل ورطوبتها، والمتان: الصلاب الشداد، ويروى: «لينات مثان» وهي ما انثنى من المفاصل.

وغيث من الوسمى حو تلاعه، الحوة: لون يضرب إلى السواد؛ يصف أن نبات التلاع حو ناعم ريان، فخضرته تضرب إلي السواد، تبطنته: أي سلكت بطنه وسرت فيه، والشيظم: الطويل، والصلتان: القصير الشعر؛ وقيل: هو من الانصلات؛ وهو شدة الذهاب.

كتيس ظباء الحلب، شبه الفرس بفحل الظباء في ضمره ونشاطه وسرعته، والحلب: نبت ترعاه الظباء، فتضمر عليه بطونها، والعدوان: الشديد العدو؛ وهو في وصف التيس، ويروى: العذوان: وهو النشيط المرح.

تأود متنه: أي تثنى للينه وسباطته، والرخامى: نبت له عروق ناعمة تنبت على وجه الأرض؛ شبه تثنى متنه بتثني عروق هذا النبت، اهتز في الهطلان، أي تثنى واهتز لنعمته ولينه بكثرة المطر المغذي له.

* * *

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

وغيث كألوان الفنا قد هبطته　　تعاور فيه كل أوطف حنان
على هيكل يعطيك قبل سؤاله　　أفانين جرى غير كز ولا وان
كتيس الظباء الأعفر انضرجت له　　عقاب تدلت من شماريخ ثهلان
وخرق كجوف العير قفر مضلة　　قطعت بسام ساهم الوجه حسان
يدافع أعطاف المطايا بركنه　　كما مال غصن ناعم بين أغصان(١)

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٩١ - ٩٣.

وغيث كألوان الفنا: شبه الكلأ بالفنا في ريه وجدته، والفنا: عنب الثعلب، أو نبت يشبهه، هبطته: نزلت إليه، وأنخت إبلي فيه، تعاور: تداول وتعاقب، الأوطف: سحاب دان من الأرض، كأن له خملا لكثافته، الحنان: الشديد الصوت الذي يسمع لصوته ولرعده حنين كحنين الإبل.

يعني هبطت هذا الغيث على فرس ضخم كهيكل النصارى، يعطيك ما عنده من الجرى، قبل أن تكلفه ذلك، وتسأله إياه، الكز: الضنين، الواني: الفاتر المبطئ.

انضرجت له،يعني انقضت للتيس هذه العقاب فذعرته؛وذلك أسرع له وأنشط،من شماريخ ثهلان، أي انقضت العقاب من أعالى هذا الجبل، وثهلان: اسم جبل، شماريخه: أعاليه.

كجوف العير، قال بعضهم: هو الحمار الذي ليس في جوفه شئ ينتفع به؛ لأنه صيد لا يؤكل من بطنه شئ. وقيل: العير رجل من بقايا عاد الآخرة؛ وكان يقال له حمار بن مويلع، وكان له جوف من الأرض فيه ماء معين، وكان يزرع في نواحي ذلك الجوف، وكان يقري الضيفان؛ فمكث على الإسلام زماناً، وكان له عشرة بنين، فأصابتهم صاعقة فماتوا كلهم، فغضب وكفر ورجع إلى عبادة الأوثان ومنع الضيافة، فأقبلت نار من أسفل ذلك الجوف بريح عاصف فأحرقت الجوف وما فيه، وأحرقت من دخل معه في عبادة الأصنام فأصبح الجوف =

★★★

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الخيل:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... مطلب بنواصي الخيل معصوب

قدأ شهد الغارة الشعواء تحملني ... جرداء معروقة اللحيين سرحوب

كأن هاديها إذ قام ملجمها ... قعو على بكرة زوراء منصوب

إذا تبصرها الراءون مقبلة ... لاحت لهم غرة منها وتجبيب

رقاقها ضرم، وجريها خذم ... ولحمها زيم والبطن مقبوب(١)

=كأنه الليل المظلم وصار خرابا، فضربت العرب به المثل فقالوا: وادي الحمار، وجوف العير، تقفر مضلة، أي لا يهتدي للسير فيه، والسامي: الفرس المشرف المرتفع، والساهم هنا: القليل لحم الوجه؛ وهو أيضاً المتغير اللون الضامر، ويستحب سهوم وجه الفرس، والحسان: الحسن؛ وهو المبالغة في الوصف بالحسن.

الأعطاف: الجوانب، وركنه: منكبه؛ وكانوا إذا صاروا في غزو يركبون المطايا من الإبل ويقودون الخيل ليوفروا قوتها ونشاطها إلى أن يحتاجوا إلى استعمالها، فوصف أن الفرس كان يدافع المطي كلما قربت منه ودنت إليه، وشبهه لتثنيه بين الإبل، وميله يمينا وشمالا بغصن ناعم يتثنى بين أغصان.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

الغارة الشعواء: المتفرقة، والجرداء: الفرس القصيرة الشعر، والمعروقة اللحيين: القليلة لحم الخدين، وسرحوب: طويلة مشرفة.

هاديها، يعني أولها؛ وها هنا يريد العنق، زوراء، يريد منحرفة على غير استواء؛ وإنما جعلها كذلك لإشراف عنقها، والقعو: فلكة البكرة.

التجبيب: التحجيل إذا بلغ إلى أوظفة اليدين والرجلين.

الرقاق: ما رق من الأرض، والركض فيه صعب، يقال: الرقاق من الأرض المستوي،=

والعين قادحة واليد سابحة والرجل طامحة واللون غربيب
والماءَ منهمر والشد منحدر والقصب مضطمر والمتن ملحوب
كأنها حين فاض الماء واحتفلت صقعاء لاح لها بالسرحة الذيب
فأبصرت شخصه من رأس مرقبة ودون موقعها منه شناخيب
صبت عليه وما تنصب من أمم إن الشقاء على الأشقين مصبوب
كالدلو بتت عراها وهي مثقلة وخانها وذم منها وتكريب(١)

=والضرم: المتوقد، يقول: هي تحرق فيه بالجري لا تباليه؛ ونسب الرقاق إليها وأضافه لأنها تعدو فيه والخذم السريع المتقطع،والزيم: القطع، والمقبوب: الضامر،وبه توصف الخيل العتاق.

(١) قادحة: يريد غائرة، واليد سابحة: إذا مدت يديها فكأنها تسبح، كما يسبح السابح في الماد يريد السرعة، طامحة: أي سريعة الدفع، غربيب: يريد السواد، يعنى أنها دهماء.

والماء منهمر، يريد السائل المتصل، ليس بالقطر، وإنما يريد ها هنا بالماء العرق، وهذا خطأ، والقصب: واحد الأقصاب؛ وهي الأمعاء. ومضطمر: ضامر، ملحوب، يعني قليل اللحم؛ يقال: قد لحب متنه إذا ذهب؛ وإنما أراد موضع القصب.

احتفلت يعنى اجتهدت في العدو، والصقعاء: العقاب، وإنما سميت صقعاء لبياض في أعلى رأسها، والسرحة: الشجرة الضخمة، فاض الماء: يريد العرق، ويقال: السرحة ها هنا: اسم موضع معروف قالوا: وأصل قوله: احتفلت من امتلاء الضرع من اللبن؛ ويقال: هذه إبل وغنم حفل إذا امتلأت ضروعها لبناً.

مرقبة: موضع مشرف، يعني أن العقاب أبصرت خيال الذئب. والشناخيب: رءوس في أعالي الجبال لا يعلو عليها إلا ما طار، والواحد شنخوب.

يقول: صبت العقاب على الذئب، صبت معناه كما تقول: بعث عليه بعذاب. والأمم: القرب، ويقال: القصد.

كالدلو: يقول: انقضاض هذه العقاب إلى هذا الذئب كالدلو، بتت، أي قطعت، وأراد انقضاض العقاب في السرعة كسرعة انحطاط الدلو المنقطعة أو ذامها، والأوذام: سيور تعلق بعرا الدلو، والواحد وذم، والواحدة وذمة. والتكريب: أن يشد خيط من قنب أو شعر مع الدلو إلى الرشاء – وهو الحبل – ليكون عوناً واستظهاراً متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة أمسكها فلا تقع في البئر؛ وإنما يفعل ذلك بالدلو الضخمة.

ويلمها من هواء الجو طالبة

ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

كالبرق والريح شدا منهما عجبا

ما في اجتهاد عن الإسراع تغبيب[1]

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

ولقد شهدت الخيل وهي كأنها ... بالدارعين نقانق تعدو

تغشى الإكام سنابكاً مسنونة ... مثل المعاول حصدها الحصد

تذر العجاج وراءها متنصبا ... ريعانها وكأنها السبد[2]

---

(١) قول العرب: ويلمه، اللفظ به ذم؛ وهي في الظاهر عندهم مدح.والويل في التفسير: واد في جهنم.والجو:جو السماء؛وهو الفضاء،والهواء:ما مددت فيه بصرك من أعلى. والطالبة: العقاب. وقوله: ولا كهذا: يريد الذئب؛ يقول:ولم أر كنجائه وهربه منها نجاء وهو المطلوب، شبه سرعتها بالبرق والريح، تغبيب: ليست فيهما بقية من السرعة والعدو.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

النقانق: النعام، والواحد نقنق، وإنما سمي بذلك لصوته، وهي النقنقة.

تغشى، أي تغطى، والإكام: التلال المرتفعة، والواحدة أكمة، والسنابك: أطراف حوافر الخيل؛ والواحد سنبك، والمسنونة: المحددة، والمعارك: المناقير، حصدها الحصد؛ يقول: قطعها القطع الذي ليس وراءه غاية.

منتصباً، يريد عالياً، وريعانها: أوائلها، والسبد: العقبان في ألوانها إلى السواد؛ يذهب به إلى السبد وهو الشعر، وتروي: كأنها السند، أي رجال السند.

تجرى بفرسان لهـا ومغـاور كالطير غادية إذا تغدو
جرد عتاق لاكوابـي بالقنـا يخشى لها صدف ولا حرد
تحتى أقب ململم عبل الشوى ويزل عن صهواته اللبد
ضافي السبيب من الذبول كأنه يومـاً على حمـواته البـرد
حر المعذر أشرفت حجباتـه يغشى الروابى راهن فرد(١)

★★★

(١) المغاور والمغاوير: الذين يغيرون في القتال والحروب، واحدهم مغور ومغوار، كالطير، يريد الخيل في سرعتها كالطير.

الكابي: واحد الكوابي؛ وهو الفرس الذي إذا عدا انبهر؛ ويكون ذلك في ضيق مخرج النفس من داء يحدث به، والجرد: الخيل القصيرة الشعر والعتاق: الكرام منها، وقالوا: الكابي: الذي يسقط على وجهه لضعف يكون في يديه، ويروى: لا كوافي بالقنا» يقول: لا تنكفئ، أي لا ترجع، كما تقول: انكفأ فلان على أهله، أي رجع. والصدف: ميل في الحافز، «ولا حرد» جمع أحرد، وهو الذي يضرب بيديه.

الأقب: الضامر البطن، والململم: المجتمع؛ شبه بالحجر الصلب، والعبل: الضخم، والشوى ها هنا: القوائم، والصهوات: جمع صهوة؛ وهو موضع اللبد من الفرس؛ أي ملتقى فروع الكتفين.

الضافي: السابغ الذنب التام في طوله؛ والسبيب شعر الناصية والذنب،وهو ها هنا الذنب، والذبول: الضمر؛ ويروى: «من الذيول»، أراد جمع ذيل؛ شبه الذنب في طوله بالذيل الطويل. والحموات: جمع حماة؛ قال: وهي عضلته التي في ساقه؛ وشبه الذنب بالبرد في سبوغه.

حر المعذر، أي كريم الوجه، والمعذر: مكان العذار، والحجبات: واحدتها حجبة؛ وهي رأس الورك، ويغشى، أي يعلو، والراهن: المتقدم اللاحق، وفرد، أى منفرد، وتروى: ينضو السوابق زاهق، وينضو، أي يسبق، والزاهق: السمين.

***

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

وخيل كأسراب القطاقد وزعتها بذي ميعة ثبت الفؤاد إذا جرى

طويل القرانهد التليل مشذب

سليم الشظاعبل الشوى شنج النسا

أشق شخيص طامح الطرف سابح جواد إذا هيجته عاند الهوى

شديد اعتزام الشد يعطيك عفوه

إذا ابتل بعد الجهد من مائه طغى

إذا ثاب بعد الكبو مر كأنه

حفيف قطاً من رابئ الصيد قد ضفا[1]

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

السرب: سرب القطا، وزعتها، أي كففتها، والميعة: النشاط.

القرا: الظهر، والنهد: المرتفع، والتليل: العنق، والمشذب: القصير الشعر، والشظا: عظيم في يد الفرس، إذا تحرك ضعف عنه. والعبل: الضخم، والشوى: القوائم، والنسا: عرق في باطن الفخذ ينزل إلى الساقين إذا استرخى ضعف رجلاه.

الأشق الطويل، والشخيص:الضامر، والسابح: الذي يمد يديه في الجري، والجواد: السابق.

الشد: العدو، وعفوه: سيره من غير أن يقرع بسوط ولا غيره، وماؤه: عرقه.

ثاب: أي رجع، والكبو: السقوط، والحفيف: الصوت، والرائي: الديدبان، وهو الذي يرقب، أي يحرس، وضفا: ارتفع.

الفصل الثالث

النابغة الذبيانى

* * *

أما النابغة فهو زياد بن معاوية،ويكنى أبا أمامة،ويقال:أبا ثمامة.

عاش في النصف الأخير من القرن السابق على ظهور الإسلام، ونادم ملوك الحيرة، المنذرين الثالث والرابع، والنعمان بن المنذر أبا قابوس، واستوجب سخط الأخير عليه، لما يروى من أنه وصف يوماً حسن زوجة النعمان في شعر أثار غيرته، وغضبه، ولكن حقيقة الأمر - فيما يبدو - وهي أن النابغة كان قد واصل بني غسان في دمشق، وهم أعداء اللخميين، فظن النعمان به الغدر، وعدم الوفاء له، وهرب النابغة منه، فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث، وأكرمه عمرو، وابنه النعمان، فلما مات النعمان بن عمرو بن الحارث رجع النابغة إلى الحيرة ونال عفو أبي قابوس، وحظوته من جديد، ولكنه لم يتمتع طويلاً بذلك، فقد وقع أبو قابوس بعد ذلك بقليل في أسر خسرو الثاني، الملك الساساني في فارس، ولم يلبث أن مات، وحينئذ رجع النابغة إلى قبيلته بني ذبيان، الذين كان يرعى مصالحهم دائماً عند أولي حظوته من الأمراء، وبقي هناك إلى أن مات[(١)].

وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً.

أنشد عيسى بن عمر عامر بن عبد الملك المسمعي شعر النابغة،

---

(١) تاريخ الأدب الاعربي، بروكلمان ١/ ٨٨ - ٨٩.

فقلت: يا أبا عبد الله، هذا والله الشعر، لا قول الأعشى:

لسنا نقاتل بالعصـ ى ولا نرامى بالحجاره

ويقال: كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كان شعره ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعد ما احتنك، وهلك قبل أن يهتر.

* * *

ويقال:وكان يقوى فى شعره،فعيب ذلك عليه وأسمعوه فى غناء[1]:

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زادٍ وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود

ففطن فلم يعد.

* * *

قال الشعبى:[2] دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فأظلم ما بينى وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلتى! فقال: هذا الأخطل، فقلت: أشعر منه الذى يقول:

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى ص٢٧،الأغانى ٩/١٥٦-١٥٧،الشعر والشعراء ١/١٥٧.
(٢) الأغانى ٩/ ١٦١ - ١٦٥، خزانة الأدب ١/ ٢٨٨، الشعر والشعراء ١/ ١٥٨.

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام[1]

للحارث الأكبر والحارث ال أصغر والأعرج خير الأنام

ثم لهندٍ ولهندٍ وقد ينجع فى الروضات ماء الغمام

ستة آبائهم ما هم هم خير من يشرب صفو المدام

فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر منى، فقال لى عبد الملك: ما تقول فى النابغة؟ قلت: قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرةٍ، خرج وببابه وفد غطفان فقال: أى شعرائكم الذى يقول:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابى على خوف تظن بى الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة، قال: فأى شعرائكم الذى يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا؛ النابغة. قال: فأى شعرائكم الذى يقول:

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٣٧١.

ويروى «وازع»، قالوا: النابغة، قال: هذا أشعر شعرائكم.

* * *

قال حسان[1]: وفدت على النعمان بن المنذر فمدحته، فأجازني وأكرمني، فإني لجالس عنده ذات يوم إذا صوت من خلف قبته يقول:

أنام أم يسمع رب القبه ... يا أوهب الناس لعنس صلبه

ضرابة بالمشفر الأذبه ... ذات نجاءٍ في يديها جذبه[2]

قال: أبو ثمامة! فدخل،فأنشده قصيدته التي على الباء والتي على العين، وكان يوم ترد فيه النعم السود، ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له، فأمر له منها بمائة بعير معها رعاؤها ومظالها وكلابها، فلم أدر على ما أحسده؟ على جودة شعره، أم على جزيل عطيته؟!

* * *

ومكث النابغة زماناً لا يقول الشعر، فأمر يوماً بغسل ثيابه وعصب حاجبيه على عينيه، فلما نظر إلى الناس قال:

المرء يأمل أن يعيـ ... ـش، وطول عيش ما يضره

(١) الأغاني ٩/ ١٩، الشعر والشعراء ١/ ١٥٩.
(٢) الأذبة: جمع قلة لذباب، النجاء: السرعة في السير، اللسان ١/ ٤٦٨.

تفنى بشاشته ، ويبـ قى بعد حلو العيش مره

وتخونه الأيام حتـ ى لا يرى شيئاً يسره

كم شامت بى إن هلكـ ـت ، وقائل : لله دره

***

ومما يتمثل به من شعره:

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الأسد

تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان[١].

وقوله:

فلو كفى اليمين بغتك خوناً لأفردت اليمين من الشمال

أخذه المثقب العبدى فقال:

ولو أنى تخالفنى شمالى بنصرٍ لم تصاحبها يمينى

وقوله:

فحملتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع[٢]

---

(١) الخزانة ١/ ٢٨٨، الشعر والشعراء ١/ ١٦٠.

(٢) العر: قروح مثل القوباء تصيب الإبل فتكوى، أو الجرب.

أخذه الكميت فقال:

ولا أكوى الصحاح براتعات بهن العر قبلى ما كوينا[1]

وقوله:

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعض بغاربٍ ملحاحا

أخذه ابن ميادة فقال:

ما إن ألح على الإخوان أسألهم كما يلح بعض الغارب القتب[2]

ويقال إن النابغة هجا النعمان بقوله:

قبح الله ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

والصائغ هو عطية، أبو سلمى، أم النعمان.

* * *

وكانت العرب تضرب أمثالاً على ألسنة الهوام.

قال المفضل الضبى:يقال امتنعت بلدة على أهلها بسبب حية غلبت

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٤٣٣، الشعر والشعراء ١/ ١٦٠.

(٢) الأغانى ١١/ ١٣، الشعر والشعراء ١/ ١٦١.

القتب: إكاف البعير، الغارب: الكاهل من ذى الخف ما بين السنان والعنق.

عليها، فخرج أخوان يريدانها، فوثبت على أحدهما فقتلته، فتمكن لها أخوه في السلاح، فقالت: هل لك أن تؤمنني فأعطيك كل يوم ديناراً؟ فأجابها إلى ذلك حتى أثرى، ثم ذكر أخاه، فقال: كيف يهنئني العيش بعد أخي؟ فأخذ فأساً وصار إلى جحرها، فتمكن لها، فلما خرجت ضربها على رأسها، فأثر فيه ولم يمعن، ثم طلب الدينار حين فاته قتلها! فقالت: إنه ما دام هذا القبر بفنائي وهذه الضربة برأسي فلست آمنك على نفسي! فقال النابغة في ذلك:(١)

تذكر أني يجعل الله فرصة — فيصبح ذا مال ويقتل واتره

فلما وقاها الله ضربة فأسه — وللبر عين لا تغمض ناظره

فقالت: معاذ الله أعطيك إنني — رأيتك غداراً يمينك فاجره

أبى لي قبر لا يزال مقابلي — وضربة فأس فوق رأسي فاقره

ومما أخذ منه قوله:

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ — عبد الإله صرورة متعبد

لرنا لبهجتها وحسن حديثها — ولخاله رشداً وإن لم يرشد

أخذه ربيعة بن مقروم الضبي فقال(٢):

---

(١) أمثال العرب ٨٤ - ٨٥.
(٢) الأغاني ١٩/ ٩٢ - ٩٣.

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ　　في رأس مشرفة الذرى يتبتل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها　　ولهم من ناموسه يتنزل

ومما يتمثل به أيضاً من شعره:

ومن عصاك فعاقبه معاقبة　　تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وهو الذل والهوان. قال أوس بن حارثة: «المنيه، ولا الدنيه، والنار، ولا العار».

وقال النابغة في العفة، وهو أحسن ما قيل فيه:

رقاق النعال طيب حجزاتهم　　يحيون بالريحان يوم السباسب(١)

أخذه عدى بن زيد فقال:

أجل أن الله قد فضلكم　　فوق من أحكى بصلبٍ وإزار

فالصلب: الحسب، والإزار: العفاف.

وفي أمثالهم «أصدق من قطاة»(٢) قال النابغة:

تدعو القطا وبها تدعى إذا نسبت　　يا حسنها حين تدعوها فتنتسب

---

(١) خزانة الأدب ٤/ ١٤٧، الشعر والشعراء ١/ ١٦٣.
(٢) مجمع الأمثال ١/ ٣٦١

وذلك لأنها تلفظ باسمها، أخذه أبو نواس فقال:

* أصدق من قول قطاة قطا *

* * *

وسمى النابغة بقوله:

* فقد نبغت لنا منهم شؤون *

وكان شريفاً فغض منه الشعر. وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجده، وكانوا له مكرمين.

* * *

قال حسان بن ثابت(١): رحلت إلى النعمان، فلقيت رجلاً فقال: أين تريد؟ فقلت: هذا الملك، قال: فإنك إذا جئته متروك شهراً، ثم يسأل عنك رأس الشهر، ثم أنت متروك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذن لك، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه، وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاظعن، فإنه لا شئ لك. قال: فقدمت عليه، ففعل بى ما قال، ثم خلوت به وأصبت منه مالاً كثيراً ونادمته، فبينما أنا معه فى قبة إذ جاء رجل يرجز حول القبة:

(١) الأغانى ٩/ ١٦٩، الشعر والشعراء ١٦٤.

أئمت أم تسمع رب القبه　　يا أوهب الناس لعنس صلبه

ضرابةٍ بالمشفر الأذبه　　ذات هبابٍ فى يديها جلبه

فقال النعمان: أبو أمامة! فأذنوا له، فدخل فحياه وشرب معه، ووردت النعم السود، ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعلم مكانه، ولا يفتحل أحد فحلاً أسود، فأستأذنه أن ينشده، فأنشده كلمته التى يقول فيها:

فإنك شمس والملوك كواكب　　إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فدفع إليه مائة ناقة من الإبل السود، فيها رعاؤها، فما حسدت أحداً حسدى النابغة . لما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل شعره.

ثم إن النعمان بلغ عنه شيئاً، فنذر دمه، فسار النابغة إلى ملوك غسان. وقد اختلفوا فى السبب الذى بلغه عنه، فقال قوم: ذكروا أنه هجاه فقال:

ملك يلاعب أمه وقطينه　　رخو المفاصل ....(١)

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها:

قبح الله ثم ثنى بلعـن　　وارث الصائغ الجبان الجهولا

---

(٢) الأغانى ٩/ ١٥٨، ٢١/ ١٣١.

من يضر الأدنى ويعجز عن ضر الأقاصى ومن يخون الخليلا

يجمعَ الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا

ووارث الصائغ هو النعمان بن المنذر، وكان الصائغ جد النعمان بن المنذر، وأمه سلمى بنته، واسمه عطية، ومنزله فدك.

ويقال إن هذا الشعر والذى قبله لم يقله النابغة، وإنما قاله على لسان قوم حسدوه.

ويقال: كان السبب فى مفارقته إياه ومصيره إلى غسان أن النعمان قال له وعنده المتجردة امرأته: صفها لى فى شعرك يا أبا أمامة! فقال قصيدته التى أولها: * أمن آل مية رائح أو مغتد *

وكان للنعمان نديم يقال له المنخل اليكشرى يتهم بالمتجردة، فلما سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان: ما أوغر صدره من النابغة، وبلغ النابغة ذلك، فخافه فهرب إلى غسان، فصار فيهم. وانقطع إلى عمرو بن الحرث الأصغر الغسانى،وإلى أخيه النعمان بن الحرث،فأقام النابغة فيهم فامتدحهم، فغم ذلك النعمان،وبلغه أن الذى قذف به عنده باطل، فبعث إليه: إنك صرت إلى قوم قتلوا جدى فأقمت فيهم تمدحهم، ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن، إن كنا أردنا بك ما ظننت، وسأله أن يعود إليه. فقال شعره الذى يعتذر فيه، وقدم عليه مع زبان بن سيار ومنظور بن سيار الفزاريين، وكان بينهما وبين

النعمان دخلل، فضرب لهما قبة، ولا يشعر أن النابغة معهما، ودس النابغة أبياتاً من قصيدته:

* يا دار مية بالعلياء فالسند *

وهي:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ... ولا قرار على زأر من الأسد
مهلا فداء لك الأقوام كلهم ... وما أثمر من مال ومن ولد
فلا لعمر الذي مسحت كعبته ... وما أريق على الأنصاب من جسد
ما إن بدأت بشيئ أنت تكرهه ... إذن فلا رفعت سوطي إلي يدي

فلما سمع النعمان الشعر أقسم بالله إنه لشعر النابغة، وسأل عنه، فأخبر أنه مع الفزاريين، وكلماه فيه فأمنه[١].

* * *

وكان النابغة يضرب له قبة حمراء من أدمٍ بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

* * *

وقال أبو عبيدة: يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء: هو

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٦٧.

أوضحهم كلاماً، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم مطالع، ولشعره ديباجة، إن شئت قلت: ليس بشعر مولف، من تأنثه ولينه، وإن شئت قلت: صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كان الأخطل يشبه بالنابغة. وكان يقوى فى شعره، فدخل يثرب فغنى بشعره، ففطن فلم يعد للإقواء.

***

ومما سبق إليه النابغة فأخذ منه قوله فى المرأة: * لو أنها عرضت * البيتين. أخذه بعض شعراء ضبة، وأحسبه ربيعة بن مقروم فقال:

* لو أنها * البيتين. وقال النابغة: * فاستبق ودك * البيت. أخذه ابن ميادة فقال * ما إن ألح * البيت

***

ومما أخذه العلماء عليه قوله فى صفة الثور:

تحيد عن أستن سود أسافله   مشى الإماء الغوادى تحمل الحزما[1]

قال الأصمعى: وإنما توصف الإماء فى مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو، لأنهن يجئن بالحطب إذا رحن،ومثله قول الأخنس التغلبى[2]:

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٦٨، اللسان ١٧/ ٦٤. الأستن: شجر يكثر فى منابته.

(٢) شاعر جاهلى قديم، قبل الإسلام بدهر.

يظل بها ربد النعام كأنها إماء تزجى بالعشى حواطب[1]

وقال بعض من طلب له التخرج: إنما أراد أن الإماء تغدو لحمل الحزم رواحاً.

وأخذوا عليه قوله:

تخب إلى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريفى وتالدى
وكنت امرءاً لا أمدح الدهر سوقة فلست على خير أتاك بحاسد

فامتن عليه بمدحه، وجعله خيراً سيق إليه لا يحسده عليه[2].

وأخذوا عليه قوله:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب

جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين، والطير قد تتبع العساكر للقتلي، ولكنها لا تعلم أيها يغلب.

وأخذوا عليه قوله فى وصف السيوف[3]:

---

(١) تزجى: تساق. وقيل «تزجى» بفتح التاء بالبناء للفاعل، أى تتزجى، وهو غير جيد. الموشح ص ٤٣ - ٤٤.
(٢) الموشح ص ٤٤.
(٣) الديوان ٥، ٧.

يطير فضاضاً حولها كل قونس ويتبعها منهم فراش الحواجب[1]

تفد السلوقى المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب[2]

وذكر أنها تقد الدروع التى ضوعف نسجها والفارس والفرس، حتى تبلغ الأرض فتنقدح النار بها من الحجارة.

وقال صالح بن حسان لجلسائه: أعلمتم أن النابغة كان مخنثاً؟! قالوا: وكيف علمت بذلك؟ قال: بقوله[3]:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

لا والله ما عرف تلك الإشارة إلا مخنث[4]!!

وقد سبق فى صفة الثور إلى معنى لم يحسن فيه، وأحسن فيه غيره، قال يذكره[5]:

مـــن وحش وجــرة موشى أكارعــه

طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد[6]

---

(١) الفضاض: ما انفض وتكسر. القونس: أعلى البيضة من الحديد. الفراش: العظم الرقيق فى الرأس أو غيره. اللسان ٩: ٧١، ٨: ٢١٩.

(٢) السلوقى: الدرع، منسوب إلى «سلوق» قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب. الصفاح: حجارة عراض. نار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة. اللسان ١: ٢٨٨ و ١٢: ٢٩، والبلدان ٥: ١٥، اللسان ٣: ٣٤٥.

(٣) الديوان ٣٠. (٤) الموشح ٤٢ - ٤٣، الشعر والشعراء ١/ ١٧٠.

(٥) الديوان ١٨.

(٦) وجرة: موضع بين مكة والبصرة كثير الوحش. موشى أكارعه: هو أبيض وفى قوائمه نقط سود. المصير: المعى، جمعه مصران، وجمع الجمع مصارين. الفرد، بفتحتين وبضمتين وبفتح فضم أو فكسر: المنفرد. وفسر الفرد، بفتح فكسر، بأنه المسلول من غمده.

أراد بالفرد: أنه مسلول من غمده، وأخذه الطرماح فأحسن، قال يذكر الثور:

يبدو وتضمره البلاد كأنه   سيف على شرف يسل ويغمد

وكان الأصمعى يستحسن قول الطرماح.

وأفرط فى وصف العنق بالطول، فقال يذكر امرأة:

إذا ارتعثت خاف الجبان رعاثها   ومن يتعلق حيث علق يفرق

والرعاث: القرط. وقال غيره فأحسن:

على أن حجليها وإن قلت أوسعا   صموتان من ملء وقلة منطق[1]

ومما سبق إليه ولم ينازعه قوله:[2]

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال:

خطاطيف حجن فى حبالٍ متينةٍ   تمد بها أيد إليك نوازع

قال أبو محمد: رأيت قوماً يستجيدونه. وهو عندى غير جيد فى المعنى ولا التشبيه.

---

(١) الحجل، بكسر الحاء وفتحها: الخلخال.   (٢) الديوان ٥٥.

وكان الأصمعى يكثر التعجب من قوله:[1]

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته وهل على بأن أخشاك من عار

قال: ومما سبق إليه ولم يجاذبه قوله فى أول شعره:

* كلينى لهم يا أميمة ناصب *

* * *

قالوا: وقايس فى شعره فأحسن، قال النعمان حين فارقه:

ولكننى كنت امرأ لى جانب من الأرض فيه مستماز ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب

كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم ولم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا

يقول: اجعلنى كقوم صاروا إليك وكانوا مع غيرك، فاصطنعتهم وأحسنت إليهم، ولم ترهم مذنبين إذ فارقوا من كانوا معه، يقول: فأنا مثلهم، صرت عنك إلى غيرك، فاصطنع إلى، فلا ترانى مذنباً إذ لم تر أولئك مذنبين.

* * *

(١) الديوان ٤٤، الشعر والشعراء ١/ ١٧١.

ومن جيد شعره قوله:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه   على شعث، أى الرجال المهذب؟

يقول: من لم تصلحه وتقومه من الناس فلست بمستبقيه ولا راغب فيه[1].

ويستجاد له قوله فى صفة المرأة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها   نظر السقيم إلى وجوه العود

يقول: نظرت إليك ولم تقدر أن تكلمك، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده، ولا يقدر أن يكلمهم.

ويستجاد له قوله:

تكلفنى أن يفعل الدهر همها   وهل وجدت قبلى على الدهر قادراً[2]

* * *

ومما أكفأ فيه قوله فى قصيدة مجرورة، أولها:

قالت بنو عامر: خالوا بنى أسد   يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

(١) لسان العرب ٢/ ٤٦٦، الشعر والشعراء ١/ ١٧٢.
(٢) الشعر والشعراء ١/ ١٧٣.

وقال فيها:

تبدو كواكبه والشمس طالعة   لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وقال فى قصيدته التى أولها: * أمن آل مية رائح أو مغتد *

* وبذاك خبرنا الغراب الأسود *

***

وحكى الأصمعى عن أبى طرفة: كفاك من الشعر أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذ رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب، وجرير إذا غضب[1].

وقال يونس بن حبيب: امرؤ القيس إذ ركب[2].

وروى أن عمرو بن العلاء كان يقدم النابغة بعد امرئ القيس[3].

ويرى الدكتور طه حسين أن المنحول كثير فى ديوان النابغة، لأن طابع الدرس، والاختيار الواعى يبرز فيه بقوة[4].

---

(١) العمدة ١/ ٧٨.
(٢) معالم النقد الأدبى ص ١٣٢.
(٣) محاضرات الأدباء ص ٤٠، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ١/ ٩٠.
(٤) فى الأدب الجاهلى ص ٣٣٦ وما بعدها، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ١/ ٩٠.

***

أما الأمثلة التى تؤكد قول الهمذانى على لسان البطل عن النابغة فهى كثيرة، نذكر منها ما يلى:

قال النابغة يمدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه فيما وشى به بنو قريع فى أمر المتجردة:

فتلك تبلغنى النعمـــان ، إن له
فضلاً على الناس فى الأدنى وفى البعد
ولا أرى فاعلاً فى الناس يشبهه
ولا أحاشى من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإله له   قم فى البرية فاحددها على الفند[1]

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى، ص ٢٠ - ٢٧.

«فتلك تبلغنى النعمان»، أى تلك الناقة التى تشبه هذا الثور فى قوته ونشاطه تبلغنى النعمان، وهو اسم الملك، «فى الأدنى وفى البعد»، أى فى القريب والبعيد، «إن له فضلاً»: يُحتمل أن يريد التفضل على القريب والبعيد، ويحتمل أن يريد الرفعة؛ إذ هو يفضل جميع الناس.

«ولا أرى فاعلاً»، أى لا أرى أحداً يفعل فعلاً كريماً يشبهه فى فعله، «ولا أحاشى»، أى لا أستثنى فأقول: حاشا فلاناً فهويشبهه فى فعل الخير.

«إلا سليمان» استثناء من القوم المنفى عنهم شبه النعمان، «احددها»، أى امنعها. و«الفند»: الخطأ فى القول والفعل وغير ذلك؛ مما يفند صاحبه عليه يلام. ومعنى قوله: «قم فى البرية»، أى انظر فى مصالحها واجتهد فى إرشادها.

وخيس الجن؛ إنى قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد

فمن أطاعك فانفعه بطاعته   كما أطاعك، وادلله على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة   تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

إلا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأمد

أعطى لفارهة حلوٍ توابعها   من المواهب لا تعطى على نكد

الواهب المائة المعكاء زينها   سعدان توضح فى أوبارها اللبد[1]

---

(١) «وخيس الجن؛ إنى قد أذنت لهم يبنون»، أى ذللهم، ومنه سمى السجن مخيساً. و«الصفاح»: حجارة كالصفائح عراض. و«تدمر»: مدينة بالشام، فيها بناء لسليمان بن داود عليهما السلام. و«العمد»: أساطين الرخام، وهى السوارى.

و«الرشد»: الرشد؛ يقال: رشد ورشد.

الضمد: الذل والغيظ والحقد، وقيل: هو الظلم، وقيل: هو شدة الغضب والحقد، أي لا تنطوى على حقد وغضب إلا لمن هو مثلك فى الناس، أو قريب منك.

حكى عن الأصمعى: «إلا لمثلك»، أى إلا لرجل فى مثل حالك أو من فضلك عليه كفضل السابق على المصلى، أى ليس بينك وبينه فى الفضل إلا يسير، بمقدار ما بين السابق والمصلى من الخيل. ومعنى استولى عليه: غلبه. والأمد: الغاية التى يجرى إليها. وقال ابن الأعرابى: زعم النابغة أن الله تبارك وتعالى قال هذا لسليمان، وقال: لا أدرى ما معناه، وإنما أراد حض النعمان على أن يقعد عنه، ولا يضمر له حقداً؛ لأنه ليس له مثله ولا قريباً منه.

«أعطى لفارهة» مردود على قوله: «ولا أرى فاعلاً أعطى لفارهة منه»، والفارهة: الناقة الكريمة، أو العطية الحسنة. و«توابعها»: ما تبعها من المطايا. وقوله: «حلو توابعها»، أى متيسرة هينة، لم يمدها مطل ولا امتنان. والنكد: الضيق والعسر، ويروى: «لا تعطى على حسد»، أى لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترغب فيها.

«الواهب المائة المعكاء»، يعنى أنه يهب المائة من الإبل، والمعكاء: الغلاظ السمان الشداد، وهو اسم لا يثنى ولا يجمع، وأظنه من عكوة الإزار وهو جفاؤه بعد شده. والسعدان: نبت=

والأدم قد خيست فتلاً مرافقها

مشدودةً برحال الحيرة الجدد

والراكضات ذيول الريط فانقها

برد الهواجر كالغزلان بالجرد

والخيل تمزع غرباً فى أعنتها

كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد

= من أنجع ما ترعاه الإبل، ومنه قيل: «مرعى ولا كالسعدان». وتوضح: موضع بالحمى، وكانت إبل الملوك ترعاه؛ فلذلك ذكره، «فى أوبارها اللبد»، يريد أنها إبل سائمة مهملة فى المرعى، لا تستعمل ظهورها؛ فأوبارها متلبدة لذلك. واللبد: جمع لبدة، التقدير يريد أوبارها ذات اللبد.

(١) الأدم من الإبل: البيض، ومن النساء: السمر. ومعنى «خيست» ذللت بالركوب، والفتل: التى بانت مرافقها عن آباطها، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكث، وهو جرح يصيب كراكرها، إذا صكتها مرافقها؛ فربما امتنعت من السير لذلك. والحيرة: مدينة النعمان، وإليها تنسب الرحال.

«والراكضات ذيول الريط»، يعنى الجوارى يركضن بأرجلهن مآخر الريط؛ لسبوغه عليهن، وتبخترهن فيه. والريط: الملاحف البيض. ومعنى «فانقها» نعم عيشها. وقوله: «برد الهواجر»، أى هى فى الهواجر فى موضع بارد؛ فلا يؤذها وهج الشمس. ثم شبههن بالغزلان فى طول الأعناق، وضمر الخصور، وحسن العيون. والجرد: أرض جرداء لا شجر فيها ولا نبات؛ وإنما خصه لأن الغزلان إذا كانت به بدت محاسنها للناظر، ولم يحجبها عنه شئ.

هو يهب المائة المعكاء، ويهب الراكضات، ويهب الخيل، «تمزع»، أى تسرع فى سيرها. والغرب: الحدة والنشاط. وشبه الخيل به فى سرعتها بطير أصابها مطر شديد فيه برد؛ فهى تنجو وتسرع إلى مواضع تقيها من المطر والبرد. والشؤبوب: دفعة المطر وشدته.

احكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد

يحفه جانباً نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد[1]

---

(١) «احكم»، أى كن حكيماً فى أمرك، مصيباً فى الرأى، ولا تقبل ممن سعى إليك كفتاة الحى إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه، ولم يرد الحكم فى القضاء. وحكى عن الأصمعى أنه سمع قوماً من أهل البادية يحدثون أن بنت الخس كانت قاعدة فى جوار، فمر بها قطاً واردة فى مضيق من الجبل، فقالت:

يا ليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه

إلى قطاة أهلنا إذاً لنا قطاً ميه

(وحكى عن أبى عبيدة) أن هذه زرقاء اليمامة، كانت من بقية طسم وجديس، وكانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت لها قطاة، ومر بها سرب من قطا بين جبلين، فقال: ليت هذا الحمام لنا ونصفه إلى حمامتنا، فيتم لنا مائة، فنظر فإذا هى كما قالت. وأرادت بالحمام القطا، وكان ستاً وستين؛ يقال: إنها وقعت فى شبكة صائد، فأخذها فعرف عددها.

وذكر أبو حاتم أيضاً أنها زرقاء اليمامة، وأنها قالت:

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه

والثمد: الماء القليل. والشراع: القاصدة إلى الماء.

«يحفه جانباً نيق»، أى يحيط به من جانبيه. والنيق: الجبل. وإذا كان الحمام بين حاقتى الجبل ضاق عليه الموضع، وركب بعضه بعضاً، فكان أشد وأبعد، ولو كان فى سعة كان أهون عليها فى العدد وأيسر، ثم أخبر أنها أسرعت حساباً فى عدده مع شدته وتعذره، فقال:

* وأسرعت حسبة فى ذلك العدد *

«وتتبعه مثل الزجاجة»، أى عينها صافية كصفاء الزجاجة. ومعنى قوله: «لم تكحل من الرمد»، أى لم يصبها رمد فتكحل، ويحتمل أن يريد أنها كحلت بغير رمد؛ لزينة أو نحوه.

«فقد»، أى حسبى. حسبوا القطا وضموا إليه نصفه، فألفوه تسعاً وتسعين، كما حسبت، «وأسرعت حسبه»، أى أسرعت فى حساب القطا مع طيرانه وتراكبه، فكان ذلك كحكم هذه؛ إذ صدقت فى عدده على هذه الحال.

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد
فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد
ما قلت من سيئ مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
إلا مقالة أقوام شقيت بها كانت مقالتهم قرعاً على الكبد
أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد(١)

(١) الحسبة بالكسر هيئة الفعل، وبالفتح المرة الواحدة. «مسحت كعبته»، أي أتيت بيته وطفت به، والكعبة: كل بيت مربع؛ وبه سميت الكعبة. والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون عليها العتائر لآلهتهم. والجسد: الدم اللازق.

«والمؤمن العائذات»، يعني الله تبارك وتعالى أمنها أن تهاج أو تصاد في الحرم والعائذات: التي عاذت بالحرم. و«الغيل»: الشجر الملتف، وكذلك «السعد». وقال الأصمعي: لا يقال: الغيل هنا إنما هو عين الغيل والسعد، والغيل: ماء يجري في أصل أبي قبيس، فيغسل فيه القصارون. وقوله: «تمسحها»، أي يمرون عليها، لا يهيجها أحد ولا ينفرها.

«ما قلت من سيئ» جواب قوله: «فلا لعمر الذي مسحت كعبته» وقوله: «فلا رفعت سوطي إلى يدي»، يقول: إذا فشلت يدي حتى لا أطيق رفع السوط. وإنما خص السوط؛ لأنه خفيف المحمل مع كثرة احتياجه إليه، لحث المطي في السفر، والنهوض إلى الغارة، ونحو ذلك.

«إلا مقالة أقوام» المعنى: ما قلت شيئاً مما أتوك به عني، لكنهم قالوا مقالة شقيت بها عندك. وقوله: «قرعاً على الكبد»، أي اشتدت على مقالتهم، وهتكت من أجلها، فكأنها قرعت كبدي بذلك.

أبو قابوس هو النعمان بن المنذر. ومعنى «أوعدني» هددني وزأر الأسد وزئيره: صوته ووعيده. يقول: وعيد النعمان لا تستقر معه نفسي ولا تطمئن؛ هيبة له، كما لا تطيق ولا تسكن على زئير الأسد.

مهلاً فداء لك الأقوام كلهم ... وما أثمر من مال ومن ولد

لا تقذفني بركن لا كفاء له ... وإن تأثفك الأعداء بالرفد

فما الفرات إذا هب الرياح له ... ترمي غواربه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب ... فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصماً ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد

يوماً بأجود منه سيب نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد(١)

---

(١) «مهلا فداء لك»، أى تثبت في أمري ولا تعجل علي. «وما أثمر من مال»، أي أكثر وأصلح، «لا تقذفني بركن لا كفاء له». أي لا ترميني بنفسك؛ فإنه لا مثل لك، وإنما ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة؛ لأنه موضعها، «تأثفك»، أي اجتمعوا حولك واحتوشوك، مثل الأثافي، متعاونين علي. و«الرفد»: أن يترافد عليه أعداؤه الذين وشوا به، أي يتعاونون عليه؛ فالأعداء على هذا أعداء النابغة. وفيه معنى آخر، وهو أنه يريد: لا ترميني بما لا أطيق منك، ولا يقوم إليه أحد، ولا يكافئك فيه أعداؤك، ولو أحاطوا بك متعاونين عليك.

«فما الفرات»، يقول: ليس هذا النهر في أكمل أحواله بأجود منك. والغوارب: الأعوا[ج]، وعبر الوادي: جانباه، سميا بذلك لأنه يسبر إليهما. والزبد: ما يطرحه الوادي، إذا جاش ماؤه، واضطربت أمواجه.

(١) «يمده كل واد»، أي يزيد فيه ويقويه. والمترع: المملوء. واللجب: المصوت؛ لشدة جريه وقوة سيله. والركام: ما تراكم بعضه على بعض، أي تراكب. والينبوت والخضد: نبتان، وقيل: الينبوت شجر الخروب، وقيل: الخضد: كل ما تكسر من الشجر وغيره.

«يظل من خوفه»، أى من خوف الفرات؛ لاضطراب أمواجه، وشدة هوله. والمعتصم: المستمسك. والخيزرانة ها هنا: سكان السفينة،وقيل: هي المردى،وهو أيضاً من أعواد المركب. وكل خشبة ناعمة لينة فهي خيزرانة. والأين: الفترة والإعياء. والنجد: العرق والكرب.

«يوماً بأجود منه» متصل بقوله: «فما الفرات». والسيب: العطاء. والنافلة: الفضل، وكل شئ ليس بواجب وتطوع به فهو نافلة؛ وإنما خص النافلة ليبالغ في المدح؛ لأنه إذا أكثر=

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً

فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد

ها إن ذى عذرة إلا تكن نفعت

فإن صاحبها مشارك الذكر(١)

***

وقال النابغة يمدح النعمان ويعتذر إليه، ويهجو:

وقد حال هم دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع(١)

= من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب. «دون غد»، أي إذا أعطاك اليوم لم يمنعه ذلك من إعطائك غداً عطية أخرى. والتقدير: لا يحول عطاؤه في اليوم دون عطائه في غد.

«فإن تسمع به حسناً»،أى تسمع بسماعه إياك قولاً حسناً، «أبيت اللعن»،هي تحية كانوا يحيون بها الملوك، ومعناه:أبيت أن تأتي من الأمور ما تذم به،وتلعن عليه. والصفد: العطاء جزاءً، ومثله الشكم، فعله: أصفدته إصفاداً.والصفد الاسم، ويقال: صفده يصفده،إذا أوثقه. وقوله: «فلم أعرض»، أي لم أمدحك، تعرضاً لمعروفك، لكن اعتذاراً إليك، وإقراراً بفضلك.

ها إن ذي عذرة: أي هذه معذرة إليك، وتبرؤ مما وشيت به عندك.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٢ - ٣٩.

الشغاف: حجاب القلب ووعاؤه الذي يكون فيه، وهو أيضاً داء يأخذ تحت شراسيف الضلوع، في الشق الأيمن. يقول: لقد حال دون ما أنا عليه من الصبابة والبكاء على الديار هم داخل فؤادي ولابسه، وحل منه محل الشغاف الذي هو حجابه، أو حل مني مكان هذا الداء، «تبتغيه الأصابع» أي أصابع الأطباء المعالجين.

«وعيد أبي قابوس» بين به سبب الهم الذي داخله، «في غير كنهه»، أي جاءني وعيده=

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد من ليل التمام سليمها لحلى النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني

وتلك التي تستك منها المسامع(١)

= بي غير قدر الوعيد، وفي غير حقيقته، أي لم أكن بلغت ما يغضب علي فيه، ويوعدني من أجله. و«راكس»: واد. و «الضواجع»: جمع ضاجعة، وهي منحنى الوادي ومنعطفه. يقول: أتاني وعيده على غير ذنب أذنبته، فبت كالملدوغ خوفاً منه ورهبة، على أني ناء عنه، وبيني وبينهم راكس والضواجع، وكأنها نائية عن بلاد النعمان.

(١) «ساورتني»، أي واثبتني - والضئيلة: حية دقيقة قد أتت عليها سنون كثيرة، فقل لحمها، واشتد سمها، والعرب تقول: رماه الله بأفعى جارية، أي راجعة من غلظ إلى دقة، والرقش: التي فيها نقط، سواد وبياض، «ناقع» ثابت.

«يسهد من ليل التمام»، أي يمنع النوم، وليل التمام: أطول ليالي الشتاء، وليل التمام أيضاً: الذي يطول على من قاساه، وإن قصر. والسليم: الملدوغ؛ سمي بذلك على التفاؤل له بالسلامة والنجاة. وقوله: «لحلى النساء في يديه قعاقع» قال أبو عمرو: كان يفعل به ذلك لئلا ينام فيدب السم فيه. وقال الصقيل الأعرابي: إذا لدغ الرجل علقنا عليه الحلى سبعة أيام لتنفر عنه الحية وكان الحلى في الزمان الأول له جلاجل، يسمع صوته من المرأة إذا مرت به في الطريق، «من ليل التمام» كما يقال: صليت من الليل في الليل. وقيل: إنما سمس سليماً؛ لأنه أسلم لما به، والقعاقع: الحركة والصوت.

«تناذرها الراقون من سوء سمها»، أنذر نذر بعضهم بعضاً؛ لأنها لا تجيب راقياً، لنكارتها وشدتها، «تطلقه طوراً»، أي تخفف عنه مرة، ومرة تشتد عليه، وكذلك حال اللديغ، اللسان ١٢: ١٠١.

«وتلك التي تستك منها المسامع»، أي تلك الملامة التي أتتني عنك أصمت مسامعي؛ كراهة لسماعها. ومعنى «تستك»، أي تشتد وتضيق، فلا تسمع، وواحدها مسمع، وهو الأذن. والسكك: ضيق الصماخ.

مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع
لعمري وما عمري علي بهين لقد نطقت بطلاً على الأقارع
أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع
أتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدو مثل ذلك شافع
أتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
أتاك بقول لم أكن لأقوله ولو كبلت في ساعدي الجوامع[1]

---

(١) «مقالة» تبيين لقوله: «إنك لمتني»، و«ذلك» إشارة إلى معنى الجملة؛ كأنه قال: وذلك القول رائع من تلقاء مثلك، أي يفزع من قبلك، ولم يرد أنه يروع من مثله خاصة، وإنما أراد أنه رائع منه، وممن هو مثله من أهل السلطان والقوة.

«لعمري»، قال بعضهم: لديني، والمعروف أن معناه البقاء، وإنما حلف بها لأنها يمين كثرت في الاستعمال؛ فحلف بها، ولم يكن قصده أن يقسم ببقائه. والبطل والباطل بمعنى واحد. وأراد بالأقارع بني قريع بن عوف، وهم من بني تميم، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان، وذكروا أنه يصف في شعره المتجردة.

«لا أحاول غيرها» أي لا أريد هجاء غيرها. والمحاولة المعالجة والمزاولة. ومعنى: «تجادع» تشاتم، وإنما استعاره من جدع الأنف، ونصب: «وجوه قرود» على الذم، ويجوز رفعها على القطع.

«مستبطن لي بغضة» أي مضمرها ساتر، «مثل ذلك»، أي مثل ذلك الرجل المستبطن. والشافع: المعين، وأصله من الشافع، وهو الثاني؛ وإنما يريد أن هذا الرجل الذي وشي به من بني قريع له من أعداء مثله ثان معين له على النابغة.

«هلهل النسج»، أي أتاك بقول ضعيف باطل، لم أكن لأقوله، بمنزلة الثوب المهلهل، وهو الذي نسج وخفف ولم يحكم، «كاذب»، أي مكذوب فيه. والناصع: الواضح البين، وأصل الناصع: الخالص البياض.

«ولو كبلت في ساعدي الجوامع»، أي لو كنت مجنوناً حتى أشد بالحديد ما قلت ما بلغك عني، «كبلت» أي جمعت وشدت؛ أخذه من الكبل وهو القيد. والجوامع الأغلال، والواحدة جامعة.

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو إمة وهو طائع

بمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن إلالا سيرهن التدافع

سماما تباري الريح خوصا عيونها لهن رذايا بالطريق ودائع

عليهن شعث عامدون لحجهم فهن كأطراف الحنى خواضع

لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوي غيره وهو راتع(١)

---

(١) الريبة: الشك. والأمة والإمة: الدين والطريقة المستقيمة. يقول: حلفت فلم أترك لنفسك شكاً في صدقي، وحلفت وأنا لك طائع ذو دين واستقامة، فتحرجت من أن أكذب في يميني فأكون آثماً. وقيل: المعنى هل آثم وأنا أدين لك في طاعتك - يعني الملك.

«بمصطحبات»، يعني الإبل؛ وإنما أقسم بها لأنها تصطحب في السير إلى الحج، فعظمها لذلك وأقسم بها. ولصاف وثبرة: موضعان في بلاد بني تميم، والإلّ: جبل على يمين الحاج، إذا وقفت بعرفة، «سيرهن التدافع»، أي هن معيبات فيتحاملن تحاملاً من الجهد والإعياء. ويحتمل أن يريد أنهن يتراجعن في السير ويتدافعن لسرعتهن وشدة سيرهن.

السمام: طيور تشبه السماني، شديدة الطيران، شبه الإبل بها في سرعتها، والتفسير: يزرن إلالا مسرعات مثل السمام في السرعة، تباري الريح، أي تعارضها لسرعتها، «خوصا عيونها» أي غائرة العيون من الجهد والعناء، والمعنى أنها تباري الريح في حال جهدها وغؤور عينيها، فكيف بها قبل ذلك؛ ويقال: إن غئور عين الناقة من صفات الكرم، والرذايا: الساقطة المعيبة التي لا تنبعث، فأخذت رحالها عنها وتركت. «ودائع»: قد استودعت الطريق، أي تركت فيه لإعيائها.

«عليهن شعث»، أي متغيرون من السفر، «كأطراف الحنى»، الحنى: القسي، يريد أنها ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد معوجة، والحنى: القسي، واحدتها حنية: سميت بذلك لأنها معطفوفة الطرفين، فلذلك أوقع النابغة التشبيه بالأطراف مع أنها أرق ما في القسي. وقوله: «خواضع»، أي خواشع ذليلة من الجهد.

«لكلفتني» جواب لقوله: «حلفت». والعر: داء يصيب الإبل، وقيل: هو قرح بشفر البعير، فإذا أرادوا أن يعالجوه كووا بعيراً آخر صحيحاً؛ فيبرأ ذلك البعير.

فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذب ولا حلفي على البراءة نافع

ولا أنا مأمــون بشئ أقولـه وأنت بأمر لا محالة واقع

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيد إليك نـــوازع

أتوعد عبداً لم يخنك أمانة وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع!

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع(١)

---

(١) «فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذوب»، الضغن: الحقد والعدواة، «ولا أنا مأمون» متعلق بقوله: «فإن كنت لا ذو الضغن»، وليس بمستأنف.

«فإنك كالليل»، أي أنا في قبضتك حيث كنت وإن بعدت عنك، فأنت كذلك كالليل الذي يدركني ويشملني بظلامه أينما وجهت؛ وإنما خص الليل لأنه يلبس كل شئ، وكل شئ يسكن فيه، والنهار أيضاً يشمل كل شئ، ولكن بعض الناس ينتشر فيه ولا يسكن كسكونه في الليل. والمنتأى: الموضع الذي يتناءى فيه، أي يتباعد. والنأى: البعد.

الخطاطيف: جمع خطاف البئر، وهو مثل القعو الذي فيه البكرة، إلا أنه من حديد والقعو من خشب. والحجن: جمع أحجن وهو المعوج. والمتينة: القوية، «نوازع»، أي جواذب، يقول: ضاقت الدنيا علي فكأني في بئر، فأنا أجر بالخطاطيف إليك وأجذب، وهذا مثل، ضربه لقوة سلطانه، وإدراكه لمطلوبه؛ فيقول: كما أن ماء البئر ممكن لمن رامه أن يصل دلوا في حبال متينة على خطاطيف حجن، ثم جذبها إلى نفسه، كذلك يمكنك إدراكي وإن بعدت عنك؛ لقوة سلطانك وتمكن قدرتك من مطلوبك.

«أتوعد عبداً» من الوعيد وهو التهدد، «ضالع»، أي مائل عن الحق جائر.

«وأنت ربيع»، أي أنت بمنزلة الربيع، وهو الغيث. ومعنى «ينعش» يجبر ويرفع، ومنه سمي النعش.

والسيب: العطاء.يقول:أنت سيب لأوليائك تنعشهم وترفعهم،وسيف على أعدائك تهلكهم وتستأصلهم، «أعيرته المنية»، يريد أنه يهلك أعداءه، فكأنه سيف استعارته المنية، تهلك به من بلغ أجله.

أبى الله إلا عدله ووفاءه   فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد   بزوراء في حافاتها المسك كانع[1]

★ ★ ★

وقال النابغة يعتذر للنعمان:

رأيتك ترعاني بعين بصيرة   وتبعث حراسا علي وناظرا

وذلك من قول أتاك أقوله   ومن دس أعدائي إليك المآبرا[2]

---

(١) «أبي الله إلا عدله ووفاءه»، يحتمل أن تكون الهاء من قوله: «عدله ووفاءه» عائدة على اسم الله عز وجل، أي أبى الله إلا أن يعدل بين عباده، ويفي لهم بما وعدهم به، وأوعدهم به [من الخير والشر] وهما الثواب والعقاب، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على النعمان، أي أبى الله إلا أن يعدل ويفي أي قد جعله كذلك، وخلقه للعدل والوفاء. «فلا النكر معروف»، أي ليس النكر كالمعروف في الجزاء والحكم عند الله عز وجل، وعند النعمان، «ولا العرف ضائع»، أي لا يضيع جزاؤه. والنكر: المنكر، والعرف: المعروف.

«وتسقى إذا ما شئت غير مصرد»، هو في مذهب الدعاء وليس بخبر، «غير مصرد»، أي غير مقلل، وقيل: غير ممنوع ولا مقطوع عليك. والتصريد: شرب دون الري. ويروي: «غير مصرد»، أى مقلل للشرب ولا قاطع له، والتقدير: وتسقى شراباً غير مصرد، وتسقى وأنت غير مقلل للشرب. والزوراء: كأس مستطلية من فضة. وقيل: هي كأس مزورة على الشرب، أي مائلة عليهم. وقيل: هي دار بالحيرة للنعمان. «وحافاتها»: نواحيها. والكانع: الداني بعضه من بعض، ويقال: أعوذ بالله من الكنوع، وهو الخضوع والدنو من المذلة.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٦٨ - ٧١.

ترعاني: تحفظني وتحوطني، لاهتمامك بأمري، وحرصك على عقابي. «بعين بصيرة»، أي حديدة النظر إلي. والحراس: جمع حارس، وهو الرقيب.

«وذلك من قول أتاك أني أقوله»، ولم يجب أنه قاله، ولو أوجب ذلك لم يكن لاعتذاره معنى، وإنما يريد النمائم. والمآبر: واحدها مئبرة ومأبورة ومؤبرة، أي نميمة.

فآليت لا آتيك إن جئت مجرماً ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا

فأهلى فداء لامرئ إن أتيته تقبل معروفي وسد المفاقرا

سأكعم كلبي أن يريبك نبحه وإن كنت أرعى مسحلان فحامرا

وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائرا

تزل الوعول العصم عن قذفاته وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا(١)

---

(١) «فآليت»، أي أقسمت لا آتيك وأنا مجرم حتى أعتبك وأرضيك، ويروى: «محرما» بالحاء المهملة، أي لا آتيك ومعي حرمة من أني أنا واثق بك. وقيل: معناه لا آتيك في شهور الحرم من خوفك، ولكني آتيك في شهور الحل وأنا آمن بأمانك، ويكون قوله أيضاً: «لا آتيك إن جئت مجرماً»، أي لا أجرم أصلا ولم أذنب، فإن جئتك فلا آتيك مجرماً.

«تقبل معروفي» أي قبل مدحي واعتذاري، والمفاقر من الفقر، والواحد مفقر على القياس، وقيل: هو جمع لا واحد له.

«سأكعم كلبي أن يريبك»، أي سأكف عنك لساني وهجوي، وضرب الكلب مثلاً، وقوله: «وإن كنت أرعى مسحلان»، أي سأكف أذاي عنك وإن كنت مقيماً بهذا الموضع الممتنع. قال الأصمعي: وكان أهل هذا الموضع ليس للسلطان عليهم سبيل، وكان يقال لهم: لقاح، ومسحلان وحامر: واديان.

«وحلت بيوتي»، أي وإن حلت بيوتي في أمنع المواضع وأبعدها عنك بحيث أنا آمن، فأنا لا أهجوك ولا أشق عليك. واليفاع: ما أشرف من الأرض وارتفع، والحمولة: الإبل التي يحمل عليها. وقوله: «طائراً»، أي من طوله وإشرافه يخال به الإنسان طائرا. يقول: ولو صرت في الموضع الشامخ الذي ترعاه الإبل فيراه الناظر من أسفله، فيحسبه طائرا من ارتفاعه وإشرافه. والشئ إذا كان فوق شرف رفيع رأيته وأنت دونه صغيراً، وإذا كان في مستو من الأرض رأيته عظيماً.

«تزل الوعول العصم عن قذفاته»، يعني أنه طويل في السماء ومشرف، فالوعول لا تثبت في نواحيه. والعصم: التي في أيديها وأرجلها بياض مع سواد، وقيل: سميت عصماً؛ لأنها اعتصمت بالجبال وامتنعت فيها. وقذفاته: نواحيه. وذراه: أعاليه. وكوافر: ملبسة مغطاة قد بلغها السحاب وتكلل عليها؛ وإنما يصف أنها مشرفة، فكأنها كفرت أنفسها بالسحاب، وتكلل عليها؛ لاشتماله عليها.

حذاراً على ألا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

أقول وإن شطت بي الدار عنكم إذا ما لقينا من معد مسافرا

ألكني إلى النعمان حيث لقيته فأهدى له الله الغيوث البواكرا

وصبحه فلج ولا زال كعبه

على كل من عادى من الناس ظاهرا

ورب عليه الله أحسن صنعه وكان له على البرية ناصرا

فألقيته يوماً يبير عدوه وبحر عطاء يستخف المعابرا[1]

* * *

---

(١) «حذاراً»، أى لو حللت في هذه المواضع الممتنعة من أجل المحاذرة على أن تنال مقادتي وطاعتي. ويقال: أعطى فلان المقادة، إذا ألقى بيده واستسلم.

«شطت»، أي بعدت ونأت، «إذا ما لقينا من معد مسافرا»، أى مسافراً إلى بلادي، يعني أنه يحمل من لقى من معد مسافراً، أى مسافراً إلى بلادك شكر النعمان والدعاء له على بعد داره منه وتنائيه عنه.

«ألكني»، أي بلغ عني، واشتقاقه من الألوك والمالكة، وهي الرسالة، «صبحة فلج»، أي أتاه صباحاً. والفلج: الظفر والغلبة على العدو. وكعبه: جده وذكره وشرفه. «ورب عليه الله»، أي أتم وأصلح.

«بير عدوه»، أي يهلكه. والمعابر: السفن التي يعبر فيها، «وبحر عطاء»، أى جواد كثير العطاء، «يستخف المعابرا»، أي يرمي بها بقوته واضطراب أمواجه.

* * *

وقال أيضاً يمدح النعمان ويعتذر إليه:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني   وتلك التي أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشنني   هراساً به يعلى فراشي ويقشب

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة   لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب   من الأرض فيه مستراد ومذهب[1]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٢ - ٧٤.

«أبيت اللعن»، أي أبيت أن تأتي أمراً تلعن عليه، «وتلك التي أهتم منها وأنصب»، أي تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب، أي عناء ومشقة.

«فبت كأن العائدات»، أي كأني لما اتصل بي عنك مضطجع على فراش قد عولي بالشوك؛ فأنا أتململ عليه وأتقلب. والهراس: الشوك، واحدتها هراسة. ومعنى «يقشب» يجدد ويتعاهد بالشوك، ويكون معناه أيضاً يخالط، وإنما ذكر العائدات، وهن الزائرات في المرض؛ لأنه جعل نفسه كالسقيم لشدة ما به من قبل النعمان.

الريبة: الشك. وقوله: «وراء الله»، أي ليس بعد اليمين بالله - عز وجل - للمرء مذهب، فينبغي لك أن تصدقه وتقبل اعتذاري.

«لئن كنت قد بلغت عني خيانة»، أي لئن بلغت عني أني أختان ودك وأكفر نعمتك؛ فالذي بلغك ذلك، ووشى به إليك أغش وأكذب، أي ذو غش وذو كذب. والواشي: النمام الذي يزين كذبه عندك.

«لي جانب من الأرض»، أي متسع وتمكن؛ وإنما يصف نهوضه إلى الغسانيين وتمكنه فيهم. والمستراد: الإقبال والإدبار. والمذهب: موضع الذهاب وإنما يصف بهذا سعة حاله وتمكنها.

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلكَ في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث ، أي الرجال المهذب؟

فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب(١)

---

(١) «ملوك وإخوان»، يعني الغسانيين، وكان قد حل بهم حين فر من النعمان فأكرموه وقربوا منزلته.

«كفعلك في قوم»، أي فعل بي الغسانيون ما أوجب لهم مدحي وثنائي، كما فعلت أنت في قوم اصطنعتهم إلى، كما لا ترى من اصطنعته فيشكرك مذنباً في شكره لك.

«فلا تتركني بالوعيد»، أي لا تدعني كأني بعير أجرب قد طلي بالقار، وهو القطران، يتحاماه الناس ويطردونه عن إبلهم، لئلا يعديها بجربه، وإنما يريد أنه إن لم يعف عنه تحامته العرب.ولم تجرهك خوفا من النعمان، فكان كالبعير الجرب الذي يتحاماه الناس، «كأنني إلى الناس»، اي كأني في الناس، «مطلي به القار». أي مطلي أجرب فيه القار أو عليه القار.

السورة: المنزلة الرفيعة. وقوله: «يتذبذب»، أى يتعلق ويضطرب، وهذا مثل؛ وإنما يريد أن منازل الملوك دون منزلته، فكأنهم متعلقون دونه.

«فإنك شمس والملوك كواكب»،يعني أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب، فإذا ذكر ونشرتِ مآثره لم يذكر غيره معه؛ كما أن الشمس إذا طلعت لم ير معها كوكب.

«لا تلمه»، أي لا تصلح من أمره وتجمعه. والشعث: الفساد والتفرق. والمهذب: المنقى من العيوب المخلص، يقول للنعمان: إن لم تصبر للأخ والصديق على فساد يكون منه لم تبق لنفسك أخاً؛ إذ لا يخلو الانسان من أن تكون فيه خصلة غير مرضية وضرب قوله: «أي الرجال المهذب؟!» مثلا لذلك، وإنما ألزمه أن يعفو عنه ويغفر له ما وشي به عنده، «وإن تك ذا عتبى»، أي ذا رضاً ورجوع إلى ما أحب من عفوك فمثلك يعتب، أي أنت ومن كان مثلك آخذ بذلك لما فيه من الكرم، «فعبد ظلمته»، أي إن ظلمتني وأنا محتمل لذلك، كما يحتمل العبد ظلم سيده.

* * *

وقال النابغة أيضاً في الاعتذار:

فداء لامرئ سارت إليه ... بعذرة ربها عمي وخالي

ومن يغرف من النعمان سجلا ... فليس كمن يتيه في الضلال

فإن كنت امرأ قد سؤت ظنا ... بعبدك والخطوب إلى تبال

فأرسل في بني ذيبان فاسأل ... ولا تعجل إلى عن السؤال

فلا العمر الذي أثنى عليه ... وما رفع الحجيج إلى إلال

لما أغفلت شكرك فانتصحني ... وكيف ومن عطائك جل مالي!

ولو كفى اليمين بغتك خوناً ... لأفردت اليمين من الشمال

ولكن لا تخان الدهر عندي ... وعند الله تجزية الرجال[1]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٥١.

«فداء لامرئ»: يعني النعمان. والعذرة: المعذرة، ربها؛ يعني نفسه، ويحتمل أن يعني النعمان، السجل: الدلو المملوءة، ضربها مثلا للعطاء، يقول: من أعطاه النعمان عطية فقد حظى وفاز، وليس كمن ضل في طلبه وتحير، بعبدك؛ يعني نفسه. ومعنى قوله: والخطوب إلى تبال، أى إلى ابتلاء واختبار؛ يريد تبلو وتختبر ما بلغت عني فتعلم حقه من باطله، إن سؤت بي ظناً فاسأل بني ذيبان عن ذلك لتبلو الأمر، وتقف على حقيقته، ولا تعجل إلى بالموجدة والسخط عن أن تسأل وتختبر، فلا عمر الذي؛ أراد فلا يعمر الذي يثنى عليه وهو الله عز وجل. والعمر: البقاء. وقوله: «وما رفع الحجيج»؛ يعني الإبل، حلف بها تعظيماً لها؛ لأنها تعين على الحج، وتقرب منه. والحجيج: جمع الحاج. والإل: جيل عن يمين الإمام بعرفة، لأفردت اليمين من الشمال؛ أي لقطعت يميني فأفردتها عن أختها. «وعند الله تجزية الرجال»؛ أراد أن يقول: تجزية الناس فلم يمكنه.

***

وقالَ النابغة في الاعتذار:[1]

فكنت وما حاذرت من شر مدلج كأن لم أقل شيئاً ولم أتكلم
فمهلاً أبيت اللعن لا تأخذنني بقيل امرئ يوماً من الحلم مصرم
ولا تنسين فينا نصيبك واذكرن تصلينا في العارض المتضرم
فلا العبد بالعبد الذي ليس معتباً ولا أنت بالرب الألد المصمم

***

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٨٦.

* * *

وقال النابغة في الاعتذار والمدح:[1]

تأوبني بيعملة اللواتي ... منعن النوم إذ هدأت عيون

كأن الهم ليس يريد غيري ... ولو أمسى بها شتى هدون

وقال الشامتون هوى زياد ... لكل منية سبب مبين

حلفت بما تساق له الهدايا ... على التأويب يعصمها الدرين

ورب الراقصات بكل سهب ... بشعث القوم موعدها الحجون

لو اختانتك مني ذات خمس ... يميني لم تصاحبني اليمين

أتاني أن داهية نآدى ... على شحط أتاك بها ميون

فبت كأنني حرج لعين ... نفاه الناس أو دنف طعين

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٢١ - ٢٢٣.

زياد: اسم النابغة، هوى: هلك، مبين: ظاهر.

بما تساق له، يعني البيت. ويروي: «بمن» يعني الله سبحانه وتعالى وقد تكون ما بمعنى منْ. يعصمها: يمسكها ويشددها ويقويها. والدرين: يبس البهمى.

السهب: الواسع من الأرض، وجمعه سهوب، والراقصات هي الإبل السراع، يعني التي يحج عليها، يقسم بها، ثم يخاطب النعمان بن المنذر بقوله لو اختانتك.

نآدى: شديدة. وميون: كذوب، والمين: الكذب.

وغرب يعني حدة ونشاطاً، حطوط: سريعة. ولجون: حرون، وهي البطيئة، واللجان في الإبل كالحران في الخيل.

أقلب أظهراً أمرى بطونا وهل تغني من الخوف الفنون

أغيركَ معقلا أبغي وحصناً فأعيتني المعاقل والحصون

فجئتك عارياً خلقاً ثيابي على خوف تظن بي الظنون

يخب بي الكميت قليل وفر أذكر بالأمور واستعين

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

فداء ما تقل النعل مني وما أحوى ولو رغم الظنون

فما وخدت بمثلك ذات غرب حطوط في الزمام ولا لجون

أبر بذمة وأعز جاراً إذا جعلت عرى ملك تلين

بعثت على البرية خير راع فأنت إمامها والناس دين

نكون رعية مادمت حيا ونهباً بعد موتك ما تكون

وأنت الغيث ينفع ما يليه وأنت السم خالطه اليرون(١)

***

---

(١) قال الأصمعي: الناس دين، أي الناس كلهم طائعون لك والدين ها هنا: الطاعة بالملك.

اليرون: هو سم قاتل، أو مزمن لا محالة، ينقع: أي يبل، الغيث: المطر.

وقال النابغة في الهجاء:

وكان يزيد بن سنان بن أبي حارثة يمحش المحاش، على بني يربوع بن غيظ بن مرة رهط النابغة، فتحالفوا على بني يربوع على النار، فسموا المحاش؛ لتحالفهم على النار، ثم أخرجهم يزيد إلى بني عذرة بن سعد، وكلهم يقول: إن النابغة وأهل بيته من عذرة، ثم من ضبة، فقال يزيد في ذلك يعير النابغة، ويعرض به:

إني امرؤ من صلب قيس ماجد　　لا مدع نسباً ولا مستنكر

وهي أبيات، فرد عليه النابغة فقال:

جمع محاشك يا يزيد فإنني　　أعددت يربوعاً لكم وتميما
ولحقت بالنسب الذي عيرتني　　وتركت أصلك يا يزيد ذميما
عيرتني نسب الكرام وإنما　　فخر المفاخر أن يعد كريما
حدبت على بطون ضنة كلها　　إن ظالماً فيهم وإن مظلوما
لولا بني عوف بن بهثة أصبحت　　بالنعف أم بني أبيك عقيما[1]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٢ - ١٠٣.

قال الأصمعي: المحاش أربعة أحياد من فزارة ومرة، يجتمعون فيقال لهم: المحاش. وقال ابن الأعرابي: المحاش: الذين لا خير فيهم ولا غناء عندهم، «ولحقت بالنسب الذي عيرتني»، يريد النسب الذي نفاه إليه، وعيره به، وذلك أن ابنة النابغة كانت تحت يزيد فطلقها، فقيل له: لم طلقتها؟ فقال: لأنه رجل من عذرة، فنفى النابغة انتسابه إليهم، وزعم أنه نسب يزيد، إلا أنه تركه، وانتفى منه، وهو معنى قوله: «وتركت أصلك يا يزيد ذميما»، أي مذموما.

وقوله «حدبت علي»، أي عطفت وضنة: من قضاعة، ثم من عذرة، «لولا بنو عوف»، يقول: لولا هؤلاء لقتلت أنت وإخوتك. فتبقى أمك كأنها عقيم لم تلد قط. والنعف: أسفل الجبل.

* * *

وقال النابغة في الهجاء:

[قال أبو عبيدة]: لم أسمع كتعنيف النابغة في هذه القصيدة، وقد خرج من كلامه في الحسن والاستواء حتى كأنه يصف بعيراً، أو يذكر دياراً.

وكان سبب هذه القصيدة أن زرعة بن عمرو بن خويلد لقيه بعكاظ، فأشار إليه أن يشير على قومه بأكل بني أسد وترك حلفهم، فأبى النابغة الغدر، وبلغه أن زرعة يتوعده، فقال يهجوه:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها   يهدى إلى غرائب الأشعار

فحلفت يا زرع بن عمرو إنني   ما يشق على العدو ضراري

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني   تحت العجاج فما شققت غباري

إنا اقتسمنا خطتينا بيننا   فحملت برة واحتملت فجار

فلتأتينك قصائد وليدفعن   جيشاً إليك قوادم الأكوار(١)

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٥٤ - ٥٥.

«والسفاهة كاسمها»، أي معناها قبيح كقبح اسمها، «يهدي إلى غرائب الأشعار»، يعني أنه غير مشهور بالشعر ولا منسوب إليه، فالشعر غريب من قبله؛ إذ ليس من أهله.

«مما يشق على العدو ضراري»، أي ربما يشق. والضرار: الدنو من الشئ واللصوق به.=

***

وقال النابغة في الهجاء:

فما أنا في سهم ولا نصر مالك ومولاهم عبد بن سعد بطامع

إذا نزلوا ذا ضرغد فعتائدا يغنيهم فيها نقيق الضفادع

قعودا لدى أبياتهم يثمدونها رمى الله في تلك الأنوف الكوانع(١)

= يقول: أنا قوي عزيز؛ فالعدو يكره مجاورتي له. وإنما يفخر بهذا على زرعة بن عمرو.

«فما شققت غباري»، أي سبقتك في المفاخرة، وبعد ما بيني وبينك فلم تلحقني، ولا شققت غباري، وأصل هذا المثل في الفرس الجواد الذي يسبق الخيل، وينسلخ منها، فلا يلحق ولا يشق غباره. وعكاظ: أحد مواسم العرب. والعجاج: الغبار. وقال أبو عبيدة: معناه لم تشق غباري. بحملتك علي، ولكنك جئت عني، ولم تدخل في غباري.

«إنا اقتسمنا خطتين»، هذا مثل، أي كانت لي ولك خطتان فأخذت أنا البرة، وأخذت أنت الفاجرة. والخطة: القصة والخصلة. وإنما قال هذا لأن زرعة دعاه إلى الغدر ببني أسد ونقض حلفهم، فأبى ذلك، ولزم الوفاء والبر، ونسب زرعة إلى الغدر والفجور.

«فلتأتينك قصائد»، توعده بالهجو والغزو إليه، «وليدفعن جيشاً إليك قوادم الأكوار»، يريد أنهم يركبون الإبل، ويقودون الخيل، فيقول: هؤلاء الرجال الراكبون على قوادم الأكوار هم الذين يدفعون الجيش وينهضونه نحوك. وواحد القوادم قادم، وهو من الرجل بمنزلة القربوس من السرج. والأكوار: الرحال.

(١) سهم ومالك: حيان من غطفان. و«مولاهم» يريد ابن عمهم، وهو عبد بن سعد ابن ذبيان. وسهم ومالك هما ابنا مرة. يقول: لا أطمع في خير من قبل هؤلاء، ولا أرجو نصرهم، فكيف أترك حلف بني أسد وأحالفهم!

«إذا نزلوا ذا ضرغد»، أي لا أطمع في نصر هؤلاء إذا نزلوا هذا الموضع. وضرغد: حرة وعتائد: عقبة، «يغنيهم فيها نقيق الضفادع»، يعني أنهم نازلون بالحرار لذلهم وقلتهم؛ فالضفادع تغنيهم فيها، ومياه الحرة فيها الضفادع، النقيق: الصوت.

«قعود لدى أبياتهم»، أي لا يكادون يفارقون البيوت ولا يخرجون لغارة، لضعفهم=

* * *

قال عامر بن الطفيل للنابغة في قصة:

ألا من مبلغ عني زياداً غداة القاع، إذ أزف الضراب

وهي أبيات، فلما بلغ هذا الشعر شعراء بني ذبيان أردوا هجاءه، وائتمروا له، فقال لهم النابغة: إن عامرا له نجدة وشعر، ولسنا بقادرين على الانتصار منه، ولكن دعوني أجبه، وأصغر إليه نفسه، وأفضل إليه أباه وعمه، فإنه يرى أنه أفضل منهما، وأعيره بالجهل، فقال:

فإن يك عامر قد قال جهلا فإن مظنة الجهل الشباب

فكن كأبيك، أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب(١)

=وقلتهم. يثمدونها: أي يلحون في مسألتها، أي يقيمون بها ولا يخرجون في طلب الرزق، فكأنهم يسألون البيوت ويسترزقونها، «رمى الله في تلك الأنوف»، أى قطعها الله واستأصلها؛ والكوانع: المتطامنة الذليلة؛ ونسب الذل إلى أنوفهم، وهو يعنيهم بذلك، كما تنسب العزة إلى الأنف، والمقصود صاحبه، ديوان النابغة الذبياني، ص ٨٧ - ٨٨.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٩ - ١١٠.

(عامر هذا هو عامر بن الطفيل العامري)، «فإن مظنة الجهل الشباب»، يريد أن الشباب مقرون به الجهل، ملازم له. ومظنة الشئ: الأمر الذي لا يكاد يطلب فيه إلا وجد به؛ وهو مشتق من الظن، أي حيث يظن أنه لا يفارقه. ويروى: «السباب»، يريد إنما يعلم الجاهل ويتبين جهله عند سب غيره.

«أو كأبي براء» هو عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وهو عم عامر بن الطفيل ابن مالك. [والحكومة: الحكم].

ولا تذهب بحلمك طاميات   من الخيلاء ليس لهن باب

فإنك سوف تحلم أو تناهى   إذا ما شبت أو شاب الغراب

فإن تكن الفوارس يوم حسى   أصابوا من لقائك ما أصابوا

فما إن كان من نسب بعيد   ولكن أدركوك وهم غضاب

فوارس من منولة غير ميل   ومرة، فوق جمعهم العقاب(١)

* * *

(١) المرتفعات، يقال: طما الماء، إذا علا وارتفع. والخيلاء: التكبر والبطر. وقوله: «ليس لهن باب»، أي لا آخر لهن ولا منتهى.

«إذا ما شبت أو شاب الغراب»، أي لا تكون حليماً، ولا تنتهي إلى ما أنت عليه من الجهل، حتى يشيب الغراب، أي لا تحلم أبدا كما أن الغراب لا يشيب، وإنما هذا هزؤ منه به، وذم.

«فإن تكن الفوارس يوم حسى»، يعني يوماً كان لبني ذبيان على عامر، قتل فيه أخوه حنظلة بن الطفيل.

«فما إن كان من نسب»، يقول: لم يكن ما لقيت منهم أنهم لم يكونوا من عشيرتك، لكنهم كلهم من قيس عيلان؛ ولكنك أغضبتهم فعاقبوك.

«من منولة»، قال ابن الأعرابي: منولة امرأة من تغلب، وهي أم مازن وشمخ، ابني فزارة بن ذبيان. ومرة: هو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. وميل: جمع أميل، وهو الذي لا يستوي على السرج إذا ركب. والعقاب: الراية.

وقال أيضاً يهجو يزيد بن عمرو بن الصعق، وكان قد استاق غنماً لهم، وعصافير كانت للنعمان بن المنذر ترعى بذي أبان، فقال النابغة يهجوه:(١)

لعمرك ما خشيت على يزيد ... من الفخر المضلل ما أتاني
كأن التاج معصوباً عليه ... لأذواد أصبن بذي أبان
فحسبك أن تهاض بمحكمات ... يمر بها الروى على لساني
فقبلك ما شتمت وقاذعوني ... فما نزر الكلام ولا شجاني
يصد الشاعر الثنيان عني ... صدود البكر عن قرم هجان
أثرت الغي ، ثم نزعت عنه ... كما حاد الأزب عن الظعان
فإن يقدر عليك أبو قبيس ... تمط بك المعيشة في هوان(٢)

---

(١)، ديوان النابغة الذبياني ص ١١١ - ١١٣.

(٢) «كأن التاج معصوباً عليه»، يقول: كأنما عقد التاج عليه، وعصب برأسه، وأبان: جبل. والذود: ما بين الثلاث إلى العشرة،تهاض:تخزى وتذل، الروى:حرف القافية، قاذعوني: هاجوني وشاتموني.

الثنيان والثنيان: الذي دون البدء. والبدء: السيد القرم: الفحل الكريم من الإبل. والهجان: الإبل البيض؛ جعل نفسه كالفحل الكريم، وجعل يزيد بن عمرو العامري كالبكر من الإبل، لأنه لا يقاومه في الهجاء، كما لا يقاوم البكر القرم، ولا يطيقه.

والأزب: الكثير شعر الحاجبين والأشفار. والظعان: حبل الهودج.

أبو قبيس: هو النعمان بن المنذر، وكنيته أبو قابوس. ولجيع الجوف: حالصه، وقيل: طريه؛ يعني الدم. والآنى: الشديد الحرارة، ويقال: هو الذي بلغ إناه، أي وقته.

وتخضب لحية غدرت وخانت بأحمر من نجيع الجوف آني
وكنت أمينه لو لم تخنه ولكن لا أمانة لليماني[١]

* * *

وقال النابغة يهجو النعمان بن المنذر:[٢]

حدثوني بني الشقيقة ما يـ نع فقعاً بقرقر أن يزولا
لا أرى الفارس المدجج فيكم آل نصر ولا الفتى البهلولا
جمعوا من نوافل الناس سيباً وحميراً موسومة وخيولا
وبراذين كابيات وأتناً وخناذيذ خصية وفحولا
لا أرى حاجزاً عن الفحش فيهم وحمارا عن أمه مشكولا

---

(١) «ولكن لا أمانة لليماني»: إنما قال ذلك لأن بعض بني عامر مما يلي اليمن، وكل من كان يلي اليمن فهو يمان عند العرب

(١) الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهي جدة النعمان. الفقع: الكماة البيضاء الرخوة التي تنبت على وجه الأرض، وهي توطأ وتقطعها الغنم بأظلافها، يقال في مثل يضرب للذل: «إنه لأذل من فقع بقرقر»، والقرقر المستوى من الأرض.

المدجج: الشاك في السلاح. ونصر: جد النعمان الأكبر. والبهلول: هو الظريف الشمائل.

نوافل الناس: عطاياهم وغنائمهم، «موسومة» عليها سمات.

كابيات: تكبو وتعثر، الواحد كاب، والأنثى كابية. والخناذيذ: الكرائم من الخيل؛ يقال: خنذاذ وخناذذ. وخصية: جمع خصي.

الربدة: الخرقة التي يمسح بها الصائغ ويجلو بها الحلي. والربذة: التي يطلى بها البعير وكل شئ يشبه بها، يقال للرجل إذا لم يكن عنده خير: ما أنت إلا ربذة من الربذ.

قد رأينا مكان أمك إذ تمـ نع من درة اللقوح الفصيلا

لعن الله ثم ثنى بلعن ربذة الصائغ الجبان الجهولا

من يضر الأدنى ويعجز عن ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا

يجمع الجيش ذا الألوف فيغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا

* * *

الفصل الرابع

زهير بن ابى سلمى

* * *

أماَ زهير بن أبى سلمى[1] فالناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه فى غطفان، وليس لهم بيت شعر ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير، وهو قوله:

وهم الأصل منى حيث كنت وإننى   من المزنيين المصفين بالكرم

وقيل: هو مزنى ولد فى بنى غطفان، وانضم إليهم.

ويقال إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير، وفى الإسلام ما اتصل فى ولد جرير.

وكان زهير راوية أوس بن حجر.

* * *

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال[2] أنشدونى لأشعر شعرائكم، قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل

---

(١) «سلمى» بضم السين، وليس فى العرب «سلمى» بالضم والقصر غيره، الشعر والشعراء ١/١٣٧ - ١٥٣، طبقات الشعراء ص ٢٥ الأغانى ٩/ ١٣٩ - ١٥١، خزانة الأدب ١/٣٧٥ - ٣٧٧.

(٢) الأغانى ٩/ ١٤٠، الشعر والشعراء ١/ ١٣٧.

بين القول، ولا يتبع حوشى الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه. وهو القائل[1]:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية   من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرز   سبوق إلى الغايات غير مخلد

فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت   ولكن حمد المرء ليس بمخلد

★★★

وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله:

قد جعل المبتغون الخير فى هرم   والسائلون إلى أبوابه طرقاً

من يلق يوماً على علاته هرماً   يلق السماحة فيه والندى خلقاً[2]

قال عكرمة بن جرير: قلت لأبى: من أشعر الناس؟ قال: أجاهلية أم إسلامية؟ قلت: جاهلية: قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق، قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت له: فأنت؟ قال أنا نحرت الشعر نحراً.

(١) ديوان زهير ص ٢٣٤ - ٢٣٦، الشعر والشعراء ١٣٨/١.
(٢) ديوان زهير ص ٤٩ - ٥٣، الأغانى ٩/ ١٤٤، خزانة الأدب ٣٧٦/١.

قال عبد الملك لقوم من الشعراء: أى بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت زهير:

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

قيل لخلف الأحمر: زهير أشعر أم ابنه كعب؟ قال: لولا أبيات زهير أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه، يريد قوله:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

ولأنت أشجع من أسامة إذ دعى النزال ولج فى الذعر

ولأنت تفرى من خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

لو كنت من شئ سوى بشر كنت المنور ليلة البدر(١)

وكان زهير يتأله ويتعفف فى شعره. ويدل شعره على إيمانه بالبعث. وذلك قوله:

يؤخر فيودع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وشبه زهير امرأة فى الشعر بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال:

تنازعت المها ودر الـ ـبحور وشاكهت فيها الظباء

---

(١) ديوان زهير ٨٦، ٦٩، ٩٤، ٩٥، الأغانى ١٦٤/٥، الشعر والشعراء ١٣٩/١.

ثم قال ففسر:

فأما ما فويق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء

وأما المقلتان فمن مهاة وللدر الملاحة والصفاء

وقال بعض الرواة: لو أن زهيراً نظر فى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى ما زاد على ما قال:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء[1]

يعنى يميناً أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء، وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى.

***

ومما يتمثل به من شعره:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى معادنها النخل

ويستحسن قوله:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

---

(١) لسان العرب ١٨/ ١٦٣، ٧/ ٨٤، ١٠/ ١٥٥، ديوان زهير ص ٧٥، الشعر والشعراء ١/ ١٤٠.

ويستحسن أيضاً قوله:

هوَ الجواد الذى يعطيك نائله   عفواً ويظلم أحياناً فينظلم(١)

قد سبق زهير إلى هذا المعنى، لا ينازعه فيه أحد غير كثير، فإنه قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

رأيت ابن ليلى يعترى صلب ماله   مسائل شتى من غنى ومصرم

مسائل إن توجد لديه تجد بها   يداه، وإن يظلم بها يتظلم

المصرم: القليل المال.

☆ ☆ ☆

أدرك ابنا زهير كعب وبجير الإسلام، وأتى بجير النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم، فكتب إليه كعب:(٢)

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة   فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

سقيت بكأس عند آل محمد   فأنهلك المأمون منها وعلكا

فخالفت أسباب الهدى وتبعته   على أى شئ ويب غيرك دلكا

---

(١) لسان العرب ١٥/ ٢٧٠، ١٧/ ١٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ص ٨٨٧ - ٨٩٣، الأغانى ١٥/ ١٤٢ - ١٤٣، الشعر والشعراء ١/ ١٤١.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا، فتوعده ونذر دمه. فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلاً ممن كان يهجوه، وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا ابن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى، وقد هربا منه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فاقدم عليه، فإنه لا يقتل أحداً أتاه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج بنفسك. فلما ورد عليه الكتاب ضاقت عليه الأرض برحبها، وأرجف به من كان بحضرته من عدوه. فقال قصيدته التى أولها:

* بانت سعاد فقلبى اليوم متبول *

وفيها قال:

نبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وأنشده شعره، فقبل توبته وعفا عنه، وكساه برداً، فاشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم، فهو عند الخلفاء إلى اليوم.

***

وكان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب،شاعر،ولقبه «المضرب»[1] وذلك أنه شبب بامرأة من بنى أسد. فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمي «المضرب». وولد لعقبة العوام، وهو شاعر.

فهؤلاء خمسة شعراء فى نسق: العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى، وكان أبو سلمى أيضاً شاعراً. وهو القائل فى خاله أسعد المرى وابنه كعب بن أسعد، وكان حمل أمه وفارقها :[2]

لتصرفن إبل محببة   من عند أسعد وابنه كعب

الآكلين صريح قومهما   أكل الحبارى برعم الرطب

وقال عمر لابن عباس: أنشدنى لشاعر الشعراء، الذى لم يعاظل بين القوافى، ولم يتبع وحشى الكلام، قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. فلم يزل ينشده إلى أن برق الصبح.

* * *

وكان زهير أستاذ الحطيئة. وسئل عن الحطيئة فقال: ما رأيت مثله

---

(١) تاج العروس ١/ ٣٥٠، الشعر والشعراء ١/ ١٤٢، الأغانى ٩/ ١٥١، خزانة الأدب ٤/ ١١.

(٢) الأغانى ٩/ ١٤٠، الشعر والشعراء ١/ ١٤٣.

فـي تكـفيـه عـلى أكناف القوافـي، وأخذه بأعـنتـهـا حيث شاء، من اختلاف معانيها، امتداحاً وذماً. قيل له: ثم من؟ قال: ما أدرى، إلا أن تراني مسلنطحاً واضعاً إحدى رجلي على الأخرى رافعاً عقيرتي أعوى في أثر القوافي.

***

قال أبو عبيدة: يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء: إنه أمدح القوم وأشدهم أسر شعر. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول الفرزدق يشبه بزهير وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين.

قال وكان زهير يسمى كبر قصائده «الحوليات»[(١)].

***

وكان جيد شعره في هرم بن سنان المري. وقال عمر رضي الله عنه لبعض ولد هرم: أنشدني بعض ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل! فقال عمر رضي الله عنه: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

***

---

(١) الخزانة ١/ ٣٧٦، الشعر والشعراء ١/ ١٤٤.

ومما سبق إليه زهير فأخذ منه قوله يمدح هرماً:

هو الجواد الذى يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم

أى يسأل ما لا يقدر عليه فيتحمله. أخذه كثير، فقال:

رأيت ابن ليلى تعترى صلب ماله مسائل شتى من غنى ومعدم

مسائل إن توجد لديك تجدبها يداك، وإن تظلم بها تتظلم

* * *

وقال زهير:(١)

كما استغاث بسئ فز غيطلة خاف العيون فلم ينظر به الحشك

السئ: اللبن فى الضرع. والفز: ولد البقرة. والغيطلة: البقرة. والحشك: الدرة. أخذه الطرماح فقال:

بادر السئ ولم ينتظر نبه فيقات العيون النيام

نبه: تحرك العروق. الفيقة: مثل الفواق.

* * *

(١) ديوان زهير ص ١٧٧، لسان العرب ١٢/ ١٩٣.

وقال زهير يصف ظبية أكل ولدها السبع[١]:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها   فلاقت بياناً عند آخر معهد[٢]

دماً عند شلو تحجل الطير حوله   وبضع لحام في إهاب مقدد[٣]

وقال الجعدى[٤]:

ولاقت بياناً عند أول معهد   إهاباً ومعبوطاً من الجوف أحمرا

* * *

ومما سبق إليه زهير فلم ينازع فيه قوله:

فإن الحق مقطعه * البيت. يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة بينة واضحة. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أنشد هذا تعجب من معرفته بمقاطع الحقوق.

ومن ذلك قوله:

---

(١) الديوان ٢٢٧، الشعر والشعراء ١/ ١٤٦.

(٢) ثعلب: «فلاقت بياناً: استبانت. الجلد والدم هو الذى بين لها. عند آخر موضع عهدته فيه».

(٣) ثعلب: «دما: رد على بيان. شلو: بقية الجسد. وبضع: جمع بضعة. لحام: جمع لحم. إهاب: جلد، والجمع أهب. ومدد: مخرق ومشقق. تحجل الطير حوله: أكل الذئب ما أكل وبقى شئ تحجل الطير حوله».

(٤) الجعدى: هو النابغة الجعدى. المعبوط: من العبط، وهو النحر أو الشق.

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فجمع في بيت واحد صنوف القتال.

ومن ذلك قوله:(١)

السترِ دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

* * *

ومما يستجاد له:(٢)

وذي نعمة تممتها وشكرتها وخصم يكاد يغلب الحق باطله

دفعت بمعروف من القول صائب إذا ما أضل الناطقين مفاصله

وذي خطل في القول يحسب أنه مصيب فما يلمم به فهو قائله

عبأت له حلماً وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

وذي نسب ناءٍ بعيد وصلته بمالٍ، وما يدري بأنك واصله(٣)

---

(١) الديوان ٩٥.

(٢) الديوان ١٣٨ - ١٤٣.

(٣) قال الأعلم: «يعني أنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته، فكان هو سبب ذلك الوصل وهم لا يعرفون ذلك. وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معروفه وسعة إفضاله».

وأبيض فياض يداه غمامة   على معتفيه ما تغب نوافله[1]

غدوت عليه غدوة فوجدته   قعودا ً لديه بالصريم عواذله[2]

يفدينه طوراً وطوراً يلمنه   وأعيا فما يدرين أين مخاتله

وأعرضن منه عن كريم مرزإ   جموع على الأمر الذى هو فاعله[3]

أخى ثقة ما تذهب الخمر ماله   ولكنه قد يذهب المال نائله[4]

تراه إذا ما جئته متهللاً   كأنك تعطيه الذى أنت سائله

* * *

ومن ذلك قوله، ويقال إنه لولده كعب[5]:

وليس لمن لم يركب الهول بغية   وليس لرحل حطه الله حامل[6]

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا   أصبت حليماً أو أصابك جاهل

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٥٠.

(٢) الصريم: الصبح، أو جمع صريمة، وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظمه. والأول أجود، قالوا: لأنه يسكر بالليل وإذا صحا من سكره لامته العواذل على إنفاق ماله.

(٣) مرزأ: يصاب منه الخير ويرزأ ماله. جموع على الأمر: ماض عليه مجمع الرأى.

(٤) الشعر والشعراء ١/ ١٥٠.

(٥) هما ثابتان لزهير فى ديوانه، ختام قصيدة قالها فى شأن سنان بن أبى حارثة المرى ٢٩٢ - ٣٠٠.

(٦) ثعلب: «يقول: من لم يركب الهول فى مودة أخيه لم يدرك بغيته، وليس لمن وضعه الله ارتفاع».

* * *

ومنَ ذلك قوله:[1]

وفيهم مقامات حسان وجوههم   وأندية ينتابها القول والفعل[2]

على مكثريهم رزق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذل[3]

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم   فلم يبلغوا ولم يليموا ولم يألوا[4]

* * *

وأخذ العلماء عليه قوله يذكر الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل   على الجذوع يخفن الغم والغرقا[5]

وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والغرق، وإنما ذلك لأنهن يبضن فى الشطوط.

* * *

---

(١) الديوان ١١٣ - ١١٤.

(٢) المقامات: المجالس، وأراد أهلها. ينتابها القول والفعل: يقال فيها الجميل ويفعل عن ثعلب.

(٣) يعتريهم: يطلبَ منهم.

(٤) يليموا: لم يأتوا ما يلامون عليه.

(٥) الديوان ٤٠. الشربات: حياض تحفر فى أصول النخل من شق واحد فتملأ ماء، واحدتها شربة بفتحتين. الطحل: الكدر.

وأخذ عليه قوله:

ثم استمروا وقالوا: إن مشربكم ماء بشرقي سلمى فيد أوركك[1]

وقال الأصمعي: سألت بجنبات فيد عن الركك؟ فقالوا لي: ما هنا «ركك» ولكن «رك» فعلمت أن زهيراً احتاج فضعف.

* * *

وكعب القائل:[2]

ومن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما توى كعب وفوز جرول
يقول فلا يعيا بشيء يقوله ومن قائلها من يسيء ويعمل
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل
كفيتك لا تلقى من الناس شاعراً تنخل منها مثل ما أتنخل[3]

وسمعه الكميت فقال في قصيدة له:

وما ضرها أن كعباً توى وفوز من بعده جرول[4]

---

(١) ديوان زهير ص ١٦٧، لسان العرب ١٢/ ٣١٨، معجم البلدان ٤/ ٢٧٩، الشعر والشعراء ١/ ١٥٢.
(٢) الأغاني ٣/ ٤٤، ١٥/ ١٤٠، خزانة الأدب ١/ ٤١١، لسان العرب ٧/ ٢٦٠، الشعر والشعراء ١/ ١٥٣.
(٣) الإصابة ٢/ ٦٣، لسان العرب ١٨/ ١١٤، ١٨/ ١٣٧.
(٤) لسان العرب ٧/ ٢٦٠، ١٣/ ١١٤.

وكان زهير أجزل الشعراء لفظاً، وأوجزهم قولاً، وأصدقهم مدحاً، وأشرفهم حكمة، وأبعدهم عن سخف الكلام[1]

وكان زهير يقتفى فى شعره أثر أستاذه أوس فى الوصف والتشبيه، كما كان يتأدب بأدب خاله بشامة بن الغدير، وكان بشامة رجلاً مقعداً حكيماً سديد الرأى وافر المال، وكان - كما يقال - أشعر غطفان فى أيامه.

ولا يذكر زهير فى شعراء الجاهلية إلا ذكرت معه الروية والرزانة والحكمة، فأظهر ما يتصف به زهير عند الرواة أنه كان كتلميذه الحطيئة من عبيد الشعر، ويعنون بهذا أنه كان بطيئاً فى قوله يروى، وينقح، ويعاود قوله بالصقال والتهذيب، ويعيد النظر بعد النظر، حتى يظهره للناس، ولذلك نسبوا إليه قصه «الحوليات» ليظهروا رويته وأناته فى تنقيحه، فقالوا إنه كان ينظم القصيدة فى أربعة أشهر، ويهذبها فى أربعة، ويعرضها على أخصائه فى أربعة، وكان الأصمعى يقول: زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء «عبيد الشعر» لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين.

وقد اشتهر زهير بمدائحه لهرم بن سنان لأنه كان شديد الحب له وكان هرم يبره ويجزل له العطاء حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه،

---

(١) نصوص ص ٣٤ - ٣٥.

ولا يسلم عليه إلا أعطاه، فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فكان إذا رآه في ملأ قال: عموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت.

☆☆☆

ويكاد الرواة يتفقون على أن زهيراً كان أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وهم امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير، وإنما اختلفوا في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، ويفضله كثير من الرواة على صاحبيه، ويقولون: إنه أحكمهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق.

وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى، وهم امرؤ القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى، وقد كان علماء البصرة يقدمون امرؤ القيس، وأهل الكوفة يقدمون الأعشى، وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة. ويلاحظ أن زهيراً لم يفحش في الهجاء، وقد عد قوله في آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل.

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

من أقوى ما هجا به.

على أن زهيراً قد امتاز عن غيره من الشعراء بأن أضاف إلى معاني الجاهليين هذه الأمثال والحكم الشعرية التي اشتهر بها، كما

اشتهر النابغة بالاعتذار، وطرفة بالوصف، وابن كلثوم بالفخر، وهؤلاء لم يقولوا في الحكمة أو بضرب المثل كما قال زهير فيهما.

والرواة يروون أبياتاً لزهير أخذها ممن عاصره، أو سبقه من الشعراء، كما يروون أبياتاً لغيره من الشعراء أخذوها عنه.

ومن ذلك قول أوس بن حجر:

لعمرك إنا والأحاليف هؤلا   لفى حقبة أظفارها لم تقلم

أخذه زهير، فقال:

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم

وقول طرفة:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد   تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

أخذه زهير، فقال:

ودار لها بالرقمتين كأنها   مراجيع وشم فى نواشر معصم

وأخذ عليه قوله:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله   ولكننى عن علم ما فى غد عم

أي: أعلم ما مضى بالأمس، وما أنا فيه اليوم، لأنه شئ قد رأيته،

فأما المستقبل فلا علم لى به، لأنى لم أره، وقد قالوا: إن قوله «قبله» فى البيت لغو، لأنها لم تحصل معنى[1]

وقيل: إن زهيراً كان راوية أوس بن حجر، وكان أوس راوية الطفيل الغنوى وتلميذه، وروى عن زهير ابنه كعب، وعن كعب روى الحطيئة وجميل وكثير[2]

★★★

وكان لأستاذيه أوس بن حجر، وبشامة بن الغدير أثر عظيم فى تنمية جانب الحكمة، لينحو بها نحواً أسمى وأجل، وهما اللذان عركا الدهر وحلبا أشطره، وكان أولهما كثير التحدث فى مكارم الأخلاق كما يقول ابن قتيبة،وكان ثانيهما معروفاً بصدق النظر وطول التجربة، واستصفاء الرأى المسدد حتى لقد كان موضع مشورة قومه[3].

فكان لابد له من أجل ذلك أن ينحو بالحكم نحواً أسمى من سابقيه. فلم تكن حكمه حقائق مجردة فحسب، ولكنها حكم عامة قد صيغت فى قالب من النصح والموعظة الحسنة، إذ يقول فى المعلقة:

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٨ - ١٨.
(٢) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ١/ ٩٥، فى الأدب الجاهلى، دكتور طه حسين ص ٢٦٩.
(٣) نصوص ٦٢، ٦٣.

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن لا يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبت كل لهذم

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن لا يزل يستحمل الناس أمره ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم

ولعلنا نلاحظ أنها أبرت على حكم الآخرين لأنها فى جملتها جمعت إلى الحقائق المجردة والتجربة الموعظة الحسنة والنصائح الغالية، فهى أشبه بدستور خلقي يضع للناس قواعد السلوك المثالى.

وهذه الحكم من أهم ما تمتاز به المعلقة ولقد أحسن زهير اختيار الظرف المناسب كما يقول «نيكلسون» فقد انتهز فرصة الحرب

القائمة وأخذ يزجى هذه الحكم البالغة التى استوحاها من الموقف نفسه، ويقول «نيكلسون»: «إنها حكم توائم عصره وبيئته كل المواءمة». وأقول: أنها توائم جميع الناس على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم وعصورهم.

ولرب **قائل يقول**: إن زهيراً - على حصافة عقله وثقوب فكره - قد ناقض نفسه لأنه فى حكمه يرسم للناس المثل الأعلى للخلق القويم وحسن المعاملة ثم ينقض ذلك بقوله:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وهذا القائل قد نسى أن زهيراً كان يعيش فى جوف هذه الجاهلية المظلمة وأنه لم يستطع - أن يتخلص من بيئته وما تأصل فيها من عادات، وما أصدق **دريد بن الصمة حين يقول**:(١)

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

وإن فى قول فريط بن أنيف العنبرى فى هجاء قومه ما يجعلنا نوقن بأن عادة الظلم والطغيان كانت موضع فخرهم وأن الصفح والمغفرة كانا سبة وعاراً وهاك قوله:

لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد   ليسوا من الشر فى شئ وإن هانا

---

(١) نصوص ٦٤ - ٦٥

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنساناً

فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

وفى هذا القول دليل واضح على أن المناجزة والبدء بالعدوان كانا موضع المفاخرة والتباهى وأن الدعة والمسالمة كانا سمة المهانة والمذلة.

والإسلام فى فجره لم يستل من نفوسهم هذا الحق الشائن، فقد هجا **النجاشى بنى العجلان** بقوله:

قبيلته لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فهو يصفهم بالضعف والاستكانة وعجزهم عن ظلم الناس وقد شعر، المهجوون بذلك وعدوه هجاء مراً يزرى بهم فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ولكن عمر نظر إليه بروحه الإسلامية السمحة التى تمقت الظلم فقال: «ما أرى ذماً فليت آل الخطاب كذلك» ولم يرفيه هذا الروح المنكر المختفى تحت ألفاظه الذى ينشده الشاعر. والحق أن البيت يعتبر مدحاً خالصاً وليس فيه هجاء ما. ولكنها الطبيعة الجاهلية.

ويمكن أن يقال فى تفسير هذا التناقض عند زهير: إنه ربما أراد بهذا البيت التهكم بهم والتنديد بأخلاقهم الذميمة. فقال: إن من يروم الغلبة والاستعلاء منهم لجأ إلى هذه العادة القبيحة وهى ظلم الناس.

وقد سبق لزهير أن اصطنع السخرية وسيلة للحث على الفضيلة والنهى عن الرذيلة فقال يصف الحرب متهكماً:

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ويمكن أن يقال أيضاً: إنه أراد أن يصف الحياة العربية الجاهلية على حالها وهو منكر لما فيها من قبيح العادات.

ومن ظريف ما يذكر أن أحد شراح المعلقات يذكر أن العرب كانت لا تعد الشاعر فحلاً حتى يأتى ببعض الحكمة فى شعره، فلم يعدوا امرؤ القيس فحلاً حتى قال:[1]

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

ولم يعدوا النابغة فحلاً حتى قال:

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زأر من الأسد

ولم يعدوا زهيراً فحلاً حتى قال:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ولم يعدوا الأعشى فحلاً حتى قال:

والشعر قلدته سلامة ذافا ئش والشئ حيثما جعلا

(١) نصوص ٦٦ - ٦٧.

ولو جاريناهم فى ذلك لوجب أن يسمى زهير «أفحل الفحول» لأن حكمه أغزر من حكمهم وأسمى.

ومن حسنات زهير أنه لا يجنح فى مدحه إلى الغلو الممقوت، ولا يأتى بسفساف القول، بل يرغب عن ذلك ويحرص على الاقتصاد فى القول والاعتدال فى الثناء، فلا يمدح أحداً إلا بما هو فيه، وإذا وقع له شئ من الغلو جعل الشرط مانعاً مثل قوله فى هرم:

لو نال حى من الدنيا بمنزلة   وسط السماء لنالت كفه الأفقا

فلو الشرطية هنا أبعدت زهيراً عن السخف والكذب وأبقته فى حدود صدقه ورصانته[1].

قال ابن سلام «من قدم زهيراً احتج بأنه كان أحسنهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من اللفظ وأشدهم مبالغة» فهذه المبالغة التى ذكرها ابن سلام تجعله يتتبع وصف ممدوحه بجميع الخلال الحميدة من كرم وشجاعة وحلم وطيب محتد وبلاغة فى المنطق إلى آخر ما هنالك من الفضائل والصفات التى يفاخرون بها ويعدونها من شروط السيادة عندهم، وهو فى تقصيه لهذه الصفات يبرأ من الكذب والغلو المذموم.

---

(١) نصوص ٧٤ - ٧٥.

وصاحب الصناعتين يعرض لنا فى شئ من الإيضاح لمحة عن مذهب زهير فى مديحه فيقول: والجيد فى المدح قول زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا

وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلو[١]

وفيهم مقامات حسان وجوههم

وأندية ينتابها القول والفعل[٢]

فلما استتم وصفهم بحسن المقال وتصديق القول بالفعل وصفهم بحسن الوجوه ثم قال:

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل[٣]

فلم يخل مكثراً ولا مقلاً منهم من بر وفضل، ثم قال:

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم

مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل[٤]

---

(١) استخبال المال: أن يسألوهم شيئاً فيعطوهم إياه، ييسروا: يتقامروا. يغلو: يختاروا سمان الإبل.

(٢) المقامات والأندية: المجالس.

(٣) يعتريهم: ينزل بهم.

(٤) الجهل: الحمق.

فوصفهم بالحلم ثم قال:

وإن قَام منهم قائم قال قاعد رشدت فلا غرم عليك ولا خذل(١)

فوصفهم أيضاً بالتضافر والتعاون فلما أتاهم هذه الصفات النفسية ذكر فضل آبائهم فقال:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

فهو فى مديحه يأتى الصفات التى يشرف بها العربى والتى تتم بها السيادة ولقد صدق عبد الملك بن مروان حين سمع هذا البيت:

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

فقال: ما ضر من مدح بهذا البيت ألا يكون يلى أمور الناس يعنى الخلافة. وصدق الأحنف بن قيس حين قال فى زهير: إنه ألقى عن المادحين فضول الكلام بقوله:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

وما أشد إعجاب القدماء بهذه الأبيات التى يقول عنها ابن رشيق

---

(١) قائم: من يقوم بالحمالة وهى الدية ويريد أى مغرم.

في العمدة:[1] ومما قدم به زهير قوله:

لو كان يقعد فوق النجوم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم «سنان» أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا جن إذا افزعوا مرزأون بهاليل إذا جهدوا[2]
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

وقد استطاع بحذقه لصناعته أن يودع كثيراً من المعانى فى قليل من الألفاظ من غير تعقيد ولا التواء وتلك ظاهرة بارزة فى شعر زهير كله.

وربما أعجبك من زهير تدقيقه فى معانيه واختيار اللفظ الملائم للمعنى الملائم حتى ينجو من الغمز والطعن وأحب أن تقرأ له هذين البيتين:

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فمايك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

روى صاحب زهر الآداب: أن النقاد قد أعجبوا بقوله: «ولم

(١) نصوص ٧٦ - ٧٩.
(٢) المرزأون: الكرام. البهلول: السيد الجامع لخصال الخير.

يألوا » لأنه لما ذكر السعى بعدهم والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير المطالبين فى طلبهم فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصرين وأنهم مع الاجتهاد فى المتأخرين. ثم لم يرض أن يجعل مجدهم طارفا فيهم ولا جديداً لديهم حتى جعله إرثاً عن الآباء وهؤلاء ورثوه عن آبائهم ثم يقول: وهذا لو تكلفه متكلف فى المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع الاختصار[1].

على أن أحداً لم يتحدث عن مديح زهير كما تحدث **عميد الأدب العربى** حين قال: فإن أمر المدح عند زهير يسير أيسر جداً مما نظن وقد فهمه القدماء على وجهه أحسن فهم وأصدقه.

ولعلك تذكر أن **عمر بن الخطاب** رضى الله عنه كان يحب مدح زهير لأنه كان مدحاً صادقاً لا يضيف إلى الرجل غير ما هو فيه **ولأنه** كان مدحاً خليقاً أن يبقى وأن يحفظه الناس لصدقه وارتفاعه عن السخف وبعده عن الإحالة وتوخيه هذه الخصال التى يحبها الناس ويحبها العرب خاصة فالذين يمدحهم زهير قوم كرام أجواد لا يبخلون بالمال ولا يؤثرون به أنفسهم وإنما هم يهينونه ويؤثرون به عشائرهم يشترون به سلم العشيرة ويشترون به راحة الضمير ويشترون به الحمد والثناء وهم شجعان لا يؤثرون أنفسهم بالعافية ولا يبخلون بحياتهم

---

(١) نصوص ٧٨ - ٨٠.

عند مواطن البأس لا يفرون مهما تكن الملمات ولا يحجمون مهما يقدموا على الهول. وهم على ذلك كله ناس لا يخرجون عن طور الناس. حتى جبن يريد زهير أن يغلو ويلح فى المدح فهو مهما يغل يكره الإحالة وينفر من أن يقول غير الحق وانظر إلى هذا البيت فإنه يلخص مذهب زهير فى المدح أحسن تلخيص ويصدق فيه قول عمر رحمه الله:

ولو أن حمداً يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

وإذا لم يكن بد من أن تستعرض بعض هذا المدح فاقرأ معى هذه الأبيات التى يمدح بها زهير حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى:

وأبيض فياض يداه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله

بكرت عليه غدوة فرأيته قعوداً لديه بالصريم عواذله

يفدينه طوراً وطوراً يلمنه وأعيا فما يدرين أين مخاتله

فأقصرن منه عن كريم مرزأ عزوم على الأمر الذى هو فاعله

أخى ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

***

الفصل الخامس

طرفة بن العبد

* * *

أما طِرفة[1] فهو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلة، وهو القائل:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد ، وله بعدها شعر حسن، وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل.

وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم. وكانت أخته عند عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحاً، إذا قام، أهضما

وأن نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن: عسيب من سرارة ملهما[2]

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً فعقره، وقال لعبد عمرو: انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال «ولا عيب» البيت! وكان عمرو بن هند شريراً، وكان طرفة قال له قبل ذلك:

ليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثاً حول قبتنا تخور[3]

---

(١) خزانة الأدب ١/ ٤١٢ - ٤١٧، معاهد التنصيص ص ١٦٤ - ١٦٦، الشعر والشعراء ١/ ١٨٥، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١/ ٩٢.

(٢) سرارة الوادي: أفضل موضع فيه، اللسان ١٦/ ٤٢.

(٣) الرغوث: المرضعة، ديوان طرفة ص ٦ - ٩، اللسان ٣/ ٤٥٨، الشعر والشعراء ١/ ١٨٦.

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن، الذى قال فيك أشد ما قال فى، قال: وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه، وكتب له إلي عامله بالبحرين فقتله. ويقال إن الذى قتله المعلى بن حنش العبدى، والذى تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلى، حى من طسم وجديس.

* * *

ومن جيد شعره قوله:

أرى قبر نحام بخيل بماله

كقبر غوى فى البطالة مفسد

أرى الموت يعتام الكريم ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد(١)

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة

وما تنقص الأيام والدهر ينفد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكالطول المرخى وثنياه فى اليد(٢)

---

(١) يعتام: يختار، عقيلة المال: أكرمه، الفاحش: البخيل، لسان العرب ٨/ ٢١٦، ١٥/ ٣٢٩.

(٢) الطول: الحبل الطويل، ثنياه: طرفاه، لسان العرب ٣/ ٤٣٨، ١٨/ ١٣٢.

* * *

وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله، فقال:

ما تنظرون بمال وردة فيكم   صغر البنون ورهط وردة غيب

قد يبعث الأمر العظيم صغيره   حتى تظل له الدماء تصبب

والظلم فرق بين حيى وائل   بكر تساقيها المنايا تغلب

والصدق يألفه الكريم المرتجى   والكذب يألفه الدنى الأخيب

* * *

ويتمثل من شعره بقوله:

وترد عنك مخيلة الرجل الـ   ـعريض موضحة عن العظم

بحسام سيفك أو لسانك، والـ   ـكلم الأصيل كأرغب الكلم[1]

وبقوله:

لنا يوم وللكروان يوم   تطير البائسات ولا نطير

الكروان: جمع كروان.

---

(١) العريض: الذى يتعرض الناس بالشر، الشعر والشعراء ١/ ١٨٧.

ويقال إن أول شعر قاله طرفة أنه خرج مع عمه في سفر، فنصب فخاً، فلما أراد الرحيل قال:

يا لك من قبرة بمعمر   خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري   قد رفع الفخ فماذا تحذري
لابد يوماً أن تصادي فاصبري

★★★

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً، قتل وهو ابن عشرين سنة، فيقال له «ابن العشرين»[1]. وكان ينادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات يوم أخته، فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده؛ فقال:

ألا يا بأبي الظبي ال   لذي يبرق شنفاه
ولولا الملك القاعـ   ـد قد ألثمني فاه[2]

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً:

وليت لنا مكان الملك عمرو   رغوثاً حول قبتنا تدور
لعمرك إن قابوس بن هند   ليخلط ملكه نوك كثير

---

(١) سمط اللآلئ ص ٣١٩، خزانة الأدب ١/ ٤١٤، ٤١٦، الشعر والشعراء ١/ ١٨٨.
(٢) الشنف بفتح فسكون: الذي يلبس في أعلى الأذن، والقرط: في أسفلها، وقيل: هم سواء، الشعر والشعراء ١/ ١٨٩.

وقابوس: هو أخو عمرو بن هند، وكان فيه لين،ويسمى قينة العرس. فكتب له عِمرو بن هند إلى الربيع بن حوثرة عامله على البحرين كتاباً أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة، وكتب للمتلمس بمثل ذلك.

وأما طرفة فمضى بالكتاب، فأخذه الربيع فسقاه الخمر حتى أثمله، ثم فصد أكحله، فقبره بالبحرين. وكان لطرفة أخ يقال له معبد بن العبد، فطلب بديته، فأخذها من الحواثر(١).

* * *

قال أبو عبيدة:مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة،وهو يتوكأ على عصا، فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله:من أشعر العرب؟ ففعل، فقال له لبيد: الملك الضليل، يعنى امرأ القيس، فرجع فأخبرهم، قالوا: ألا سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: ابن العشرين،يعنى طرفة، فلما رجع قالوا: ليتك سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: صاحب المحجن، يعنى نفسه(٢).

قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم واحدة، ولا يلحق بالبحور(٣)، يعنى

---

(١) الأغانى ٢١/ ١٣٢.

(٢) الأغانى ١٤: ٩٣، الشعر والشعراء ١/ ١٩٠.

(٣) «طرفة أجودهم، وأجده لا يلحق بالبحور» الجمحى ٣٠ «طرفة أجودهم واحدة، وهى قوله» نأشار إلى المعلقة. وقد قال فى أول الكلام: «الطبقة الرابعة، وهم أربعة رهط فحول شعراء، موضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدى الرواة».

امرأ القيس وزهيراً والنابغة، ولكنه يوضع مع أصحابه: الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وسويد بن أبى كاهل.

* * *

ومما سبق إليه طرفة فأخذ منه قوله يذكر السفينة:

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد(١)

أحده لبيد فقال:

تشق خمائل الدهنا يداه كما لعب المقامر بالفيال

وأخذه الطرماح فقال:

وغدا تشق يداه أوساط الربا قسم الفيال تشق أوسطه اليد

* * *

ومن ذلك قوله:

ومكان زعل ظلمانه كالمخاض الجرب فى اليوم الخدر(٢)

---

(١) من المعلقة. حباب الماء: طرائقه، وقيل معظمه. الحيزوم: الصدر. المفايل، بالياء، و«المفائل» بالهمزة، وكذلك «الفيال» فى البيتين الآتيين. و«الفيال» بفتح الفاء وكسرها وتخفيف الياء: لعبة لفتيان الأعراب بالتراب، يخبؤون الشئ فى التراب ثم يقسمونه بقسمين، ثم يقول الخابئ لصاحبه: فى أى القسمين هو؟ فإذا أخطأ قال له: فال رأيك، اللسان ١: ٣٨٦ و ١٤ : ٥١.

(٢) الزعل: النشيط. الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام المخاض: الحوامل من النوق. الخدر: الشديد البرد.

قد تبطنت وتحتى سرح   تتقــى الأرض بملثــوم معــر[1]

أخذه عَدى بن زيد ولبيد، فقال عدى:

ومكان زغل ظلمانــه   كرجال الحبش تمشى بالعمد
قد تبطنت وتحتى جسرة   عبر أسفار كمخراق وحد[2]

وقال لبيد:

ومكان زعل ظلمانــه   كحزيق الحبشيين الزجل[3]
قد تبطنت وتحتى جسرة   حرج فى مرفقيها كالفتل[4]

* * *

ومن ذلك قوله[5]:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى   وجدك لم أحفل متى قام عودى

---

(١) تبطنت: صرت فى بطنه. سرح: يريد ناقة منسرحة فى مشيها، أى سريعة. وفى الديوان ٦٦ «وتحتى جسرة». بملثوم: أى بخف ملثوم، وهو الذى جرحته الحجارة. المعر: الذى ذهب شعره.

(٢) الجسرة: الناقة الطويلة الضخمة. وحد: منفرد.

(٣) الحزيق: الجماعة من الناس. الزجل: جمع زجلة، وهى الجماعة من الناس، اللسان ١١: ٣٣١، ١٣: ٣٢٢.

(٤) الحرج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. الفتل: تباعد ما بين المرفقين عن جنبى البعير، اللسان ١٤: ٢٩.

(٥) من المعلقة، الشعر والشعراء ١/ ١٩١.

فمنهن سبقى العاذلات بشربةٍ

كميت متى ما تعل بالماء تزيد

وكرى ، إذا نادى المضاف ، محنباً

كسيد الغضا ، نبهته ، المتورد[1]

وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب،

ببهكنة تحت الخباء المعمد[2]

أخذه عبد الملك بن نهيك بن إساف الأنصارى فقال:[3]

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام رامس

فمنهن سبقى العاذلات بشربةٍ كأن أخاها مطلع الشمس ناعس

ومنهن تجريد الكواعب كالدمى إذا ابتز عن أكفالهن الملابس

---

(١) كرى: عطفى. المضاف: الذى أحيط به، يقال «أضفته إلي كذا» أى ألجأته، ومنه المضاف فى الحرب. السيد: الذئب. الغضا: شجر. المتورد: الذى يطلب أن يرد الماء، اللسان ١: ٣٢٤، ١١: ١١٤.

(٢) الدجن: إلباس الغيم الأرض، وقيل: الندى والمطر الخفيف. يريد أنه يقصر يومه باللهو، ويوم اللهو قصير. البهكنة: الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة. المعمد: ذو العمد.

(٣) هو عبد الله بن أبى معقل بن نهيك بن إساف الأنصارى، شاعر مقل حجازى من شعراء الدولة الأموية. ترجم فى الأغانى ٢٠: ١١٦ - ١١٨ والأبيات فيه.

ومنهن تقريط الجواد عنانه إذا استبق الشخص الخفى الفوارس[١]

* * *

ومما سبق إليه قوله:[٢]

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقال غيره:

ويأتيك بالأنباء من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد[٣]

* * *

ومن جيد شعره:

ألا أيها اللاحى أن أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات: هل أنت مخلدى[٤]

---

(١) التقريط: فعل الفارس، وهو حمل الجواد على أشد الحضر، وذلك أنه إذا اشتد حضره امتد العنان على أذنه فصار كالقرط، ونسبته للجواد نفسه توسع.

(٢) من المعلقة، الشعر والشعراء ١/ ١٩٢.

(٣) وهذا البيت ثابت فى المعلقة بعد البيت السابق، فى جمهرة أشعار العرب وشرح القصائد العشر وشرح الزوزنى على المعلقات وشرح ديوان طرفة. وذكر فى اللسان ٢: ٣١٢ غير منسوب. البتات: الزاد، وفسر فى الجمهرة بالسر، ونسبه ابن قتيبة لغير طرفة، الشعر والشعراء ١/ ١٩٣.

(٤) من المعلقة. اللاحى: اللائم والعاذل.

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى

فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

أرى قبر نحام بخيلٍ بماله... البيت

أرى الدهر كنزاً ... البيتين(١)

***

ومن جيد شعره:

ولا غرو إلا جارتى وسؤالها: ألا هل لنا أهل؟ سئلت كذلك(٢)

دعا عليها بأن تغترب حتى تسأل كما سألته.

ومن حسن الدعاء قول النابغة الذبيانى:

أغيرك معقلاً أبغى وحصناً فأعيتنى المعاقل والحصون

وجئتك عارياً خلقاً ثيابى على خوفٍ تظن بى الظنون(٣)

العارى: من «عراك يعروك» إذا أتاك يطلب ما عندك، ونحوه العافى

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٩٣.

(٢) لا غرو: لا عجب. الديوان ٥٥، اللسان ١٩: ٣٥٨.

(٣) الشعر والشعراء ١/ ١٩٤.

* * *

ومن جيد شعر طرفة:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وإن لسان المرء، ما لم تكن له حصاة، على عوراته لدليل[(١)]

وإن امرءاً لم يعف يوماً فكاهة لمن لم يرد سوءاً بها لجهول

وقال وهو صبى:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة[(٢)]

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

* * *

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوماً:

أسد غيلٍ فإذا ما شربوا وهبوا كل أمون وطمر[(٣)]

---

(١) الحصاة: العقل والرأى، وفى اللسان: «يقول: إذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه عن بسطه فيما لا يجب دل اللسان على عيبه بما لفظ به من عور الكلام». وذكر البيت والذى قبله ونسبهما لكعب بن سعد الغنوى، ثم قال: «ونسبه الأزهرى لطرفة». والأبيات الثلاثة فى ديوان طرفة ٥٢ فى قصيدة.

(٢) الواضحة: الأسنان التى تبدو عند الضحك،صفة غالبة، الديوان٤٣،اللسان ٣:٤٧٤.

(٣) القصيدة فى الفخر بنفسه وبقومه. الغيل: شجر كثير ملتف يستتر فيه كالأجمة. الطمر: الفرس الجواد المستفز للوثب والعدو. والبيت ملفق من بيتين فى الديوان ٦٧، ٦٨.

ثم راحوا عبق المسك بهم   يلحفون الأرض هداب الأزر(١)

ذكر أنهم يعطون إذا سكروا، ولم يشرط لهم ذلك فى صحورهم كما قال عنترة:

وإذا شربت فإننى مستهلك   مالى، وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى   وكما علمت شمائلى وتكرمى

قالوا: والجيد قول زهير:

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله   ولكنه قد يتلف المال نائله

وقال بعض المحدثين:

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله   ولكن عطايا عود وبوادى

* * *

وطرفة أول من طرد الخيال، فقال:

فقل لخيال الحنظلية ينقلب   إليها، فإنى واصل حبل من وصل

---

(١) عبق: تقرأ اسماً وفعلاً، عبق الطيب، من باب «فرح» علق ولصق. يلحفون الأرض يغطونها ويلبسونها هداب أزرهم إذا جروها فى الأرض، يقال «لحفه وألحفه» بمعنى، اللسا. ١١: ٢٢٥، ١٢: ١٠٤.

وقال جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

قال الأصمعي: قلت لشيخ مسن من المدنيين: أرأيت قول كثير:

قد أروع الخليل بالصرم مني   لم يخفه ، وقلة التكليم

أي شئ هذا من السباب؟ فقال: يا ابن أم ، أي شئ يصنع؟ أحرقته! ![1]

★★★

وكان طرفة قد سمي بذلك ببيت قاله، كما سمي كل من المتلمس، وأفنون التغلبي ببيت من شعرهما ، وكذلك سمي شعراء بأبيات لهم[2].

وقال الشعر، ووقع به في أعراض الناس، حتى هجا قومه وأهله، وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة، مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له، فاضطغنها عليه، وأسرها في نفسه، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ١٩٦.

(٢) النقائض، ص ٨٨٦، البيان والتبيين ١/ ١٤٩، شرح شواهد المغني ص ١٧، هامش تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١/ ٩٢.

لفضله - وكان قد بلغه من المتلمس مثل الذى وصل إليه عن طرفة - أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما ،وأمر لكل منهما بجائزة، وكتب لهما كتابين، وأحالهما إلى عامله بالبحرين ليستوفياها منه، فبينما هما فى الطريق ارتاب المتلمس فى صحيفته، فعرج على غلام يقرؤها له، ومضى طرفة، فإذا فى الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة، وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه، وفر إلى ملوك غسان، وذهب طرفة إلى عامل البحرين، وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة.

وقال طرفة الشعر وهو صبى فنبغ فيه حتى عد من الفحول ولم ينيف على العشرين، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التى وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً وصفاً لم يسبقه إليه أحد، وتعد معلقته من أجود المعلقات، وأكثرها غريباً، وأغزرها معنى، وروى له غيرها من الشعر، ولكنه قليل بالنسبة لشهرته، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره، ويجيد طرفة الوصف فى شعره، مقتصراً فيه على بيان الحقيقة، بعيداً عن الغلو والإغراق، وكذلك كان هجاؤه على شدة وقعه، ومطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ومنها:

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى   ولا أهل هذاك الطراف الممدد

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى

فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد[1]

ومن أبياته السائرة قوله:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند

أرى الموت أعداد النفوس، ولا أرى

بعيداً غدا، ما أقرب اليوم من غد

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى ص ٢٦٢.

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له

بتاتاً، ولم تضرب له وقت موعد

وقوله:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

وقوله:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء - ما لم يكن له حصاة - على عوراته لدليل

وقوله:

قد يبعث الأمر الصغير كبيره حتي تظل له الدماء تصبب

ومن كلامه يفتخر:

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر
حين قال الناس فى مجلسهم : أقتار ذاك أم ريح قطر
بجفان تعترى نادينا من سديف حين هاج الصنبر

كالجوابى لا تنى مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثم لا يَخزن فينا لحمها إنما يحـزن لحم المدخر
نمسك الخيل على مكروهها حين لا يمسكها إلا الصبر[1]

ومن قوله فى وصف الناقة:

وإنى لأمضى الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمونٍ كألواح الإران نصأتها على لا حبٍ كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها سفنجة تبرى لأزعر أربد
تبارى عتاقاً ناجياتٍ وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد
تربعت القفين فى الشول ترتعى حدائق مولى الأسرة أغيد
تريع إلى صوت المهيب ، وتتقى بذى حصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحى مضرحى تكنفاً حفافيه شكا فى العسيب بمسرد
فطوراً به خلف الزميل ، وتارةً على حشف كالشن ذاوٍ مجدد[2]

***

(١) شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى، ص ٢٦٣.
(٢) شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى، ص ٢٦٢، ٢٦٤.

الفصل السادس

جرير والفرزدق

* * *

أما جرير فهو جرير بن عطية بن حذيفة، ولقب حذيفة الخطفى لقوله:

* وعنقاً باقى الرسيم خيطفاً[1] *

وهو من بنى كليب بن يربوعٍ. وكان عطية أبو جرير مضعوفاً، وأم جرير من بنى كليب بن يربوع. وكان له أخوان. وولدت جريراً أمه لسبعة أشهر، وعمر نيفاً وثمانين سنة، ومات باليمامة. وكان يكنى أبا حزرة، وكان له عشرة من الولد، فيهم ثمانية ذكور، منهم بلال بن جرير، وكان أفضلهم وأشعرهم، ويكنى أبا زافر، ورأى فى المنام أنه قطعت له أربع أصابع من أصابعه، فقاتل بنى ضبة فقتلوا له أربعة بنين. ولبلال عقب، منهم عمارة بن عقيل بن بلال، وهو القائل فى دينارٍ ويحيى ابنى عبد الله:

ما زال عصياننا لله يسلمنا حتى دفعنا إلى يحيى ودينار

إلى عليجين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنار

* * *

(١) لسان العرب ١٠/ ٤٢٤، الاشتقاق ص ١٤١ الشعر والشعراء ١/ ٤٦٤، العنق: ضرب من سير الدابة، الرسيم: أثر الناقة فى الأرض، الخيطفى: سرعة انجذاب السير.

وكان بلال نزل برجلٍ يقال له مسعود بن طعمة، من بنى بيدعة، فلم يحسن قراه، فقال:

أمسعود أنت اللئيم الأثيم كأنك قنفدة فى ضعه
سمعنا له إذ نزلنا به كلاماً كما تنطق الضفدعه
فأى اللئيمين أشبهته أطعمة أم أمك الكوتعه
عددنا عدياً وآباءهم فشر عدى بنو بيدعه
فما أعطش الضيف لما غدا من البيدعات وما أجوعه

وقال (بلال) فى قوم من بنى فقيم، يقال لهم بنو ناشرة:

عددنا فقيماً وآباءهم فشر فقيم بنو ناشره
قصار الفعال طوال الخطى مناتين ليست لهم بادره
يعدون غرماً قرى ضيفهم فلا عدموا صفقة خاسره
إذا ضفتهم ثم ساءلتهم وجدت بهم علة حاضره
وليسوا، إذا قلت: ماذا هم؟ بأصحاب دنيا ولا آخره

وقال فى حماد المنقر:

نزلنا بحمادٍ فخلى كلابه علينا، فكدنا بين بيتيه نؤكل

وقد قال قبلي قائل ظل فيهم: أذا اليوم أو يوم القيامة أطول[1]

* * *

ومن ولد جرير عكرمة بن جرير، وكان شاعراً، ونوح بن جرير، وكان شاعراً.

* * *

وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، ويشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: هما بازيان يصيدان ما بين العندليب إلى الكركى.

وكل من أحسن الناس تشبيباً. عن الأصمعى قال: سمعت الحى يتحدثون أن جريراً قال: لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيباً تحن منه العجوز إلى شبابها ما تحن الناب إلى سقبها.

* * *

وكان من أشد الناس هجاء. قال الأصمعى: أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال: مر راعى الإبل فى سفر فسمع إنساناً يتغنى (على قعود له) بشعر جرير، وهو قوله:

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٦٥.

وعاو عوى من غير شئ رميته بقافية أنفاذها تقطر الدما

خروج بأفواه الرواة كأنها قرى هندوانى إذا هز صمما

(فقال: لمن هذا: قيل: لجرير)، فقال الراعى: لعنة الله على من يلومنى أن يبلغنى مثل هذا!(١)

وكان مع حسن تشبيبه عفيفاً، وكان الفرزدق فاسقاً، وكان يقول: ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعرى، وما أحوجنى إلى رقة شعره، لما ترون.

وحكى أبو عمرو بن العلاء قال: كنت قاعداً عند جريرٍ وهو يملى:

ودع أمامة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

فمرت به جنازة، فترك الإنشاد وقال: شيبتى هذه الجنائز، قلت: فلأى شئ تشتم الناس؟ قال: يبدؤوننى ثم لا أعفو، (قال): وكان يقول: أنا لا أبتدى ولكن أعتدى.

★ ★ ★

وبلغه عن بعض شعراء بنى كليب شئ ساءه، فدعاه إلى مهاجاته، فقال الكليبى: إن نسائى بإمتهن، ولم تدع الشعراء فى نسائك مترقعاً.

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٦٦، زهر الآداب ١/ ٥٧ - ٥٨

* * *

وكان جرير يقول: النصرانى أنعتنا للخمر والحمر وأمدحنا للملوك، وأنا مدينة الشعر.

وقال أبو عمرو: سئل الأخطل: أيكم أشعر؟ قال: أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحمر، يعني النساء، وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا.

وقال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما　　　حلو القريض ومره لجرير

* * *

وكان جرير مقيماً بالمروت من البادية، والفرزدق بالعراق، وهما يتهاجيان، فأرسلت بنو يربوع إلى جرير: إنك مقيم بالمروت ليس عندك أحد يروى عنك والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع حجج، فانحدر إلى العراق فأقام بالبصرة، ولذلك يقول:

وإذا شهدت لثغر قومى مشهداً　　　آثرت ذاك على بنى ومالى

* * *

ومدح الحجاج فأكرمه وأدناه، وأوفده إلى عبد الملك بن مروان فاستنشده، فأنشده فى الحجاج:

صبرت النفس يا بن أبى عقيل مجاهدة، فكيف ترى الثوابا

إذا سعر الخليفة نار حرب رأى الحجاج أثقبها شهاباً

وأنشده مدحته التى يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب، فقال له جرير يا أمير المؤمنين، نحن أشياخ،وليس فى واحد منا فضل على راحلته،والإبل أباق،قال: فنجعل أثمانها لك رقة؟ قال: لا، ولكن الرعاء، فأمر له بثمانية أعبد، فقال جرير: والمحلب يا أمير المؤمنين! فنبذ إليه إحداهن بالخيزرانة، وقال: خذها لا نفعتك! ففى ذلك يقول جرير:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطائهم من ولا سرف(١)

قال أبو عبيدة: كان الفرزدق بالمربد، فمر به رجل قدم من اليمامة، فقال له: من أين وجهك؟ قال: من اليمامة، قال: فهل علقت من جرير شيئاً؟

فأنشده : * هاج الهوى بفؤادك المهتاج *

فقال الفرزدق : * فانظر بتوضيح باكر الأحداج *

---

(١) هنيدة: اسم للمائة من الإبل، لسان العرب ٤/ ٤٤٩، الشعر والشعراء ١/ ٤٦٨.

فقال * هذا هوى شغف الفؤاد مبرح *

فقال الفرزدق : * ونوى تقاذف غير ذات خلاج *

فقال * ليت الغراب غداة ينعب دائباً *

فقال الفرزدق : * كان الغراب مقطع الأوداج *

فما زال (الرجل) ينشده صدراً (صدراً) من قول جرير، وينشده الفرزدق عجزاً (عجزاً)، حتى ظن الرجل أن الفرزدق قالها (وأن جريراً سرقها)، ثم قال له: هل ذكر فيها الحجاج؟ قال: نعم، قال: إياه أراد.

***

ومن خبيث هجائه قوله للفرزدق:

* لقد ولدت أم الفرزدق مقرفاً * الأبيات

***

ومن جيد شعره قوله:

تعالوا نحاكمكم ، وفى الحى مقنع

إلى الغر من أهل البطاح الأكارم

فإن قريش الحق لم تتبع الهوى

ولم يرهبوا فى الله لومة لائم

فإني لراضٍ عبد شمس وما قضت

وأرضى بحكم الصيد من آل هاشم

أذكركم بالله : من ينهل القنا

ويضرب كبش الجحفل المتراكم

وكنتم لنا الأتباع في كل موقف

وريش الذنابى تابع للقوادم

إذا عدت الأيام أخزيت دارماً

وتخزيك يا بن القين أيام دارم

وما زادني بعد المدى نقض مرةٍ

ولا رق عظمي للضروس العواجم

ويستجاد له قوله: * فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة * الأبيات

وقوله يرثي امرأته: * للا الحياء لعادني أستعبار * الأبيات(١)

ومنها:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٦٩.

ولهت قلبى إذ علتنى كبرة　　وذوو التمائم من بنيك صغار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا　　ليل يكر عليهم ونهار

وهو أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وبلغاء المداحين الهجائين وأنسب الثلاثة المفلقين وهو من بنى يربوع أحد أحياء تميم، ولد باليمامة سنة اثنتين وأربعين من الهجرة، من بيت اشتهر بالشعر، ونشأ بالبادية، وفيها قال الشعر ونبغ فيه، وكان يختلف إلى البصرة فى طلب الميرة ومدح الكبراء، وينزل على من يسكن البصرة من قومه، فرأى الفرزدق وما كسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة، وهو تميمى مثله، وود لو يسبقه إلى ما ناله، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم، إذ كان الشعر فى ذلك العصر هو وسيلة الإعلان عن الشرف، ثم وقعت بينه وبين الفرزدق المهاجاة والملاحاة عشر سنين، وكان أكثر إقامة جرير أثناءها بالبادية، وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسباً، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة، فكان يقيم بها كثيراً، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده، فعظم أمره، وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه، فلما دخل عليه الوفد استأذنه جرير فى إنشاده، فأبى، وقال له: إنما أنت للحجاج، فما برح يتوسل إليه حتى قبل مدحه، وأجازه عليه جائزة سنية، ومن ذلك الحين عد من

مداح خلفاء بنى أمية، ودخل فى غمار المتزاحمين على أبوابهم، والمتنافسين فى نيل جوائزهم، وجره ذلك إلى معاداة منافسيه ومهاجاتهم، وحرش الفرزدق بينه وبينهم، وأغراهم بالمال، ونصب له منهم ثمانين شاعراً، ولكن جريراً غلبهم كلهم وأخرسهم، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل، فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالاً حتى مات الأخطل، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان مدة حياتهما، إلا مدة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب، ثم مات، ولم يطل عمر جرير بعده إلا نحو ستة أشهر، ومات باليمامة سنة مائة وعشر من الهجرة وكان فى جرير - على هجائه للناس وخوضه فى أعراضهم - عفة، ودين، وحسن خلق، ورقة طبع، وقد ظهر أثر هذه الخلال فى شعره.

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشأوا فى الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل، وإنما اختلفوا فى السابق منهم، والمبرز فى حلبتهم، ومال إلى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه، ولكل هوى وميل فى تقديم صاحبه: فمن كان هواه فى النسيب، وجودة الغزل والتشبيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف فى أغراض شتى فضل جرير وحكم بسبقه، ومن مال إلى جودة الفخر، وفخامة اللفظ، ودقة المسلك، وصلابة الشعر، وقوة أسره، فضل الفرزدق ورآه خيراً من كليهما، ومن نظر - بعد بلاغة اللفظ، وحسن الصوغ - إلى إجادة المدح والإمعان فى الهجاء، واستهواه وصف الخمر، واجتماع الندمان

عليها حكم للأخطل وهناك فريق يدخل فى الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب، فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق، وأهل الدين والعفة يقدمون جريراً، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل، ولا عبرة بذلك فى باب صناعة الشعر.

على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريراً أشعر الثلاثة؛ لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر فى باب، فى حين أن الفرزدق امتاز بالفخر، وأن الأخطل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر، ويحتجون لهذا الرأى بحجج، الأولى: أنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير فى رثاء امرأته، والثانية: أن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول: «ما أحوج جريراً مع عفافه إلى صلابة شعرى، وأحوجنى مع شهواتى إلى رقة شعره». والثالثة: أن له فى كل باب من الشعر أبياتاً سائرة هى الغاية التى تضرب بها المثل، فيقال: إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله:

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنساناً

ويقال: إن أمدح بيت قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟

ويقال: إن أفخر بيت قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... رأيت الناس كلهم غضاباً

ويقال: إن أهجنى بيتٍ - مع التصون عن الفحش - قوله:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ويقال: إن أصدق بيت قوله:

إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً ... والنفس مولعة بحب العاجل

ويقال: إن أشد بيت تهكماً قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشر بطول سلامة يا مربع

ونحو ذلك كثير فى شعره.. قيل: وقد لعب جرير وجد فى قصيدة يهجو بها الأخطل التغلبى بما لو أراده غيره لامتنع عليه، ففى لعبه يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لى: ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟

وفى جده يقول:

إن الذى حرم المكارم تغلباً ... جعل الخلافة والنبوة فيناً

مضر أبى، وأبو الملوك، فهل لكم   يا خزر تغلب من أب كأبينا ؟

هذا ابنُ عمى فى دمشق خليفة   لو شئت ساقكم إلى قطينا

قيل: فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال: ما زاد ابن المراغة أن جعلنى شرطياً! أما إنه لو قال:

* لو شاء ساقكم إلى قطينا *

لسقتكم إليه كما قال.

ومن بديع شعره قوله:

لا بارك الله فى الدنيا إذا انقطعت
أسباب دنياك من أسباب دنيانا

ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم
للحبل صرماً ، ولا للعهد نسيانا

أبدل الليل لا تسرى كواكبه
أم طال حتى حسبت النجم حيرانا ؟

* * *

* * *

وقد دام الهجاء بين الفرزدق وجرير أربعين سنة، وسببه أن البعيث الشاعر من مجاشع هجا جريراً، فهجاه جرير فاستعان البعيث على جرير بالفرزدق، فسقط البعيث، وبقي الفرزدق يهاجي جريراً إلى أن وافته منيته.

والعلماء بالشعر مختلفون أي الشاعرين أفضل؟ وقد قال أحد العلماء: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير، والفرزدق، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما، على أن الأكثرين يرون أن جريراً أشعر.

وكان جماعة من كبار الرواة والشعراء يفضلون الفرزدق، حتى كان البحترى الشاعر العباسى المشهور يقول: لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق، ولا أعده من العلماء بالشعر، وكان يرى أن الفرزدق أعمق معاني، وأحسن اختراعاً لها من جرير.

وقد أنصف الأصفهانى في الأغانى فقال: أما من كان يميل إلى جودة الشعر، وفخامته، وشدة أسره فيقدم الفرزدق. وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السمح الغزل فيقدم جريراً. وقد قال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو الكلام ومره لجرير[١]

---

(١) التاريخ الأدبى للعصرين الأموى والعباسى الأول ٢/ ١٠٥ - ١٠٦.

أما سبب التهاجي بين جرير والأخطل فإنه لما وصف للأخطل جرير والفرزدق، وقيل له:إن جريراً يغرف من بحر ،والفرزدق ينحت من صخر، فضل جريراً، فاستاء لذلك أحد أمراء بنى أمية،وبعث إلى الأخطل بمال وكسوة وخمر، وطلب إليه أن يفضل الفرزدق على جرير، ويهجو جريراً، لميله إلى الفرزدق، ففعل، فأجابه جرير، ثم اتصل الشر بينهما[1].

وقيل: إن الأخطل قال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما، وتأتينى بخبرهما، فانحدر مالك حتى لقيهما، وسمع منهما، ثم أتى أباه ففضل جريراً على الفرزدق[2].

واشتغل الأخطل بمهاجاة جرير حتى مات، وروى أنه أوصى الفرزدق على لسان ذويه ألا يكف عن هجاء جرير، ولا يدعه فى هدوء.

* * *

وثمة فريق يرى الجودة والضعف فينقده فى شعر جرير والفرزدق.

فقد اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج، فقال لهما: من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه،ويحسن صفتى،فهذه الخلعة له،فأنشد الفرزدق:

فمن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

---

(١) التاريخ الأدبى للعصرين الأموى والعباسى الأول ٢/ ١٤٧.
(٢) الأغانى ١٠/ ٢، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ١/ ٢٠٦.

ثم أنشد جرير:

فمن يأمن الحجاج أما عقابه   فمر وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق   كما كل ذى دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق: ما عملت شيئاً، إن الطير تتقى الصبى والخشبة، ودفع الخلعة إلى جرير(١).

واجتمع فى ضيافة سكينة بنت الحسين جرير، والفرزدق، وكثير، وجميل، ونصيب، فقال للفرزدق: أنت القائل:

هما دليانى من ثمانين قامة   كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا   أحى يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا   وأقبلت فى أعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلوا بنا   وأحمر من ساج تبص مسامره

قال: نعم، قال: فما دعاك إلى إفشاء سرهما وسرك؟ هلا سترت عليك وعليهما.

ثم قالت لجرير: أنت القائل:

---

(١) معالم النقد الأدبى ص ١١٦ - ١١٧.

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

تجرى السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام

لو كان عهدك كالذى حدثتنا لوصلت ذاك وكان غير لمام

إنى أواصل من أردت وصاله بحبال لا صلف ولا لوام

قال: نعم، قال: أولا أخذت بيدها، وقلت ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيف وفيك ضعف[1].

وأراد البعيث الشاعر أن يفضح جلساء الخليفة الوليد بن عبد الملك من الشعراء، قال:

قال الشيخ الأحمق - يعنى الفرزدق - لعبد بنى كليب:

بأى رشاء يا جرير وماتح تدليت فى حومات تلك القماقم

فجعله يتدلى عليه، وعلى قومه من عل، وإنما يأتيه من تحته، لو كان يعقل.

وقد قال هذا - جرير:

لقومى أحمى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع

وأوثق عند المردفات عشية لحاقا إذا ما جرد السيف لامع

---

(١) معالم النقد الأدبى ص ١١٧ - ١١٨.

فجعل نساءه لا يثقن بلحاقه إلا عشية...

وقال هذا - الأخطل - ومدح رجلاً يسمى قينا، فهجاه، فلم يشعر، فقال:

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالآن طير عن أثوابه الشرر[1]

وقال الفرزدق فى جرير:

يهدي الوعيد ولا يحوط حريمه كالكلب ينبح من وراء الدار

أو يقول في عشيرته كليب:

يستيقظون إلى نهاق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار

وكان جرير يلقاه بمثل قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

وقوله:

خذوا كحلاً ومجمرة وعطراً فلستم يا فرزدق بالرجال

أورد أبو الفرج فى الأغانى أن جريراً وفد على الحجاج فسأله علام تشتم الناس وتظلمهم فقال جرير والله إنى ما أظلمهم ولكنهم

(١) العقد الفريد ٤/ ١٩.

يظلمونني فأنتصر عليهم. مالي ولابن عثمان، ومالي وللبعيث، ومالي وللفرزدق، ومالي وللأخطل حتى عدهم واحداً واحداً فقال الحجاج: ما أدري مالك ومالهم. قال: أخبر الأمير أعزه الله، أما غسان بن ذهيل فإنه من قومي هجاني وهجا عشيرتي، وكان شاعراً قال الحجاج فما قال؟ قال(١):

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريرها

رميت نضالاً عن كليب فقصرت مراميك حتى عاد صفراً جفيرها

ولا يذبحون الشاه إلا بميسر طويلاً تناجيها صغاراً قدورها

قال فما قلت؟ قال:

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جاراً يجيرها

فقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءة يناجي بها نفساً خبيثاً ضميرها

فما في سليط فارس ذو حفيظة ومعقلها يوم الهياج جعورها

قال ثم من؟ قال البعيث. قال: فمالك وله؟ قال: اعترض دون ابن غسان ليفضله علي ويعينه، قال: فما قال لك؟ قال:

كليب لئام الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدت كليب لئيمها

---

(١) الأغاني ١٤/٨ وما بعدها.

لقى مقعد الأحساب منقطع به إذا القوم راموا خطة لا يرومها

أترجو كليب أن يجئ حديثها بخير وقد أعيا كليباً قديمها

قال: فما قلت له؟ قال:

ألم تر أنى قد رميت ابن فرتنى بصماء لا يرجو الحياة أميمها

له أم سوء بئسما قدمت له إذا فرط الأحساب عد قديمها

قال ثم من؟ قال الفرزدق. قال فمالك وماله؟ قال: أعان البعيث على قال: فما قلت له قال:

تمنى رجال من تميم لى الردى

وما ذاد عن أحسابهم ذائد مثلى

كأنهم لا يعلمون مواطنى

وقد جربوا أنى أنا السابق المجلى

فلو شاء قومى كان حلمى فيهم

وكان على جهال أعدائهم جهلى

وقد زعموا أن الفرزدق حية

وما قتل الحيات من أحد قبلى

قال ثم من؟ قال الأخطل. قال: مالك وماله؟ قال: رشاه محمد بن عمير بن عطارد زقا من خمر وكساه حلة على أن يفضل على الفرزدق ويهجونى. قال: فما قال لك؟ قال:

إخسا إليك كليب إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان

وإذا وردت الماء كان لدارم جماته وسهولة الأعطان

وإذا قدفت أباك فى ميزانهم رجحوا وشال أبوك فى الميزان

قال: فما قلت له؟ قال: قلت:

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة فى بنى شيبان

قتلوا كليبتكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان

قال: ثم من؟ قال الراعى. قال مالك وماله؟ قال: قدمت البصرة وكان بلغنى أنه قال فى:

يا صاحبى دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

فقلت له:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهكذا أخذ يسرد له من التحم بهم فى الهجاء فكانوا عشرة وما زال الحجاج يسمر بحديث مهاجاته للشعراء حتى طلع الصبح وقد قال فى شأنه قاتله الله أعرابياً. إنه لجرو هراش.

وكذا هجا الأخطل بقوله:

إن الذى حرم المكارم تغلباً جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا

* * *

ولما فضل الراعى الفرزدق على جرير فى قصيدته التى مطلعها:

يا صاحبى دنا الأصيل فسيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريراً

وعاتبه جرير فلم يعتبه، قال جرير قصيدته الفاضحة التى مطلعها:

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

ومنها بعد نسيبه وفخره «فى نمير قبيلة الراعى»:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
فلو وضعت فقاح بنى نمير على خبث الحديد إذا لذابا

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسبب ذلك الجرو الكلابا

ولو وطئت نساء بني نمير على ترب لأخبثت الترابا

فلا صلى الإله على نمير ولا سقيت قلوبهم سحابا

أنا البازي المطل على نمير أتيح لهم من الجو انصبابا

وكان جرير من أهجى شعراء زمانه، وقد هاجى ثلاثة وأربعين شاعراً، وكان بعض هؤلاء يفتخر بمهاجاته، وإن غلبه، وكان راعي الإبل الشاعر يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، فهجا جرير بني نمير بثمانين بيتاً، وختمها ببيت أخزى الراعي فمات كمداً لذلك، وقد هاجى جرير البعيث أربعين سنة، ودامت مهاجاة جرير والفرزدق إلى آخر عمرهما، وعاون الأخطل الفرزدق.

وقد اختلف الشعراء في أشعر الشعراء الثلاثة، وإن مال كثير منهم إلى تفضيل الأخطل:

وزعم أبو عمرو بن العلاء أنه لو أدرك الجاهلية لما تقدم عليه أحد من الشعراء.

ولكن بشار بن برد كان يقول: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له، وأفرطت فيه(١).

---

(١) الموشح ص ١٣٨، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١/ ٢٠٧.

وروى أن جريراً لم يهج الفرزدق إلا بثلاثة أشياء كلها كذب، وقال بعضهم: هى خمسة[1]، وكان الفرزدق يهجوه، ولم يعى من الافتراء عليه، وروى عنه أنه قال: إن الأخطل أشعر منه، وأعانه عليه كبر سن، وخبث دين، ولكنه غلب الفرزدق فى النسيب[2].

وقال ابن سلام: إن جريراً غلب فى كل بيوت الشعراء، وهى أربعة: فخر، ومديح، وهجاء، ونسيب[3].

وقد رضى عمر بن عبد العزيز على جرير وشعره لعفته، وطهارة لسانه[4].

* * *

أما الفرزدق وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم. وكان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر فى الجاهلية، واشترى ثلاثين موؤودة إلي أن جاء الله عز وجل بالإسلام، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقرى. ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم، وأسلم.

وأم صعصعة قفيرة بنت سكين، من عبد الله بن دارم، وكانت أمها

---

(١) الموشح ص ١٢٢، اعلاء الكلام ص ٢٦٨.
(٢) الموشح ص ٢٢٧، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان، ص ٢٢٧.
(٣) طبقات الشعراء ١/ ٨٧.
(٤) العقد الفريد ١/ ١١٤ - ١١٦، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان، ١/ ٢١٧.

أمة وهبها كسرى لزرارة، فرهنها زرارة لهند بنت يثربي بن عدس، فوثب أخو زوجها، واسمه سكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم، على الأمة، فولدت (له) قفيرة أم صعصعة، فكان جرير يعيب الفرزدق بها. وكان لصعصعة قيون، منهم جبير ووقبان وديسم، فذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً.

* * *

وقال جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير:

وجدنا جبيراً أبا غالب بعيد القرابة من معبد[1]

يعني معبد بن زرارة.

وكان يعيبهم بالخزيرة، وذلك أن ركباً من مجاشع مروا في الجاهلية وهم عجال على شهاب التغلبي، فسألهم، فقالوا: نحن مستعجلون، فقال: لا تجوزوني حتى تصيبوا القرى، فحمل إليهم خزيرة، فجعلوا يأكلونها وهم على إبلهم ويعظمون اللقم، وذلك يسيل على لحاهم.

* * *

وأما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل، وكان سيد بادية

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٧١.

تميم، وكان أعور. وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس. واستجير بقبره وهو بكاظمة[1] في حمالة، فاحتملها (عنه) الفرزدق.

وكان له إخوه، منهم هميم (بن غالب)، وسمى الفرزدق باسمه وهو القائل:

لعمر أبيك فلا تكذبن لقد ذهب الخير إلا قليلاً

وقد فتن الناس في دينهم وخلى أبن عفان شراً طويلاً

وإنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره، شبه بالفتيتة التي تشربها النساء، وهي الفرزدقة[2]. وكنيته أبو فراس.

وكان للفرزدق أخ يقال له الأخطل أسن منه، وابنه محمد ابن الأخطل (كان) توجه مع الفرزدق إلى الشام، فمات بها، ولا عقب له. ورثاه الفرزدق.

وأخته يقال لها جعثن، وكانت امرأة صدقٍ. نزل الفرزدق في بني منقرٍ والحي خلوف، فجاءت أفعى إلى جارية من بني منقرٍ يقال لها

---

(١) كاظمة: في البلدان: «جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان».

(٢) في اللسان: «الفرزدق: الرغيف، وقيل: فتات الخبز، وقيل: قطع العجين، واحدته فرزدقة، وبه سمي الرجل، سمي بالعجين الذي يسوى منه الرغيف، واسمه همام، وأصله بالفارسية برازده» وفيه أيضاً: «قال الأصمعي: الفرزدق الفتوت الذي يفت من الخبز الذي تشرب به النساء»

ظميا ء، فدخلت معها في شعارها، فصرخت أمها، وجاء الفرزدق فسكنها، واحتال للأفعى حتى انسابت، والتزم الجارية فانتهرته، فقال[1]:

وأهون عيب المنقرية أنها   شديد ببطن الحنظلى لصوقها

فلما بلغ بنى منقر قوله أرسلوا رجلا يقال له عمران بن مرة، وأمروه أن يعرض لجعثن أخت الفرزدق، فلما خرجت وثب فضرب بيده على نحرها، فصاحت، ومضى، فعير الفرزدق بذلك.

ومكث الفرزدق زماناً طويلاً لا يولد له، فعيرته امرأته النوار بذلك فقال:

قالت: أراه واحداً لا أخا له   يؤمله فى الوارثين الأباعد

لعلك يوماً أن ترينى كأنما   بنى حوالى الأسود الحوارد[2]

فإن تميماً قبل أن يلد الحصى   أقام زماناً وهو فى الناس واحد

فولد له بعد ذلك لبطة وسبطة وخبطة وركضة من النوار[3]، وزمعة وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء.

---

(١) سيأتى البيت مع بيتين آخرين.

(٢) الحوارد: الغضاب، يقال «حرد الرجل فهو حرد وحارد» إذا اغتاظ فتحرش بالذى غاظه وهم به. ومنه قيل «أسد حارد وليوث حوارد». عن اللسان.

(٣) ابن خلكان ٢: ٢٦٦. اللسان ٩: ٢٦٤، ٩: ٢٦٣ وفى القاموس مادة (كلط)، وفى مادة (لبط): ٥: ٢١٤، الاشتقاق ١٤٧.

* * *

(وأجاد في قوله: * قالت: وكيف يميل مثلك للصبى * البيتين)(١)

وكان الفرزدق معنا مفنا(٢) يقول في كل شئ، وسريع الجواب، فمر بقوم ولهم جنازة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مات أبو الخنساء صاحب البغال، فقال:

ليبك أبا الخنساء بغل وبغلة ومخلاة سوء قد أضيع شعيرها

ومبجرفة مطروحة ومحسة ومقرعة صفراء بال سيورها

(ومن إفراطه قوله: * وبوأت قدرى * البيتين)

وكان خلف بن خليفة ظريفاً شاعراً راوية، وكان «أقطع»، له أصابع من جلود، فمر بالفرزدق يوماً فقال له: يا أبا فراس من الذى يقول:

هو القين وابن القين لا قين مثله لفطح المساحى أو لجدل الأداهم(٣)

قال الفرزدق: بقوله الذى يقول:

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٧٣.

(٢) معن: ذو عن واعتراض، أى أنه فصيح يدخل فى كل شئ. مفن: يفتن فى الكلام، أى يشتق فى فن بعد فن، يأتى بالأفانين. وكلاهما بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديد النون.

(٣) المساحى: جمع مسحاة، وهى الآلة التى يحرف بها الطين عن وجه الأرض، ويقشر وفطحها: تعرضها وتسويتها، وتلك صناعة الحداد، الأداهم: القيود، لسان العرب ٣/ ٣٧٩، ١٥/ ١٠٠.

هو اللص وابن اللص لا لص مثله | لنقب جدارٍ أو لطر الدراهم

* * *

وأتى حفصاً السراج يشترى منه سرجاً، فمرت به امرأة جميلة وفى يده سرج ينظر إليه، فألقى السرج من يده وقال:

منع الحياة من الرجال ونفعها | حدق تقلبها النساء مراض
خرجت إليك ولم تكن خراجة | فأصيب صدع فؤادك المنهاض
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا | حدق النساء لنبلها الأغراض

* * *

ورآه خالد بن صفوان يوماً وكان يمازحه، فقال: يا أبا فراس ما أنت بالذى لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن(١)! قال: ولا أنت يا أبا صفوان بالذى قالت الفتاة فيه لأبيها: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين(٢).

* * *

وجاء عنبسة بن معدان إلى باب بلال، فرأى الفرزدق وقد نعس،

(١) يشير إلى الآية ٣١ من سورة يوسف.
(٢) يشير إلى الآية ٢٦ من سورة القصص.

فحركه برجله وقال: بلغت النار يا أبا فراس؟! قال: نعم ورأيت أباك ينتظرك.

* * *

ومر بيحيى بن الحضين بن المنذر الرقاشي، فقال له: يا أبا فراس هل لك في جدي سمين ونبيذ جيد؟ فقال: وهل يأبى هذا إلا ابن المراغة! فانطلق به يحيى وبابن عم له، فأكلوا، ثم دعا بالشراب، فقال الفرزدق: اسقني صرفاً يا غلام، فقال يحيى: أما أنا فلا أشرب صرفاً ولا غيره، فقال الفرزدق:

اسقني خمساً وخمساً ... وثلاثاً واثنتين
من عقار كدم الجو ... ف يحر الكليتين
واصرف الكأس عن المحـ ... روم يحيى بن حضين
واسق هذين ثلاثيـ ... ن يروحا مرحين

وأصابته الدبيلة، فقدم به البصرة، وأتى بطبيب فسقاه قاراً أبيض، فجعل يقول: أتعجلون لي القار في الدنيا؟!

* * *

ومات وقد قارب المائة. وقيل له في مرضه الذي مات فيه: اذكر الله، فسكت طويلاً ثم قال:

إلى من تفزعون إذا حثوتم   بأيديكم على من التراب

ومن هذا يقوم لكم مقامى   إذا ما الريق غص بذى الشراب

فقالت له مولاة له: نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية، وكان قد أوصى لها بمائة درهم.

* * *

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق يشبه (من شعراء الجاهلية) بزهير.

* * *

وأما النوار امرأة الفرزدق فهى ابنه أعين بن ضبيعة المجاشعى، وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وجه أباها إلى البصرة أيام الحكمين، فقتله الخوارج غيلة، فخطب النوار رجل من قريش (وأهلها بالشام) فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها، (وكان أقرب من هناك إليها)، فقال: إن بالشام من هو أقرب إليك منى، ولا آمن أن يقدم قادم منهم فينكر ذلك على، فأشهدى أنك قد جعلت أمرك إلى، ففعلت، فخرج بالشهود وقال لهم: قد أشهدتكم أنها قد جعلت أمرها إلى، وإنى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سوداء الحدق، فذئرت من ذلك، واستعدت عليه، وخرجت إلى عبد الله بن الزبير، والحجاز والعراق يومئذ إليه، وخرج الفرزدق،

فأما النوار فنزلت على خولة ابنة منظور بن زبان الفزارى امرأة عبد الله بن الزبير، فرققتها وسألتها الشفاعة لها، وأما الفرزدق فنزل على حمزة بن عبد الله بن الزبير، وهو لخولة، ومدحه، فوعده الشفاعة له، فتكلمت خولة فى النوار، وتكلم حمزة فى الفرزدق، فأنجحت خولة (وخاب حمزة)، وأمر عبد الملك بن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى البصرة، فيحتكما إلى عامله، فخرج الفرزدق فقال:

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وماتت النوار بالبصرة مطلقة منه، وصلى عليها الحسن البصرى رحمه الله.

* * *

ولما هجا الفرزدق بنى منقر لسبب ظمياء، وهى عمة اللعين (الشاعر) المنقرى، فقال:

وأهون عيب المنقرية أنها شديد ببطن الحنظلى لصوقها

رأت منقراً سودا قصاراً وأبصرت فتى دارميا كالهلال يروقها

فما أنا هجت المنقرية للصبى ولكنها استعصت عليها عروقها

استعدوا عليه زياداً، فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاصى، فأمنه وأجاره وأظهر زياد أنه لم يرد به سوءاً، وأنه لو أتاه لحباه وأكرمه، فبلغ ذلك الفرزدق فقال[1].

دعاني زياد للعطاء ولم أكن　　لأقربه ما ساق ذو حسب وفرا

وعند زياد لو يريد عطاءهم　　رجال كثير قد يرى بهم فقرا

وإنى لأخشى أن يكون عطاؤه　　أداهم سوداً أو محدرجة سمرا

* * *

وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبى، وكان شاعراً، وكان الفرزدق يقول: إنما أتانى الشعر من قبل خالى، وخالى الذى يقول:

إذا ما الدهر جر على اناس　　حوادثه أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا: أفيقوا　　سيلقى الشامتون كما لقينا

وله يقول جرير:

كأن الفرزدق إذ يعوذ بخاله　　مثل الذليل يعوذ تحت القرمل

والقرمل: شجر ضعيف، تقول العرب: ذليل عاذ بقرملة[2].

---

(١) تاريخ الطبرى ٦/ ٣٤ - ١٤٠.

(٢) القرملة: شجر من الحمض ضعيفة، لا ذرى لها ولا سترة ولا ملجأ، مثل يضرب لمن يستعين بمن لا دفع له، ويأذل منه، مجمع الأمثال ١/ ٢٤٥، ولسان العرب ١٤/ ٧٣.

***

ولقى الفرزدق أبا هريرة، وقال له: يا فرزدق أراك صغير القدمين، فإن استطعت أن يكون لهما غدا مقام على الحوض فافعل، وقال الفرزدق: سمعت أبا هريرة يقول على منبر المدينة: الذبيح إسماعيل.

***

وأنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك:

ثلاث واثنتان فهن خمس ... وسادسة تميل إلى شمامى

فبتن جنابتى مطرحات ... وبت أفض أغلاق الختام

كأن مفالق الرمان فيه ... وجمر غضى قعدن عليه حام[1]

فقال له سليمان: أخللت بنفسك، أقررت عليها عندى بالزنا، وأنا إمام، فلابد لى من إقامة الحد عليك! قال: ومن أين أوجبته على؟ قال: لقول الله عز وجل: «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» قال الفرزدق: فإن كتاب الله يدرؤه عنى، يقول الله تبارك وتعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون» فأنا قلت ما لم أفعل.

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٧٨.

* * *

وأتي سليمان بأسرى من الروم، وعنده الفرزدق، فقال له: قم فاضرب أعناق هؤلاء، فاستعفاه من ذلك فلم يعفه، ودفع إليه سيفاً كليلاً، فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم، فنبا السيف، فضحك سليمان ومن حوله، فقال الفرزدق:

ما يعجب الناس أن أضحكت خيرهم

خليفة اللـه يستشفى به المطر

لم ينب سيفى من رعب ولا دهش

عن الأسير، ولكن أخر القدر

ولن يقدم نفساً قبل ميتتها

جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

وفى ذلك يقول جرير:

بسيف أبى رغوان قين مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك، وقالوا: محدث غير صارم

فأجابه الفرزدق:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم أباً عن كليب أو أخا مثل دارم

* * *

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب فى الحبس فقال:

أصبح فى قيدك السماحة والـ ـجود وحمل الديات والإفضال

فقال له: أتمدحنى وأنا على هذه الحال؟! قال: أصبتك رخيصاً فأسلفتك.

* * *

ومما سبق إليه فأخذ منه أو سبق إليه فأخذه قوله:

ومنتكث عاللت بالسوط رأسه وقد كفر الليل الخروق الخواليا[1]

يعنى بالمنتكث بعيراً انتكث أى هزل، وقال الآخر فى وصف سوط:
ومنتكث عاللت ملتاثة به وقد حدر الليل النسور العواليا

* * *

وأخذ عليه قوله:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف

وقد أكثر النحويون فى الاحتيال لهذا البيت، ولم يأتوا فيه بشئ يرتضى[2]

---

(١) لسان العرب ٣/ ١٩.

(٢) خزانة الأدب ١/ ١٥، ٢/ ٣٤٧ - ٣٥١، الشعر والشعراء ١/ ٨٠.

وقوله: * وعندى حساماً سيفه وحمائله *

أراد حسام سيفه فثنى، ومثله لقيس بن الخطيم يصف الدرع:

* كأن قتيريها عيون الجنادب *

أراد قتيرها، والقتير: مسامير الدرع، ومثله قول جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

أراد دير الوليد، فثنى، وهو دير مشهور بالشأم.

* * *

وعابه الأخطل بقوله:

أبنى غدانة إننى حررتكم وهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم آنف وسبال

وقال: كيف يهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء؟! وقال عطية بن جعال حين سمع هذا: ما أسرع ما رجع أخى فى عطيته[1].

* * *

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٨١.

(ومن جيد الشعر قوله لجرير:

فإن تك كلباً من كليب فإنني من الدارميين الطوال الشقاشق
هم الداخلون البيت لا تدخلونه على الملك، والحامون عند الحقائق
ونحن إذا عدت معد قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق

وقوله يهجوه: * ولو يرمى بلؤم بني كليب * الأبيات)

ومات الفرزدق قبل جرير، فلما بلغ جريراً موته قال:

هلك الفرزدق بعدما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلاً وبكى، فقيل له: يا أبا حزرة ما أبكاك؟ قال: بكيت لنفسي، إنه والله قل ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو زوجان إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول في رثائه:

فجعنا بجمال الديات ابن غالب وحامي تميم عرضها والبراجم
بكيناك حدثان الفراق، وإنما بكيناك إذ نابت أمور العظائم
فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ولا شد أنساع المطي الرواسم[1]

ورثاه شاعر من قومه أو جرير بقوله:

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٤٨٢.

لعمرى لقد أشجى تميما وهدها ... على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشيةِ راحوا للفراق بنعشه ... إلى جدث فى فجوة الأرض معمق
لقد غيبوا فى اللحد من كان ينتمى ... إلى كل بدر فى السماء محلق
عماد تميم كلها ولسانها ... وناطقها البذاخ فى كل منطق
فمن لذوى الأرحام بعد ابن غالب ... لجار وعان فى السلاسل موثق
ومن ليتيم بعد موت ابن غالب ... وأم عيال ساغبين ودردق
ومن يطلق الأسرى ومن يحقن الدما ... يداه ويشفى صدر حران محنق
فتى عاش يبنى المجد تسعين حجة ... وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى

ومن إعجاب الفرزدق بالغريب، وكثرة إدخاله فى شعره، قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب شعر العرب(١)، وقد نقل عن أحد العلماء الأعلام قوله: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة(٢).

ولم يكن الفرزدق طويل النفس فى شعره إلا فى أهاجيه، مع أنه كان يحفظ القرآن الكريم، حدث أحد من رآه قال: دخلت على الفرزدق، فتحرك، فإذا فى رجليه قيد، قلت: ما هذا، يا أبا فراس؟ قال: حلفت أن لا أخرجه من رجلى حتى أحفظ القرآن.

---

(١) خزانة الأدب ١/ ١٥٢.
(٢) الأغانى ١٩/ ٤٨.

وربما يرجع ذلك إلى سبب حكاه هو نفسه، فقد روى أنه التقى بالحسن البصرى فى جنازة،فقال الحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال الحسن: ما يقولون؟ قال الفرزدق: يقولون: اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، قال الحسن: كلا، لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال الفرزدق: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة، وخمس نجائب لا يدركن - يعنى الصلوات الخمس[1].

* * *

قال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها إن الذى سمك سماء:

سددت للشعراء سماً ناقعاً
فسقيت آخرهم بكأس الأول

وضعت على الفرزدق ميسمى،
وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

أخزى الذى سمك السماء مجاشعاً
وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل

(١) التاريخ الأدبى للعصرين الأموى والعباسى الأول ٢/ ١٠٢ - ١٠٣.
(١) ناقعاً: قاتلاً (هجاء مراً).
الميسم: المكوى، يريد الشعر. ضغا: تذلل. جدع الأنف: قطعه.
سمك: رفع. مجاشع: قوم الفرزدق. الحضيض: أسفل الجبل.

بيتاً يحمم قينكم بفنائه دنساً مقاعده خبيث المدخل

ولقد بنيت أخس بيت يبتنى فهدمت بيتكم بمثلى يذبل

إني بنى لى فى المكارم أولى ونفخت كيرك فى الزمان الأول

أعيتك مأثرة القيون مجاشع فانظر لعلك تدعى من نهشل

وامدح سراة بني فقيم إنهم قتلوا أباك وثأره لم يقتل

ودع البراجم إن شربك فيهم مر مذاقته كطعم الحنظل

إني انصببت من السماء عليكم حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

من بعد صكتى البعيث كأنه خرب تنفج من حذار الأجدل

ولقد وسمتك يا بعيث بميسمى وضغا الفرزدق تحت حد الكلكل(١)

---

(١) يحمم: يدخن فيه فيسوده. القين الحداد، يرمى الفرزدق بأن قومه حدادون.

يذبل: جبل مشهور بنجد، يشبه به مجده.

أولى: آبائى، مأثرة: مكرمة، أى لا فخر لك فى مجاشع. تدعى: تنتسب. نهشل ومجاشع: أخوان من تميم.

سراة: جميع سرى: وهو الشريف. بنو فقيم: من دارم. الثأر: يريد القاتل، وكان ذكوان الفقيمى سبب موت أبي الفرزدق، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة.

البراجم: قوم من أولاد حنظلة بن ملك كما سبق. الشرب هنا: الحظ والنصيب. عل: أعلى.

الصك: الضرب الشديد. الخرب: ذكر الحبارى، طائر كالديك، تنفج: نفش ريشه خوفاً، الأجدل: الصقر، الكلكل: الصدر. الحد: الصلابة.

إنى إلى جبلى تميم معقلى ومحل بيتى فى اليفاع الأطول
أحلامنا تزن الجبال رزانة ويفوق جاهلنا فعال الجهل
فارجع إلى حكمى قريش ؛ إنهم أهل النبوة والكتاب المنزل
فاسأل إذا خرج الخدام وأحمشت حرب تضرم كالحريق المشعل
والخيل تنحط بالكماة، وقد رأوا لمع الربيئة فى النياف العيطل
أبنو طهية يعدلون فوارسى وبنو خضاف، وذاك ما لم يعدل
وإذا غضبت رمى ورائى بالحصى أبناء جندلتى كخير الجندل
عمرو وسعد يا فرزدق فيهم زهر النجوم وباذخات الأجبل
كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرمل[1]

---

(١) المعقل: الملجأ أو الجبل المرتفع، والمراد الشرف، اليفاع: ما ارتفع من الأرض.
الجاهل: السفيه. حكما قريش: هاشم وعبد مناف.
الخدام: الفرس المحجل، يعنى فى الغارة، أحمشت: أوقدت. تضرم: تشتعل.
تنحط: تصوت من الإعياء والتعب: الكماة، جمع كمى: المدجج بالسلاح. الربيئة: طليعة الجيش. النياف: الطويل من الإبل. العيطل: الطويل العنق.
طهية: أم جماعة من تميم، منهم مجاشع ونهشل ودارم. خضاف: هم بنو مجاشع.
الحصى: العدد الكثير. جندلة: بنت تيم الأدرم، وهى أم يربوع قوم جرير.
عمرو وسعد: حليفا عشيرة جرير. زهر النجوم: النابهون. باذخ: عظيم. الأجبل، جمع جبل، والمراد: عظماء الرجال.
يعوذ: يحتمى، القرمل: شجر ضعيف بلا شوك، ومنه المثل: ذليل عاذ بقرملة.

وافخر بضبة إن أمك منهم ليس ابن ضبة بالمعم المخول
وقضت لنا مضر عليك بفضلنا وقضت ربيعة بالقضاء الفيصل
إن الذى سمك السماء بنى لنا عزا علاك فما له من منقل
أبلغ بنى وقبان أن حلومهم خفت؛ فلا يزنون حبة خردل(١)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها يابن المراغة، ويهجو الأخطل:

يا ذا العباءة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة فى بنى شيبان
بكر أحق بأن يكونوا مقنعاً أو أن يفوا بحقيقة الجيران
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان(٢)

---

(١) ضبة: من طابخة أخوال الفرزدق، المعم: الكريم الأعمام. والمخول: كريم الأخوال.
ربيعة ومضر: شعبا عدنان العظيمان. الفيصل الفاصل بين الحق والباطل.
منقل: متحول وانتقال. ، وقبان: لقب مجاشع، معناه الحمقى. حلوم، جمع حلم: العقل والرزانة.

(٢) ذو العباءة الأخطل والعباءة مسح نصرانى(كساء). بشر بن مروان بن الحكم.
النشوان: السكران. يعيره بما رشاه به محمد بن عطارد من زق خمر وحلة ليفضل الفرزدق على جرير.
بنو شيبان من بكر. والأخطل تغلبى وكانت بين بكر وتغلب عداوة منافسة.
مقنع إقناع وكفاية. حقيقة: حق وحمى.
كليب: فارس وشاعر جاهلى. وهو خال امرئ القيس. وكان تغلبياً قتل فى حرب البسوس، لقحة: ناقة. خزر: ضيقو العيون أى لئام. الهجان: الخيار.

كذب الأخيطل إن قومى فيهم تاج الملوك وراية النعمان

منهم عتيبة والمحل وقعنب والحنتفان ومنهم الردفان

إنى ليعرف فى السرادق منزلى عند الملوك وعند كل رهان

ما زال عيص بنى كليب فى حمى أشب ألف منابت العيصان

الضاربين إذا الكماة تنازلوا ضربا يقد عواتق الأبدان

وحمى الفوارس من غدانة إنهم نعم الحماة عشية الإرنان

إنا لنستلب الجبابر تاجهم قابوس يعلم ذاك والجونان

ولقد شفوك من المكوى جنبه والله أنزله بدار هوان(١)

---

(١) تاج الملوك: يشير إلى أن الخلافة فى قومه مضر إذذاك. راية النعمان: أى قديماً لأنهم أسروا قابوس بن المنذر.

هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بمحامدهم.

السرادق: ما يمد فوق صحن البيت. ويريد المجتمع أو النادى.

العيص: الأصل. أشب: شجر متكاثف. العيصان: جمع عيص. بنو كليب: قبيلة جرير من تميم. يقول إن أصلنا عزيز منيع لا يرام.

يقد: يقطع. عوائق جمع عاتق: ما بين المنكب والعنق. الكماة: الأبطال المفرد كمى. الأبدان: الدروع المفرد بدن.

الفوارس: هم وكيع بن حسان ومن شهده من بنى غدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان. عشية الإرنان: يريد عشية تكثر فيها الأصوات.

نستلب الخ: نغتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس. الجونان: حسان ومعاوية من كندة. (راجع كتاب النقائض بين جرير والفرزدق صفحة ٤٠٥ طبع أوربا).

المكوى جنبه: رجل يسمى الشمرذى من بكر حرق جنبه ثم قتله قيس بالبليخ.

جاريت مطلع الجراء بنابه   روق شبيبته وعمرك فانى

ما زلتَ مذ عظم الخطار معاوداً   ضبر المئين وسبق كل رهان

مازال منزلنا لتغلب غالبا   والله شرف فوقهم بنيانى

فاقبض يديك فإننى فى مشرف   صعب الذرا متمنع الأركان

ولقد سبقت فما ورائى لاحق   بدءا وخلى فى الجراء عنانى

نزع الأخيطل حين جد جراؤنا   حطم الشوى متكسر الأسنان

قل للمعرض والمشور نفسه   من شاء قاس عنانه بعنانى(١)

★★★

(١) المطلع: الضابط الأمر القوى عليه. الجراء: المفاخرة، روق الشباب أوله: أى فاخرت من هو أقوى منك.

الخطار: جمع خطر: السبق يتراهن عليه. الضبر: الوثب: المئين: أراد المئين من الغلاء جمع غلوة: رمية السهم، والمعنى أى ما زلت غالباً مذ قامت المهاجاة والمفاخرة بيننا.

أى أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم، المشرف العالى: يريد نسبه. صعب الذرا لا يرام لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشئ.. متمنع الأركان: صعب الجوانب لا يرتقى.

بدء: أول الأمر: أى منذ بدأ السباق. العنان: سير اللجام، وترك العنان يكون للفرس غير الصعب معتاد السباق، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والفوز فيها.

نزع: كف لما علم أنه مسبوق بالشرف. حطم: متكسر. الشوى: القوائم: يشبه الأخطل فى تخلفه بالكلب الذى تكسرت قوائمه وأسنانه فى العراك ففر هارباً.

المشور: المجمل أو المروض المختبر. يريد من شاء مفاخرتى بالمجد تقدم ليرى مكانتى.

* * *

وقال جرير يهجو الأخطل:

لا يتصلن إذا افتخرن بتغلب ... ورزقن زحرف نعمة وجلالا

طرق الخيال لأم حزرة موهنا ... ولحب بالطيف الملم خيالا

إنى جعلت فلن أعافى تغلبا ... للظالمين عقوبة ونكالا

قبح الاله وجوه تغلب إنها ... هانت على مراسنا وسبالا

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد ... وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

ولو ان تغلب جمعت أحسابها ... يوم التفاخر لم تزن مثقالا

قبح الإله وجوه تغلب كلما ... شبح الحجيج وكبروا إهلالا

لا تطلبن خئولة فى تغلب ... فالزنج أكرم منهم أخوالا

لولا الجزى قسم السواد وتغلب ... فى المسلمين فكنتم أنفالا

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... ما لم يكن وأب له لينالا[1]

---

(١) لا يتصلن: الحديث عن الظغائن، تغلب: قبيلة الأخطل، أم حزرة: زوجة جرير، وحزرة: ابنه الأكبر، مراسن: جمع مرسن، وهو الأنف، السبال: جمع سبلة: ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية، شبح: رفع يده بالدعاء، الجزى: جمع جزية، السواد: المراد به سواد العراق، وهى مساكن تغلب.

مر على الفرزدق رجل فيه لين، فقال له: من أين أقبلت عمتنا؟ فقال: نفاها الأغر بن عبد العزيز، فكأن الفرزدق صب عليه الماء، لأنه عرض له بقول جرير فيه، حين نفاه عمر بن بعد العزيز من المدينة:

نفاك الأغر بن عبد العزيز　　وحقك تنفى من المسجد

وقد نظم جرير في نسب الفرزدق، وادعى عليه، وادعى أنه صحيح فقال:

من ثم أنت .... بعلة　　بأشر شيخ في جميع نزار
لا تفخرن بغالب ومحمد　　وافخر بعبس كل يوم فخار[1]

ومن موجع هجاء جرير للفرزدق:

كذب الفرزدق لن يجاري عامرا　　يوم الرهان بمقرف مبهور
ولقد جهلت بشتم قيس بعد ما　　ذهبوا بريش جناحك المكسور
لن تدركوا غطفان لو أجريتم　　يا ابن القيون ولا بني منصور
فخروا عليك بكل سام معلم　　فافخر بصاحب كلبتين وكير
كم أنجبوا بخليفة وخليفة　　وأمير صائفتين وابن أمير[2]

---

(١) العمدة ١/ ٦٣.

(٢) مقرف: أبوه أعجمي، وكان يرمي جد الفرزدق بأن أباه قين أعجمي، صائفتين: تغليب الصيف على الشتاء، أي أمير الجيش في الصائفتين، والصائفة: الكتيبة تغزو الروم في الصيف بسبب برد بلادهم.

* * *

وقال الأخطل يفضل الفرزدق على جرير:[1]

ما بال قوم لا تغب أذاتهم   قعس الظهور من الحبين بطان
هم هيجوا حربى وما لهم بها   لو واجهتهم باللقاء يدان
حرب امرئ ما إن يرث سلاحه   أبدا ولا يغتر بالحدثان
قبح الإلة بنى كليب إنهم   لا يحفظون محارم الجيران
وإذا تنودب للمكارم والعلا   لم يندبوا لترادف الأعوان
أجرير إنك والذى تسمو له   كأسيفة فخرت بحدج حصان
حملت لربتها فلما عوليت   نسلت تعارضها مع الأظعان[2]

---

(١) المنتخب من أدب العرب ٤/ ١٠٨ - ١١١.

(٢) ما بالهم: أى ما حالهم وما حصل لهم. لا تغب: لا تنقطع. قعس الظهور، مفرده أقعس، وهو: من خرج صدره ودخل ظهره، ضد الأحدب، الحبين: وجع فى البطن. بطان: عظام البطون، المفرد: بطن وبطين. بطان صفة لقوم (جرير).

ما لهم بها يدان: أى ليست عليها قدرة. يرث: يبلى. الحدثان: النوائب. لا يغتر بالحدثان: لا تأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائماً.

بنو كليب: رهط جرير. محارم، جمع محرم وهو: ما لا يحل انتهاكه، تنودب: ندب الناس ودعوا. الترادف هنا: التعاون، يقول: لا يصلحوا للمكارم والمعالى.

تسمو له: تتعلق به من مفاخر ليست لك. الأسيفة الأمة.الحدج:مركب النساء على البعير كالهودج.الحصان هنا:الحرة ضد الأمة. يقول:إن فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها.

أى: حملت حدج سيدتها.عوليت: علت الحدج. نسلت:أسرعت. تعارضها:أى تعدو حيالها. الأطمان: النساء فى الهودج.

أتمد مأثرة لغيرك فخرها   وسناؤها فى سالف الأزمان

تاج الملوك وفخرهم فى دارم   أيام يربوع مع الرعيان

متلفف فى بردة حبقية   بفناء بيت مذلة وهوان

يعذو بنيه بثلة مُذمومة   ويكون أكبر همه ربقان

سبقوا أباك بكل مجمع تلعة   بالمجد عند مواقف الركبان

اخسأ كليب، إليك. إن مجاشعاً   وأبا الفوارس نهشلا أخوان

قوم إذا خطرت عليك قرومهم   طرحوك بين كلا كل وجران(١)

وقال الفرزدق يذكر تفضيل الأخطل إياه على العشراء ويمدح بنى تغلب ويهجو جريراً:

يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت   أعناقه وتماحك الخصمان(٢)

---

(١) مأثرة: محمدة ومفخرة. السناء: الشرف. سالف الأزمان: ماضيها. يقول له: تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير وهو يربوع لا مجد له.

دارم: رهط الفرزدق، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر. الرعيان جمع راع، وهو: من يقوم على الماشية يخدمها. حبقية: نسبة إلى صانع أو إلى نوع من الغنم.

الثلة: الصوف أو جماعة الغنم. الربقان مثنى ربق: حبل يشد فى عنق البهم. التعلة: ما علا من الأرض. عند مواقف الركبان: أى عند المفاخرة والتحاكم. اخسأ: ابتعد محتقراً. إليك: تنح وابعد. مجاشع: قبيلة الفرزدق. نهشل: قبيلة من تميم كمجاشع.

خطر الجمل بذنبه: رفعه مرة بعد أخرى. القروم: الفحول والأماجد، جمع قرم. والكلا كل جمع كلكل وهو: الصدر. والجران: صفحة العنق. يقول: إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة.

(٢) ابن المراغة: جرير. خبر الهجاء متعلق إذا، أى حاصل وذائع...الخ أعناقه: جماعته، يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض. تماحك: تخاصم وتمادى.

يا ابن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عنانى فوق كل عنان

كان الهذيل يقود كل طمرةٍ دهماء مقربة وكل حصان

يصهلن بالنظر البعيد كأنما إرنانها ببوائن الأشطان

يقطعن كل مدى بعيد غوله خبب السباع يقدن بالأرسان

وكأن رايات الهذيل إذا بدت فوق الخميس كواسر العقبان

وردوا إراب بجحفل من وائل لجب العشى ضبارم الأركان

ويبيت فيه من المخافة عائذاً ألف عليه قوانس الأبدان(١)

---

(١) تغلب من ربيعة قوم الأخطل. العنان بالكسر: سير اللجام، وبالفتح: الجانب، وهو الأنسب هنا. أى: الهذيل بن هبيرة. الطمرة : الفرس الطويلة السريعة. الدهماء: السوداء. مقربة: أى قريبة إليهم لكرمها وسرعتها يعمدون إليها حين الفزع.

الصهيل: صوت الخيل. الإرنان: التصويت. البوائن: الآبار، المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها، الأشطان، جمع شطن: الحبل. يقول: كأنها تصل من آبار بوائن لسعة أجوافها ،ومعنى يصهلن بالنظر البعيد:أنها تصهل إذا رأت شبحاً من بعد لحدة نظرها ونشاطها.

كل مدى: كل غاية بعيدة. غوله: بعده. الخبب للفرس: عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه تارة أخرى. الأرسان جمع رسن: الحبل. يشبه الخيل بالسباع فى العدو.

الخميس: الجيش الضخم. كواسر العقبان: أى المنقضة من العقبان، جمع عقاب: طائر من الجوارح، وهذا وصف لإسراع الخيل.

إراب: موضع، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل، يقودهم الهذيل هذا. الجحفل: الجيش الكثير الخيل. لجب العشى: كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف، فالأصوات كثيرة. الضبارم: الغليظ. الأركان: النواحى، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة.

عائذا: محتميا. القوانس: أعالى البيض من الحديد، المفرد قونس. الأبدان: الدروع غير السوابغ. يقول: يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون.

تركوا لتغلب إذ رأوا أرماحهم   بـإراب كـل لئيمـة مـدران
تدمى - وتغلب يمنعون بناتهم -   أقـدامهـن حجـارة الصـوان
يمشين فى أثـر الهذيل وتارة   يردفن خلـف أواخـر الركبان
لولا أناتهـم وفضل حلـومهم   باعـوا أبـاك بـأوكس الأثمـان
والحـوفـزان أميرهـم متضائل   فى جمع تغلب ضـارب بجـران
أحببن تغلب إذ هبطن بلادهم   لما سمـن وكن غيـر سمـان
يمشين بالفضلات وسط شروبهم   يتبعـن كـل عقيـرة ودخـان
يتتابعون إذا انتشوا ببناتكم   عند الإيـاب بأوكس الأثمـان
واسأل بتغلب كيف كان قديمها   وقـديـم قـومـك أول الأزمـان
قوم همو قتلوا ابن هند عنوة   عمراً، وهم قسطوا على النعمان(١)

---

(١) مدران: كثير الوسخ. أى خلوا نساءهم وهربوا.
تدمى: تسيل دمها، والفاعل حجارة، وأقدامهن مفعول. وذلك لأنهن يسقن حفاة.
يردفن، الردف: الراكب خلف الراكب.
أوكس: أبخس. يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك غزاها الحوفزان بن وائل، فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل. متضائل: متصاغر. الجران: مقدم عنقى البعير، وضرب بجرانه: برك.
الفضلات: الخمور، أى يسقين الرجال ويخدمنهم. الشروب: القوم يشربون الخمر، يتبعن كل عقيرة: يستمعن الغناء. دخان: أى موضع الطبخ والشواء. انتشوا: سكروا.
ابن هند: عمرو بن هند ملك الحيرة. يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبى قتله فى قصة مشهورة. قسطوا: جاروا. النعمان بن المنذر: من ملوك الحيرة أيضاً.

قتلوا الصنائع والملوك ، وأوفدوا نارين قد علتا على النيـران
لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العـدو عليـك كل مكـان
حبسوا ابن قيصر وابتنوا برماحهم يـوم الكـلاب كأكرم البنيان
إن الأراقـم لن ينال قديمها كلب عـوى متهتـم الأسنـان
قوم إذا وزنوا بقوم فضلوا مثلى موازنهم على الميزان(١)

وقال الفرزدق يهجوا جريراً(٢):

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمـه أعـز وأطـول
بيتاً بناه لنا المليك ، وما بنى حكـم السمـاء فإنه لا ينقـل
بيتاً زرارة محتب بفنائـه ومجاشع وأبو الفـوارس نهشل
يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا برزوا كأنهم الجبال المثل(٣)

---

(١) صنائع الملوك: أنصارهم، المفرد صنيعة. أوقدوا نارين: إشارة إلى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل.
يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحارث الكندى عم امرئ القيس.
الأراقم: حى من تغلب. متهتم: متكسر، والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم.
(٢) المنتخب من أدب العرب ٤/ ١١٤ - ١١٩.
(٣) سمك: رفع الدعائم، جمع دعامة وهى: عمود البيت. أعز: أقوى. ، المليك: الله جل جلاله. حكم السماء: أى القوى المقتدر. لا ينقل لا يزول. يريد بيت شرف وعز، زرارة ومجاشع ونهشل: أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق، يفخر على جرير، يلجون: يدخلون. احتبوا: اشتملوا بالثوب. المثل: الراسيات، جمع ماثل.

لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم   أبداً إذا عد الفعال الأفضل
من عزهم حجرت كليب بيتها   زرباً كأنهم لديه القمل
ضربت عليك العنكبوت بنسجها   وقضى عليه به الكتاب المنزل
أين الذين بهم تسامى دارماً   أم من إلى سلفى طهية تجعل؟
يمشون فى حلق الحديد كما مشت   جرب الجمال بها الكحيل المشعل
والمانعون إذا النساء ترادفت   حذر السباء جمالها لا ترحل
يحمى إذا اخترط السيوف نساءنا   ضرب تخر له السواعد أرعل[1]

---

(١) فناء البيت: الساحة أمامه. الفعال بفتح الفاء: الفعل الحسن، والخطاب لجرير، أى ليس لك رجال أشراف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم.

كليب: قوم جرير. جحرت: دخلت زرباً كأنه الجحر. الزرب: حفيرة تتخذ لحبس الجداء. القمل، جمع قملة: كالجرادة وأقل منها.

يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت. والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت».

تسامى: تفاخر. طهية: أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير. تجعل هنا: معناها تقرن بها وتباهى.

الحلق،جمع حلقة وهى الدرع.جرب الجمال:أى الجمال المصابة بداء الجرب.الكحيل: القطران. المشعل: الكثير. يشبه الرجال فى عظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران.

ترادفت: ركب بعضهن خلف بعض. السباء: الأسر فى الغارات. لا ترحل: لا توضع عليها الرحالة للعجلة. يقول: إن قومى يمنعون حريمهم إذا كانت الغارات وفزعت النساء فركبت الجمال عزيزات.

اخترط: سل. تخر: تسقط: أرعل: مسترخ مائل، وهو صفة لضرب. وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى.

ومعصب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك له خميس جحفل
ملك تسوق له الرماح أكفنا منه تعل صدورهن وتنهل
قد مات فى أسلاتنا أو عضه عضب برونقه الملوك تقتل
ولنا قراسية تظل خواضعا منه مخافته القروم البزل
متخمط قطم له عادية فيها الفراقد والسماك الأعزل
ضخم المناكب تحت شجر شئونه ناب إذا ضغم الفحولة مقصل
وإذا دعوت بنى فقيم جاءنى مجر له العدد الذى لا يعدل(١)

---

(١) معصب: متوج، والواو واو رب، وما بعدها مبتدأ، وقد مات خبره - يعنى حسان وقابوس ابنى المنذر. خرق الملوك: الرايات. الخميس: الجيش الضخم. الجحفل: الكثير الخيل.

منه: أى من الملك - تعل وتنهل من الدم، والنهل: يريد به الطعن الأول، والعلل: الطعن الثانى.

الأسلات: الرماح، المفرد أسلة. العضب: السيف القاطع. رونقه: فرنده وجوهره. القراسية: الضخم الغليظ من الإبل. يقول: لنا عز قديم سببه بالفحل وهو القراسية. القروم: جمع قرم، وهو السيد أو الفحل الكريم. البزل: جمع بازل، وهو الذى نبت نابه.

متخمط: متغضب فى كبر. قطم: هائج. عادية: أولية قديمة. وأصل الفرقد نجم يهتدى به، والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال، بعضنا يقتدى به والبعض كريم يستقى منه.

الشجر: مجتمع اللحيين. الشئون: ملتقى قبائل الرأس، الواحد شأن. ضخم: عض. مقصل: قاطع.

فقيم: من دارم، عشيرة الشاعر. المجر: الجيش الكثير العدد - لا يعدل: ليس له عدل من غيره، أى نظير.

وإذا الربائع جاءني دفّاعها ... موجاً كأنهم الجراد المرسل

هذا وفي عدوية جرثومة ... صعب مناكبها نياف عيطل

وإذا البراجم بالقروم تخاطروا ... حولي بأغلب عزه لا ينزل

وإذا بذخت ورايتي يمشي بها ... سفيان أو عدس الفعال وجندل

الأكثرون إذا يعد حصاهم ... والأكرمون إذا يعد الأول

وزحلت عن عتب الطريق ولم تجد ... قدماك حيث تقوم سد المنقل

إن الزحام لغيركم فتحينوا ... ورد العشي إليه يخلو المنهل (١)

---

(١) الربائع، جمع ربيعة وهي: ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى. الدفاع: دفاع السيل حين يكثر ويمتد. شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع.

العدوية: فكيهة بنت مالك من زيد مناة تنسب إليها بنوها. الجرثومة: الأصل والتراب يجتمع في أصل الشجرة فيرتفع على ما حوله. صعب مناكبها: يعني نواحيها. نياف: طويلة مشرفة. عيطل: طويلة.

البراجم في الأصل: رءوس الأشاجع التي هي أصول الأصابع؛ والمراد هنا: بنو حنظلة بن مالك، وهم خمسة تبرجموا على سائر إخوانهم. القروم: الفحول: تخاطروا كما تخطر الفحول بأذنابها إذا تهدد بعضها بعضاً. الأغلب: الغليظ العنق.

بذخت: فخرت في كبر. والأسماء المذكورة في البيت من بني دارم.

حصاهم: عددهم. الأول: يعني من الآباء والأجداد أو المساعي والأفعال.

زحلت: تنحيت، والخطاب لجرير. العتب: الغلظ في ارتفاع، أي عن وضح الطريق. المنقل: الطريق في الجبل. يقول: إذا سكنا تنحيت لنا، وسد عليك الطريق، فلم تدر أين تسير وتضع قدميك.

ورد العشي: ورود الماء ليلاً. يقول: إنكم لضعفكم ومهانتكم لا قبل لكم بالزحام، بل تشربون من فضل غيركم.

حلل الملـوك لباسنا فى أهلنا   والسابغات إلى الوغى نتسربل
أحلامنـا تـزن الجبال رزانة   وتخالنا جنا إذا ما نجهل
فادفع بكفك إن أردت بناءنا   ثهلان ذا الهضبات هل يتحلل
وأنا ابن حنظلة الأغر وإننى   فـى آل ضبـة للمعـم المخـول
فرعان قد بلغ السماء ذراهما   وإليـهما من كل خوف يعقـل
فلئن فخرت بهم لمثل قديمهم   أعلـو الحـزون بـه ولا أتسهـل
زيد الفوارس، وابن زيد منهم   وأبو قبيصـة ، والـرئيس الأول
أوصى عشية حين فارق رهطه   عند الشهادة فى الصحيفة دغفل
أن ابن ضبة كان خيراً والدا   وأتم فى حسب الكرام وأفضل(١)

---

(١) الحلة: إزار ورداء. السابغات: الدروع. الوغى: الحرب. نتسربل: نتقمص، فهم فى السلم ملوك، وفى الحرب ليوث. ، الأحلام، جمع حلم: الصبر أو الأناة أو العقل، وضده الجهل والسفه. رزانة: وقاراً. ثهلان: جبل عظيم بنجد. الهضبات، جمع هضبة: الجبل الصغير. هل يتحلحل: أى هل يزول ويتحرك، فكذلك عزنا.

حنظلة: هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر، وأمه من ضبة. الأعز: المشهور بالعز والشرف. المعم المخول: الكريم الأعمام والأخوال. ذروة كل شئ: أعلاه. يعقل: يلجأ إليهما الناس عند المخاوف. الحزون: ما غلظ من الأرض، مفرده حزن. السهل: ما سهل ولان. يعنى أن فخره بهؤلاء يسمو به. زيد الفوارس: هو زيد بن حصين. سمى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى ثأر أبيه حصين. وابنه: هو الحصين بن زيد. وأبو قبيصة: خوار بن عمرو منهم أيضاً. والرئيس الأول: محلم بن سويط من سعد بن ضبة.

رهط الرجل: قومه الأدنون. دغفل: هو ابن حنظلة النسابة من وائل. وهو فاعل أوصى.
بنو ضبة: رهط الشاعر لأمه. الحسب: مفاخر الآباء.

ممن يكون بنو كليب رهطه ... أو من يكون إليهم يتخول
وهم على ابن مزيقاء تنازلوا ... والخيل بين عجاجتيها القسطل
وهم الذين على الأميل تداركوا ... نعما يشل إلى الرئيس ويعكل
ومحرقا صفدوا إليه يمينه ... بصفاد مقتسر أخوه مكبل
ملكان يوم بزاخة قتلوهما ... وكلاهما تاج عليه مكلل
وهم الذين علوا عمارة ضربة ... فوهاء فوق شئونه لا توصل
وهم إذا اقتسم الأكابر ردهم ... وافٍ لضبة، والركاب تشلل(١)

---

(١) بنو كليب: رهط جرير. يتخول: من الخؤولة، أى يدعيهم أخوالاً، فهو فى هذه الأبيات يفضل نفسه نسباً وحسباً على جرير.

ابن مزيقياء: هو الحارث بن عامر قتله أحد بنى ضبة، وابناه محرق وزياد قتلهما زيد الفوارس. تنازلوا: نزلوا فى ساحة القتال فتضاربوا. العجاجتان، مثنى عجاجة: الدخان والغبار. القسطل: الغبار. والمقصود أن الغبار سائر بين الجيشين المتحاربين.

الأميل: رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين. وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة على بنى شيبان، وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى أغار على بنى ضبة، فاستاق ألف بعير لمالك بن المنتفق رئيس بنى ضبة، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم. يشل: يطرد. يعكل: يرد يحبس. محرق: سبق ذكره. صفدوا: جمعوا، أى أسروه واستوثقوا منه. الصفاد: القيد أو الحديد الذى قيد فيه. أخوه: صاحبه، أى صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب.

بزاخة: واقعة لضبة على غسان. والملكان: محرق وزياد كما سبق. مكال: معقود فوق رأسه. عمارة بن زياد العبسى قتله شرحاف الضبى يوم أعيار. فوهاء: واسعة ذات فم واسع. الشئون: ملتقى قبائل الرأس، الواحد شأن، ومن الشئون تجرى الدموع. لا توصل: لا تلتئم. اقتسم الأكابر: أسروا وتوزعوا. والأكابر: شيبان وعامر وجليحة من بنى تيم الله بن ثعلبة، وأجارهم بدر بن حمراء الضبى، فوفى لهم. تشلل: تطرد.

جار إذا غدر اللئام وفى به حسب ومكرمة وماجد لا يخذل

وعشية الجمل المجلل ضاربوا ضرباً شئون فراشه تتزيل

* * *

يا ابن المراغة أين خالك إننى خالى حبيش ذو الفعال الأفضل

خالى الذى غصب الملوك نفوسهم وإليه كان حباء جفنة ينقل

إنا لنضرب رأس كل قبيلة وأبوك خلف أتانه يتقمل

وشغلت عن حسب الكرام وما بنوا إن اللئيم عن المكارم يشغل

إن التى فقئت بها أبصاركم وهى التى دمغت أباك الفيصل(١)

---

(١) جار: يعنى بدر بن حمراء الضبى. الماجد: جيرانه من بنى تيم الله الذين التجأ إليهم فى إحدى السنين فوفوا له.

الجمل: وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل فيها من بنى ضبة كثير. الفراش، جمع فراشة: كل رقيق من العظم أو الحديد. تتزيل: تتفرق.

ابن المراغة: جرير. حبيش: من ضبة أسر عمرو بن الحارث الغسانى، فجز ناصيته، واشترط عليه أن يبعث إليه كل سنة بحباء حتى يموت.

الحباء: العطية، والمراد هنا الضريبة. جفنة: من آباء الغساسنة إليه ينسبون، ويسمون آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية.

الرأس: الرئيس. الأتان: الحمارة. يتقمل: يكثر قمله.

اللئيم الدنئ الأصل والبخيل.

دمغت: أي بلغت دماغه. الفيصل: مقطع الحق فيما بيننا وبينكم. وهذه القصيدة كانت تسمى الفيصل.

وقال الفرزدق يهجو جريراً:

ولو ترمى بلؤم بنى كليب ... نجوم الليل ما وضحت لسار

ولو يرمى بلؤمهم نهار ... لدنس لؤمهم وضح النهار

وما يغدو عزيز بنى كليب ... ليطلب حاجة إلا يجار

ومن موضع هجاء الفرزدق فى جرير قوله:

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى ... عظام المخازى عن عطية تنجلى

أمن جزع أن لم يكن مثل غالب ... أبوك الذى يمشى بريق موصل

وإن تهج آل الزبرقان فإنما ... هجوت الطوال الشم من هضب يذبل

وقد ينبح الكلب النجوم ودونها ... فراسخ تضنى العين للمتأمل

فما ثم فى سعد ولا آل مالك ... غلام إذا ما قيل لم يتبهدل

لهم وهب النعمان بردى محرق ... بمجد معد والقديد المحصل(١)

***

(١) آل الزبرقان: هم آل بهدلة، لم يتبهدل: لم ينتسب إلى بهدلة بن عوف، أى إلى هذه القبيلة.

وهؤلاء الشعراء الذين ذكرهم الهمذانى فى هذه المقامة يعدون من المشاهير، كما ذكر ابن رشيق، حيث قال:(١)

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار شعرهم، وكثر ذكرهم، حتى غلبوا على سائر من كان فى أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له، وقل ما يجتمع على واحد، إلا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى امرئ القيس «أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار» يعنى شعراء الجاهلية والمشركين. قال دعبل بن على الخزاعى: ولا يقود قوماً إلا أميرهم.. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء: امرؤ القيس سابقهم: خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر. يعنى أن امرأ القيس من اليمن، وأن اليمن لهم فصاحة نزار، فجعل لهم (معانى) عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر، وامرؤ القيس يمانى النسب، نزارى الدار والمنشأ، وفضله على رضى الله عنه بأن قال: رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة.

وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء؛ لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه قيل أول من لطف المعانى، واستوقف على الطلول، ووصف

---

(١) العمدة ١/ ٧٦ - ٨٢.

النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصى، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام: فقيد الأوابد. وأجاد الاستعارة والتشبيه.

روى الجمحى أن سائلاً سأل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو الفروح، قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدهم ببنى أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وأما دعبل فقدمه بقوله فى وصف عقاب:

ويلمها من هواء الجو طالبةً ... ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب.

وسئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال: الملك لضليل، قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل، قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه -.

وكان الحذاق يقولون: الفحول فى الجاهلية ثلاثة، وفى الإسلام ثلاثة متشابهون: زهير والفرزدق والنابغة والأخطل، والأعشى وجرير[1].

وحكى الأصمعى عن ابن أبى طرفة: كفاك من الشعراء أربعة:

---

(١) العمدة ١/ ٧٧.

زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب، وزاد قوم: وجرير إذا غضب.

وقيل لكثير - أو لنصيب -: من أشعر العرب؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب.

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة؛ ويقول: هو أحسنهم شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً. وسئل الفرزدق مرة: من أشعر العرب؟ فقال: بشر بن أبى خازم؛ وسئل جرير أيضاً فقال بشر بن أبى خازم.

وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب: إن أبا عبيدة قال: أصحاب السبع التى تسمى السمط: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة. قال: وقال المفضل: من زعم أن فى السبع التى تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل. فأسقط من أصحاب المعلقات عنترة، والحارث بن حلزة، وأثبت الأعشى والنابغة[1].

وقال الجمحى فى كتابه: سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً: من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألنى أو الإسلام؟ قال: ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرنى عن أهلها، قال: زهير شاعرهم،

---

(١) العمدة ١/ ٧٨.

قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر في يده، قلت فالأخطل؟ قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحراً.

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعرُ شعراء وقته، فقال: أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس، وأضربهم مثلا طرفة، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم، وجرير أهجاهم، والأخطل أوصفهم.

وسأل ابن عباس الحطيئة:

فقال الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم

وليس الذي يقول:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه   على شعث، أي الرجال المهذب[1]

وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول: أشعر الناس أربعة: امرؤ القيس، والنابغة، وطرفة، ومهلهل. قال: وقال المفضل: سئل الفرزدق فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، وقال جرير: النابغة أشعر الناس، وقال الأخطل: الأعشى أشعر الناس، وقال جرير: زهير أشعر الناس.

(١) العمدة ١/ ٧٩.

وقيل لنصيب مرة: من أشعر العرب؟ فقال: وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى في النفوس..

والذى أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوى أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة،، وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً.

وروى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنشدنى لأشعر شعرائكم، قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام: قال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعانى في قليل من المنطق، وأشدهم مبالغة فى المدح(١).

وأما النابغة فقال من يحتج له: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأذهبهم فى فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، ومدحاً، وهجاء، وفخراً، وصفة.

وقال بعض متقدمى العلماء: الأعشى أشعر الأربعة، قيل له: فأين

---

(١) العمدة ١/ ٨٠.

الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس بيده لواء الشعراء؟ فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير، فامرؤ القيس حامل اللواء، والأعشى الأمير.

وقالت طائفة من المتعقبين: الشعراء ثلاثة: جاهلى، وإسلامى، ومولد، فالجاهلى امرؤ القيس[1].

---

(١) العمدة ١/ ٧٦ - ٨٢.

الفصل السابع

القدماء والمحدثون

* * *

أما قضية القدماء والمحدثون:

فأنصار الشعر القديم، هم حماد الراوية، والخليل بن أحمد، وخلف الأحمر، والأصمعي، وأبو عبيدة، وابن الأعرابي.

* * *

وكان ابن الأعرابي يقول: إن أشعار هؤلاء المحدثين، مثل أبي نواس وغيره، مثل الريحان، يشم يوما، ويذوي يوما، فيرمى به، وأشعار القدماء مثل العنبر، والمسك، كلما حركته ازداد طيباً(١).

* * *

قال ابن مناذر لخلف الأحمر، وقد التقيا على مائدة: يا أبا محرز، إن يكن النابغة، وامرؤ القيس، وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شُعري إلى شعرهم، واحكم فيهما بالحق، فغضب خلف(٢).

وروى أن مروان بن أبي حفصة عرض قصيدته التي مطلعها:

طرقتكَ زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

---

(١) الموشح ص ٢٤٦.
(٢) الأغاني، الساسي، ١٧/ ١١.

عرض شعره هذا على خلف الأحمر حين لقيه في حلقة يونس بن حبيب[1].

ذكر الرواة أن بشار بن برد أنشد خلفا الأحمر قصيدته في سلم بن قتيبة:

بكرا صاحبي قبل الهجير   إن ذاك النجاح في التبكير

فلاحظ فيها إكثاره من الغريب، وسأله عن سبب ذلك، فقال له: بلغني أن سلما يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه، فقال له خلف: لو قلت مكان: إن ذاك النجاح في التبكير، بكرا فالنجاح في التبكير، لكان أحسن، فأجابه بشار: إنني بنيتها أعرابية وحشية، فقلت: إن ذاك النجاح، كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرا فالنجاح، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف فقبل بين عينيه[2].

قال قائل لخلف الأحمر: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك، قال له: إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته، فقال لك الصيرفي إنه ردئ، هل ينفعك استحسانك له[3].

---

(١) الأغاني، الساسي، ١٧/ ١٢.
(٢) الأغاني ٣/ ١٩٠.
(٣) مقدمة طبقات فحول الشعراء ص ٨، العمدة ١/ ٩٧.

* * *

وكان أبو عمرو بن العلاء متعصباً للقدماء، وكان يقول: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً[1].

سئل أبو عمرو بن العلاء عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً، ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع[2].

وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين[3] من الجاهليين والمخضرمين، إذ جعل جريرا والفرزدق من المولدين، وجعل شعرهما مولداً، وهم أن يأمر الصبيان بروايته لما حسن وراق[4].

وكان يختم الشعر بذي الرمة، والرجز برؤبة قائلاً في المحدثين: إنهم كل على غيرهم[5].

وقال أبو عمرو بن العلاء عن شعر ذي الرمة: إنما شعره نقط عروس يضمحل عن قليل، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود إلي أرواح البعر[6].

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٥.
(٢) العمدة ١/ ٩٠ - ٩١.
(٣) العمدة ١/ ٩٠.
(٤) العمدة ١/ ٩٠.
(٥) الأغاني، ساسي، ١٦/ ١٠٩.
(٦) طبقات الشعراء ص ٢٠٧.

* * *

وكان الأصمعى يختم الشعر بابن ميادة، وابن هرمة، وأضرابهما من شعراء نجد والحجاز الذين أدركوا الدولة العباسية[1].

وحين أنشده إسحاق بن إبراهيم الموصلى:

هل إلى نظرة إليك سبيل   يرو منها الصدى ويشفى الغليل
إن ما قل منك يكثر عندى   وكثير ممن تحب القليل

أعجب بالشعر، ورِاقة حسنه، ورقته، فمضى يقول: هذا الديباج الخسروانى، هذا الوشى الإسكندرانى، فلما عرف أن هذا الشعر لإسحاق، قال له: أفسدته، أفسدته، أما أن التوليد فيه لبين[2].

* * *

روى أن الخليل بن أحمد قال لابن مناذر الشاعر: إنما أنتم معشر الشعراء تبع لى، وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم، ورضيت قولكم نفقتم، وإلا كسدتم، فقال ابن مناذر: والله لأقولن فى الخليفة قصيدة أمتدحه بها، ولا أحتاج إليك فيها عنده، ولا إلى غيرك، فقال فى الرشيد قصيدته:

---

(١) الأغانى، دار الكتب، ٤/ ٢٧٣.
(٢) الأغانى ٥/ ٣١٧/ ٣١٨.

ما هيج الشوق من مطوقة أوفت على بانة تغنينا

وفيها يقول:

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقينا[١]

* * *

وسئل أبو عبيدة: أى الرجلين أشعر: أبو نواس، أم ابن أبى عيينة؟ فقال: أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء. فقيل له: سبحان الله، كأن هذا ما تبين لك؟ فقال: أنا ممن لم يتبين له هذا؟

وكان أبو عبيدة يقول: افتتح الشعراء بامرئ القيس، وختم بابن هرمة، فأهدر بذلك الشعراء من بعد ابن هرمة، وأزرى بما يقولون من الشعر.

وقال ابن مناذر لحماد الأرقط حين لقيه: أقرئ أبا عبيدة السلام، وقل له: يقول لك ابن مناذر: اتق الله، واحكم بين شعرى وشعر عدى بن زيد، ولا تقل: ذلك جاهلى، وهذا إسلامى، وذاك قديم، وهذا محدث، فتحكم بين العصرين، ولكن احكم بين الشعرين، ودع العصبية[٢].

---

(١) الأغانى. الساسى ١٧/ ١٦.
(٢) الأغانى، الساسى ١٧/ ١٢.

* * *

جاء مروان بن أبى حفصة إلى حلقة يونس بن حبيب، فقال له: إنى أرى قوما يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم عن سوأته، ثم يمشى كذلك فى الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإذا كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته، فأنشده قوله:

طرقتك زائرة فحى خيالها   بيضاء تخلط بالجمال دلالها

فقال له يونس: يا هذا، اذهب، فأظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى فى قوله:

رحلت سمية غدوة أجمالها

لأنه قال فى قصيدته هذه:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل فى شئ إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه(١).

فلما أنشدها مروان بن أبى حفصة المهدى زحف المهدى من صدر

---

(١) الأغانى ١٠/ ٨٢.

مصلاه حتى صار إلى البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هى؟ قال: مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر فى أيام بنى العباس[1].

* * *

روى أن أبا جعفر المنصور حين فجع بموت ابنه جعفر طلب من ينشده من أهل بيته قصيدة أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء بنيه:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر بمعتب من يجزع

فلما لم يجد فيهم من يحفظها أسف على جهلهم بها أسفاً أشد من حزنه لفقد ابنه، ولما جئ بشيخ مؤدب، لينشده إياها استعاد إنشاده المطلع مرات، حتى إذا بلغ الشيخ فى إنشاده قول أبي ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثانه

استعاده مرات، وهو يقول: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول[2].

* * *

ولذلك كانوا يتناشدون الشعر القديم.

---

(١) الأغانى ١٠/ ٧٧ - ٨٢.
(٢) الأغانى ٦/ ٢٧٢ - ٢٧٤.

قال الأصمعي: قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، وقلت: هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء[1]. وكان من أشهر مختاراتهم من الأدب المفضليات للضبي، وهي طائفة من القصائد جمعها من أجود قصائد الشعر العربي، ودونها كاملة، وقد روى أنه عملها للمهدي، وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة، وقد تزيد وتنقص، وتتقدم القصائد، وتتأخر، بحسب الرواية عنه، والصحيحة هي التي رواها عنه ابن الأعرابي[2].

والأصمعيات، وهي مجموعة من القصائد، عددها سبع وسبعون قصيدة، منسوبة إلى الأصمعي.

وجمهرة أشعار العرب للقرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، وهي مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم، وصنعها في سبع مراتب، في كل مرتبة سبع قصائد، على الترتيب التالي: المعلقات، والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشوبات، والملحمات[1].

* * *

---

(١) معالم النقد الأدبي، ص ٨٢.
(٢) الفهرست ص ٦٨.
(٣) الفهرست ص ١٧٠.

***

واضطرَ الشعراء إلى الاتجاه إلى القديم.

قيل: إن أبا نواس كان يحفظ دواوين ستين امرأة فضلا عن الرجال[1]، وأنه حفظ سبعمائة أرجوزة.

وفيه يقول الجاحظ: ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبى نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة لاستكراه[2].

ويقول أبو عمرو الشيباني العالم اللغوى المشهور: لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول.

وروى أبو الفرج الأصفهاني أنه استمع إلى عقبة بن رؤبة، وهو ينشد عقبة بن سلم والى البصرة أرجوزة يمدحه بها، فلما فرغ منها قال له: هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ، فغضب بشار، وقال له: ألى يقال مثل هذا الكلام؟ أنا والله أرجز منك، ومن ابنك، وجدك، يريد العجاج، ومضى إلى منزله، فألف أرجوزة بديعة، وغدا فأنشدها عقبة بن سلم، وعنده عقبة بن رؤبة، وهى التى يستهلها بقوله:

يا طلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى

(١) طبقات الشعراء ص ١٢٧ - ١٢٨.
(٢) فى الأدب العباسى، العصر الأول ص ١٢٨.

فطرب عقبة بن سلم، وكافأه مكافأة كبيرة، وانكسر عقبة بن رؤبة انكساراً شديداً[١].

ويروى أن بشار بن برد أنشد فى شعر الأعشى الكبير:

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى، ولم يلبث الرواة أن تحققوا من قوله[٢].

قال رزين أخو دعبل: كان الأدب يجمعنا كثيراً، فيؤنسنا التناشد والمذاكرة، فاجتمعنا يوماً عند أبى نواس، وهو إذ ذاك فى رهج محمد بن زبيدة، وفينا دعبل بن على، ومسلم بن الوليد، وأبو الشيص، فقال أبو نواس: قد اتفق اجتماعنا، فلم لا نتمم يومنا بما يذكرنا به المتأدبون؟ قلنا له: إنه ليوم ذلك، فابتدأ مسلم فى قوله: أجررت حبل خليع، فلما انتهى إلى قوله:

موف على مهج فى يوم ذى رهج   كأنه أجل يسعى إلى أمل

قال أبو نواس: ما أراه يجئ بعد هذا الكلام ما يفى بوزنه[٣].

---

(١) الأغانى ٣/ ١٧٤، تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الأول ص ١٤٤ - ١٤٥، الموشح ص ٣٦٦.

(٢) الأغاى ٣/ ١٤٣، المصدر السابق أيضاً.

(٣) الأغانى، غوطة ص ٢٧٧، نقلاً عن ذيل ديوان مسلم بن الوليد ص ٣٩٨ فى تاريخ الأدب العباسى ص ١٢٤.

واجتمع الحسن بن هانئ، وصريع الغوانى، وأبو العتاهية فى مجلس بالكوفة، فقيل للحسن بن هانئ: أنشدنا، فأنشد:

يا ابنه الشيخ أصبحينا   ما الذى تنتظرينا

قيل: هذ الهزل، فهات الجد، فأنشد:

لمن طلل عارى المحن دفين   عفا عهده إلا روائم جون

فقام صريع الغوانى يجر ذيله، وخرج، وهو يقول: إن هذا مجلس ما جلسته أبداً(١).

ويروى أن مسلم بن الوليد قال لأبى نواس، وقد اجتمعا فى مجلس، فتلاحيا على نبيذ: والله ما تحسن الأوصاف، فقال: لا، والله ما أحسن أن أقول:

سلت فسلت ثم سل سليلها   فأتى سليل سليلها مسلولا

والله لو رميت الناس فى الطرق لكان أحسن من هذا(٢).

وحدث رزين بن على الخزاعى أخو دعبل، قال: كنا عند أبى نواس أنا، ودعبل، وأبو الشيص، ومسلم بن الوليد الأنصارى، فقال أبو

---

(١) العقد الفريد ٥/ ٣٧٦ - ٣٧٨.
(٢) الموشح ص ٢٨٩، فى تاريخ الأدب العباسى ص ١٢٦.

نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتك المخزية، قال: ما هي؟ قال: الضادية، فما خطر بخلدي قولك:

ليس المقل عن الزمان براض

إلا أخزيتك استحسانا لها، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقفها، وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم، والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدي لي المخزيات، فتعد قوله:

أغر أروع تستقى الغمام به   لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبهها من شعره، قال أبو الشيص: لا أفعل، إنها ليست عندي عقد در مفصل، ولكني أكاثر بغيرها، ثم أنشد قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخر عنه ولا متقدم

فقال أبو نواس: قد أردت صرفها عنها، فأبيت أن تخلى عن سلبك، أو تدرك في هربك، قال: بل أقول في طلبي، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطاً خسروانياً مذهباً، فكيف تركت؟

في رداء من الصفيح صقيل   وقميص من الحديد مذال

قال: تركته كما تركت مختار الدرتين إحداهما بما سبق في ألحاظه، وزين في ناظره[1].

---

(١) الأغاني ١٦/ ٤٠٣ - ٤٠٤.

* * *

وكانَ للشعراء أيضاً رأيهم فى النقاد بسبب هذه القضية.

روى أن أبا نواس فضل جريرا على الفرزدق حين سئل عنهما ، فلما قيل إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، قال: ليس هذا من علم أبى عبيدة، فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر(١).

وكذلك روى أن البحترى فضل أبا نواس على مسلم بن الوليد حين سئل عنهما ، فلما قيل له: أن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، قال: ليس هذا من علم ثعلب، وأضرابه ممن يحفظ الشعر، ولا يقوله، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه(٢).

وقيل للمفضل الضبى: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ فقال: علمى به هو الذى يمنعنى من قوله، وأنشد:

وقد يقرض الشعر البكئ لسانه　　وتعيى القوافى المرء وهو لبيب

وقال الأصمعى على تقدمه فى الرواية، وميزه بالشعر:

أبى الشعر إلا أن يفئ رديه　　على ويأبى منه ما كان محكما

فيا ليتنى إذ لم أجد حوك وشيه　　ولم أك من فرسانه كنت مفحما(٣)

---

(١) العمدة ٢/ ١٠٤.

(٢) العمدة ٢/ ١٠٤.

(٣) العمدة ١/ ٩٧ - ٩٨.

***

وثمة فريق وقف موقفاً وسطاً بين القديم والجديد، ومن هؤلاء الجاحظ، والمبرد، وابن قتيبة، وحذا حذو ابن قتيبة من جاء بعده من الكتاب، كالثعالبي، وابن رشيق، وابن خلدون، الذي نادى بأن الشعراء يجب أن يتغنوا بذكر الطبيعة، وأن ينشدو الحقيقة، لا أن يصفوا ما لم يركبوا، وما لم يشاهدوا.

وقد أورد الجاحظ شعراً لأبي نواس، وامتدحه بجودة السبك، وجودة الطبع، والحذق في الصنعة، ثم قال: وإن تأملت شعره فضلته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر، وأن المولدين لا يقاربونهم في شئ، فإن اعترض هذا الباب عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوباً[1]، ثم يذكر في أن الجهلة من النقاد أولي العصبية يغفلون أمر الجودة، ولا يلتفتون إلى القدماء، ولو كان له بصر لعرف موضوع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان.[2]

وهو القائل: ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب، أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل[3].

---

(١) الحيوان ٢/ ٢٧.
(٢) الحيوان ٣/ ٤٠.
(٣) البيان والتبيين ٣/ ٣٢٣.

وهو القائل أيضاً: طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفتُ على أبى عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب(١).

* * *

قال المبرد: وليس لقدم عهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهضم المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق.

* * *

قال ابن قتيبة فى مقدمة الشعر والشعراء: ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد، أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت كلا حقه، ووفرت عليه حظه، فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه موضع متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده، إلا أنه قيل فى زمانه، ورأى قائله، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوما بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثاً فى عصره(٢).

---

(١) العمدة ٢/ ١٠٥.

(٢) الشعر والشعراء ص ٧.

* * *

قال ابن رشيق[1]:

كل قديم من الشعراء فهو محدث فى زمانه بالاضافة إلا من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولداً بالاضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعى: جلست إليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع. هذا مذهب أبى عمرو وأصحابه: كالأصمعى، وابن الأعرابى - أعنى أن كل واحد منهم يذهب فى أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم - وليس ذلك الشئ إلا لحاجتهم فى الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون، ثم صارت لجاجة.

فأما ابن قتيبة فقال:لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن

---

(١) العمدة ١/ ٧٣ - ٧٦.

دون زمن، ولا خص قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره.

ومما يؤكد كلام ابن قتيبة كلام على رضي الله عنه «ولولا أن الكلام يعاد لنفد» فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد، وإنما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط.

وقول عنترة * هل غادر الشعراء من متردم * يدل على أنه يعد نفسه محدثاً، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر.

وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع:

يقول من تقرع أسماعه   كم ترك الأول للآخر

فنقض قولهم «ما ترك الأول للآخر شيئاً».

وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد:

فلو كان يفني الشعر أفناه ما قرت   حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول: إذا انجلت   سحائب منه أعقبت بسحائب

وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين: ابتدأ هذا بناء فأحكمه

وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن[1]..

وقال ابن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين: إنما تروى لعذوبه ألفاظها، ورقتها، وحلاوة معانيها، وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين فى غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار، وذكر الوحوش والحشرات - ما رويت؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعانى، ولا سيما مع زهد الناس فى الأدب فى هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواص فى معرفتها كالعوام، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب: يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان.. وقائل الشعر الحوشى بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير الطرب الصوت: يعرض عنه إلا من عرف فضل صنعته، على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات، وإنما يجعل معلماً للمطربات من القينات: يقومهن بحذقه، ويستمع بحلوقهن دون حلقه، ليسلمن من الخطأ فى صناعتهن، ويطربن بحسن أصواتهن.

وهذا التمثيل الذى مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع، إلا أن أوله من قول أبى نواس:

---

(١) العمدة ١/ ٧٤.

صفة الطلول بلاغة القدم   فاجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخدعن عن التى جعلت   سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها   أفذو العيان كأنت فى الحكم؟
وإذا وصفت الشئ متبعاً   لم تخل من غلط ومن وهم[١]

ولم أر فى هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت فى بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً فى غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس فى أشعارهم، ونوادر حكاياتهم، قال: والذى أختاره أنا التجويد والتحسين الذى يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشى المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة.

وقال ابن رشيق فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من

---

(١) العمدة ١/ ٧٥.

الناس دون طائفة لا يخرج من بلده،ولا يتصرف من مكانه كالذى لفظه سائر فى كل أرض،معروف بكل مكان،وليس التوليد والرقة أن يكون الكلام رقيقاً سفسافاً، ولا بارداً غثاً، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً، ولا أعرابياً جافياً، ولكن حال بين حالين..

ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته، مع البعد من السخف والركاكة، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولاً عنهم؛ إذ هو طبع من طباعهم، فالمولد المحدث - على هذا - إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع، ومعرفة الصواب، مع أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة(١).

وربما كانت هذه القضية قد سبقت بدء العصر العباسى.

فقد وازنت سكينة بنت الحسين بين شعر كثير عزة، وبين شعر امرئ القيس، قالت سكينة لكثير: يا ابن أبى جمعة، أخبرنى عن قولك:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا   وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ويحك، وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين، توقد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها، ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس

ألم تريانى كلما جئت طارقاً   وجدت بها طيباً وإن لم تطيب(١)

---

(١) العمدة ١/ ٧٣ - ٧٦.

(١) معالم النقد الأدبى ص ١٢٢ - ١٢٣.

الفصل الثامن

الألفاظ والمعانى فى المقامة القريضية
وعلاقتها بالشعر القديم

- القريضية: نسبة إلى القريض، وهو الشعر.

قال الأغلب العجلى:

أرجزا تريد أم قريضاً.

كليهما أجد مستريضاً[1].

أى أتريد رجزاً، وهو من أبحر العروض العربى، بوزن مستفعلن ست مرات، ثلاث منها فى كل شطر، أم تريد قريضاً، أى شعراً على وزن بحر آخر من أبحر العروض العربى الستة عشر.

* * *

- طرح: رمى وأبعد، قال المثقب العبدى:

فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غثى من سمينى
وإلا فاطرحنى واتخذنى عدواً أتقيك وتتقينى
فإنى لو تعاندنى شمالى عنادك ما وصلت بها يمينى[2]

أى فأبعدنى عنك، واتخذنى عدواً لك، يكون بيننا ما يكون بين الأعداء.

---

(١) لسان العرب ٩/٨٤.
(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب ٣/٦٩.

★★★

وقال المرقش الأصغر:

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألـم ورحلـى ساقط متـزحـزح
فلما انتبهت بالخيال وراعنى إذا هـو رحلـى والبـلاد توضـح
ولكنــه زور يـيقـظ نائمـا ويحدث أشجاناً بقلبك تجـرح
بكل مبيت يعترينا ومنـزل فلو أنها إذ تولـج الليل تصبح
فولت وقد بثت تباريـح مـا ترى ووجدى بها إذ تحدر الدمع أبرح[1]

أى الخيال الذى يطرح نفسه من مكان بعيد، أى يلقيها، لأن بنت عجلان بعيدة عنه، فخيالها قد طرح نفسه من حيث هى إلى منام الشاعر.

---

(١) المفضليات ص٢٤٢.
يتحدث عن زورة الطيف، وكيف انتبه لروعته، وكيف أن الطيف يطرقه فى كل منزل ينزل، ثم استعاد ذكرى الوداع، وما جرى فيه من الدمع. بنت عجلان: هى هند بنت عجلان جارية فاطمة بنت المنذر، المطرح: الذى يطرح نفسه من مكان بعيد، أى يلقيها، متزحزح: متباعد، إذا هو رجلى: يريد أنه رأى الخيال فى نومه، فلما انتبه لم يجد إلا رحله، توضح: تتوضح، أى تظهر، يريد أنها خالية، الزور: الزائر، يعترينا: يصير إلينا، يعنى الخيال، تدلج: تسير ليلاً، أى ليتها إذا زارنا خيالها ليلاً بقى إلى الصباح، بثت: فرقت، التباريح: الشدة، أبرح، أفعل تفضيل، من البرح، وهو الشدة.

* * *

- النوى: البعد.

قال بشامة بن عمرو:

هجرت أمامة هجراً طويلاً وحملك النأى عبئاً ثقيلا
وحملت منها على نأيها خيالاً يوافى ونيلاً قليلا
أتتنا تسائل ما بثنا فقلنا لها قد عزمنا الرحيلا
وقلت لها كنت قد تعلميـ ن منذ ثوى الركب عنا غفولا
فبادرتاها بمستعجل من الدمع ينضح خدا أسيلا
كأن النوى لم تكن أصقبت ولم تأت قوم أديم حلولا[1]

أى إن النوى لا تترك أحداً، حتى علية القوم من الملوك والأشراف، ذوى قباب الأدم التى تدل على رفعتهم، ومكانتهم العالية.

---

(١) المفضليات ص ٥٥، يتحدث عن هجرته بلاد خليلته، ونأيه عنها، وما كان يعاوده من طيفها، ووصف موقف الوداع، النأى: البعد، ثم يقول فى البيت الثانى: حملت مع بعدها عنك أن ترى خيالها، فيزيدك شوقاً، البث: الحال، ثوى وأثوى بمعنى أقام،غفولا:غافلة، يقول فى البيت الثالث: كنت غافلة عنى، فاعلمى بذلك، بادرتاها: يعنى عينيها، أضمرهما، ولم يجر لهما ذكر،الخد الأسيل: السهل اللين الدقيق المستوى،النوى: البعد،أصقبت:دنت وقاربت، الأديم: الجلد، وأضافه إلى القوم، بمعنى أنهم أشراف ملوك لهم قباب الأدم، وهى لا تكون إلا للملوك والأشراف، حلولا: حالين مقيمين، يعنى أن الزمن يفرق بين الناس، لا يعزه شريف.

***

وقال زهير بن أبى سلمى:

شطت أميمة بعدما صقبت ... ونأت وما فنى الجناب فيذهب
باءت بعاقبة وكان نوالها ... طيف يشق على المباعد منصب
فى كل مشوى ليلة سار لها ... هاد يهيج بحزنه متأوب
أنى قطعت وأنت غير رجيلة ... عرض الفلاة وأين منك المطلب
هل تبلغينها على شحط النوى ... عنس تخب بى الهجير وتنعب[1]

أى على بعد الرحلة، أو السفر، أو المكان.

***

(١) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٣٦٩.

شطت: بعدت، صقبت: قربت، الجناب: بكسر الجيم المجانبة، باءت: رجعت، الطيف: ما أطاف من خيالها فى النوم، العاقبة: أى عاقبة أمرها، أى آخر ما كان منها إلينا، يشق عليه، لأنه يذكره إياها، ولا سبيل له إليها، رجيلة: أى قوية على الرجلة والمشى، والرجلة بضم الراء: المشى راجلاً، وبفتح الراء أو كسرها شدة المشى، النوى: البعد، الشحط: البعد، عنس: ناقة صلبة، تخب: سير الخبب، الهجير: الهاجرة مع الزوال، تنعب: تهز رأسها فى سيرها.

* * *

أو النَوى: وجهك الذى تريده فى سفرك، وهو أوقع فى المعنى.

قال عبد الله بن عنمة الضبى:

أشت بليلى هجرها وبعادها　　بما قد تؤاتينا وينفع زادها
سنلهو بليلى والنوى غير غربة　　تضمنها من رامتين جمادها
ليالى ليلى إذ هى الهم والهوى　　يريد الفؤاد هجرها فيصادها[1]

هاج الشاعر بعد ليلى وهجرها، وتوقع أن تتبدل الحال، فيلتئم الشمل مرة أخرى، والنوى يقصد وجهة السفر.

---

(١) المفضليات ص ٣٧٩.

أشت: فرق، بما: الباء للبدل، أى هذا بذاك، هجرها لنا اليوم بمؤاتاتها قبل هذا، النوى: وجهك الذى تريده فى سفرك، الغربة: بفتح الغين، البعد والنوى، والغربة: البعيدة، رامتين: رامة موضع بالبادية يكثرون تثنيته فى الشعر الجماد: بفتح الجيم، الأرض الصلبة التى لا يمكن فيها الحفر، وبالكسر موضع، وأراد بالتضمن أنهم نزلوا بذلك المكان، يصادها: يصير صيداً لها.

وقال زهير بن أبى سلمى:

تحمل أهلها عنهـا فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء
فلما أن تحمل أهل ليلى ... جرت بينى وبينهم الظباء
جرت سنحا فقلت لها أجيزى ... نوى مشمولة فمتى اللقاء
لقد طالبتها ولكل شئ ... إذا طالت لجاجته انتهاء[1]

النوى: الوجه الذى تنويه.

وقال عمرو بن الداخل:

تذكر أم عبد الله لما ... نأته والنوى منها لجوج[2]

أي الوجه الذى تريده فى سفرها.

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٥٨ - ٦١.
يقول على آثار الذى ذهب الدرس، أى من ذهب لم آس عليه، أي على آثار الشئ الذاهب من الدار العفاء، يكون خبراً، ويكون دعاء، أو العفاء: التراب سنحا: جمع سنيح،وقد تشاءم به زهير، والسانح: ما ولاك ميامنه من ظبى، أو طائر، والعرب تتيمن به، وتتشاءم بالبارح، وقيل عكس ذلك، والعرب تختلف فى العيافة، فأهل نجد يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، وأهل الحجاز عكسهم، وقيل: السانح: ما جاءك عن يمينك، يريد شمالك، والبارح: ما جاءك عن يسارك يريد يمينك، أجيزى: من أجاز: قطع وخلف وراء ظهره، أو سار، مشمولة: يريد سريعة الانكشاف، أو مأخوذاً بها ذات الشمال، لأن الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب به، النوى: الوجه الذى تنويه، والنية، لجاجته: لجاجة الإنسان فيه.
(٢) ديوان الهذليين ٣/٩٨.

* * *

في غربة النوى قال عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

وأنزلني طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله

فحامقته حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله[١]

أي طول البعد أنزله دار غربة، أي صيره غريباً.

* * *

في النوى الطروح قال أبو ذؤيب الهذلي:

فقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح[٢]

أي نوى تطرح بعيداً، أو تلقي في مهوى سحيق.

وقال أبو ذؤيب الهذلي أيضاً:

وإما يحين أن تهجري وتنأى نواك وكانت طروحا[٣]

أي نواك وبعدك كانت طروحا، فأبعدتك بعداً شديداً، أو ألقت بك بعيداً.

---

(١) البيان والتبيين ١/٢٤٧، ٢/٢٣٩، ٣/٣٢١.
(٢) ديوان الهذليين ١/٦٩.
(٣) ديوان الهذليين ١/١٣٣.

وقال صخر الغي:

فإما يحينن أن تهجري وتنأى نواك وكانت قذوفا[1]

أي نواك وبعدك كانت قذوفاً، قد قذفت بك بعيداً.

وقال المعطل:

ألا أصبحت ظمياء قد نزحت بها نوى خيتعور طرحها وشتاتها[2]

أي أبعدتها نوى مبعدة طرحت بها بعيداً.

وقال صخر الغي:

عاودني حبها وقد شحطت صرف نواها فإنني كمد[3]

أي بعدت نواها، أو أبعدتها النوى فهو كمد لبعدها عنه، ومعاودة حبها إياه.

وقال ذو الرمة:

ألما بحي قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيلها[4]

أي قبل أن تبعد النوى بناكل مبعد.

---

(١) ديوان الهذليين ٢/٧٣.
(٢) ديوان الهذليين ٣/٤٩.
(٣) ديوان الهذليين ٢/٥٨.
(٤) شرح ديوان ذي الرمة، ص٨٥.

وقال جميل:

ولا مرَّ يوم مذ ترامت بك النوى ولا ليلة إلا هوى منك رادف[1]

أي منذ رمت بك النوى بعيداً.

وقال كثير

أمنى صرمت الحبل لما رأيتنى طريد حروب طرحته الطوارح[2]

أي أبعدته المباعد، مبالغة فى البعد، والطرح بعيداً.

وأنشد ابن برى:

أقول وقد نا ءت بها غربة النوى نوى خيتعور لا تشط ديارك[3]

أي أبعدتها النوى التى تقذف فى كل مكان بعيد.

وأنشد أبو عبيدة:

وشط ولى النوى إن النوى قذف تياحة غربةِ بالدار أحيانا[4]

أي النوى تقذف فى مكان بعيد.

---

(١) شرح ديوان جميل بثينة، ص٤٤.
(٢) ديوان كثير عزة، ص ١٨٢.
(٣) لسان العرب ٢٠/١٧١.
(٤) لسان العرب ٢٠/٢٩٣.

وقال السموأل، أو ورقة بن نوفل:

رحلت قتيلة عيرها قبل الضحا   وإخال أن شحطت بجارتك النوى[1]

أي أبعدت النوى جارتك قتيلة.

وقال أبو نواس:

خف مـن المربـد القطيـن   وأقلقتهـم نـوى شطـون[2]

أى أبعدتهم نوى مبعدة.

وقال النابغة الذبيانى

أتـاركـة تـدللهـا قطـام   وضنا بالتحيـة والكـلام

فإن كان الدلال فلا تلجى   وإن كان الـوداع فبالسـلام

فلو كانت غداة البين منت   وقد رفعوا الخدور على الخيـام

صفحت بنظرة فرأيت منها   تحيت الخدر واضعة القـرام

فدعْها عنك إذ شطت نواها   ولجت من بعادك فى غرام[3]

أى بعدت فى مذهبها، وجهتها التى نوتها.

---

(١) الأغانى ١١٨/٣.

(٢) ديوان أبى نواس، ص ٢٥٦.

(٣) ديوان النابغة الذبيانى، ص١٣٠ - ١٣٣.

يقول: لا تترك تدللها قطام، وضنها بالسلام، فإن كان فعلك هذا تدللا، وتجفيا فكفى=

وقال امرؤ القيس:

صرمتك بعد تواصل دعد ... وبدا لوعد بعض ما يبدو

طال المطال وليس حين تقاطع ... لاه ابن عمك والنوى تعدو

وزعمت أني قد كبرت وإنما ... تلك المكاذب ليس لى عهد

إن تصرمى يا دعد أو تبدلى ... غيرى فليس لمخلف وعد[1]

أى والبعد يظلم بشدة بعاده.

= منه، ولا تلجى فيه، وإن كان سببا للفراق والتوديع فودعينا بسلام، أى بتسليم منك علينا، أو تحية تتعبّننا بها، الخدور: كل ما تخدرت فيه، فاستترت به، والخيام هنا الهوادج، وهى من خشب، صفحت بنظرة: أى نظرت والتفت، يقول: لو منت على بالوداع غداة البين لنظرت إليها، ومتعت نفسى بها، القرام: الستر الرقيق، شطت نواها: بعدت، نواها: مذهبها وجهتها التى نوتها، لجت: تمادت، فى غرام: فى تعذيب لها، أى فيما يكون عليك منها عذابا، والغرام: أشد العذاب.

(١) ديوان امرئ القيس، ص٢٣٠.

صرمتك: قطعتك، وبدا: بمعنى عرض لها، ثم يقول فى البيت الثانى وليس هذا المطل بحين ووقت تكون فيه القطيعة، ولم يكن منى ما يوجب ذلك، والنوى: النية والجهة التى يقصدونها، تعدو: أى تظلم، لاه ابن عمك: لله ابن عمك.

وقال عمرو بن الأهتم يأسف لرحلة صديقته عنه، ويصف خيالها، وطروقه فى النوم:

ألا طرقت أسماه وهى طروق ... وبانت على أن الخيال يشوق
بحاجة محزون كأن فؤاده ... جناح وهى عظماه فهو خفوق
وهان على أسماء أن شطت النوى ... يحن إليها واله ويتوق[1]

أى بعدت بها النية التى انتوتها فى سفرها ورحلتها.

وقال شبيب بن البرصاء:

ألم تر أن الحى فرق بينهم ... نوى يوم صحراء الغميم لجوج
نوى شطنتهم عن نوانا وهيجت ... لنا طربا إن الخطوب تهيج
فلم تذرف العينان حتى تحملت ... مع الصبح أحفاض لهم وحدوج[1]

---

(١) المفضليات ص١٢٥.
الطروق: الإتيان بالليل، يريد أن خيالها جاءه فشاقه، ثم يقول فى البيت الثانى بانت بحاجة محزون، أى مضت وحاجته عندها لم تقضها له، وهى: ضعف، أى يخفق فؤاده، كما يخفق الجناح، يضطرب ويتحرك، شطت: بعدت، النوى: النية التى ينوونها فى سفرهم، الواله: الذاهب العقل من شدة الوجد، يتوق: تتطلع نفسه إلى الشئ.

(٢) المفضليات ص١٧٠. النوى: النية التى ينوونها فى سفرهم، الغميم: موضع، اللجوج: المنقادة المتتابعة، شطنتهم: أخذت بهم على غير قصد، الطرب: خفة تلحق للفرح والجزع، وهو هنا للجزع، الأحفاض: جمع حفض، بفتحتين، وهو البعير الضعيف يحمل عليه الأمتعة والآنية، الحدوج: جمع حدج، بكسر فسكون، وهى مراكب النساء.

وحتى رأيت الحى تذرى عراصم يمانية تزهى الرغام دروج
فأصبح مسرور ببينك معجب وباك له عند الديار نشيج
فإن تك هند جنة حيل دونها فقد يعزف اليأس الفتى فيعيج[1]

يبكى فراق حبيبته. ويذكر النوى المبعدة التى تقذف بعيداً، والتى تأخذ على غير قصد.

وقال بشر بن أبى حازم:

عفت من سلمى رامة فكثيبها وشطت بها عنك النوى وشعوبها
وغيرها ما غير الناس قبلها فبانت وحاجات الفؤاد تصيبها
ألم يأتها أن الدموع نطافة لعين يوافى فى المنام حبيبها
تحدر ماء الغرب عن جرشية على جربة تعلو الديار غروبها
بغرب ومربوع وعود تقيمه محالة خطاف تصر ثقوبها[2]

أى بعدت بها عنه نية السفر، أو جهته، أو ناحيته.

---

(١) المرجع السابق، تذرى من ذرى، وأذرى: تطير العراص: جمع عرصة، وهى البقعة الواسعة بين الدور، الرغام، بالفتح: التراب اللين، تزهاه: تستخفه، الدروج من الرياح: السريعة المر، النشيج: مثل البكاء للصبى إذا ردد صوته فى صدره، ولم يخرجه، يعزف اليأس الفتى: يمنعه ويصرفه، يعيج: يقنع ويرضى.

(٢) المفضليات ص ٣٣٠.

عفت: درست، رامة: بلد، شطت: بعدت، النوى: نية السفر، الشعوب: جمع شعب، وهو القبيلة أو البلد الذى شعب إليه، أى ذهب، تصيبها: تريدها، نطافة: بكسر النون، سائلة،=

★★★

في الطرح كل مطرح قال الأخطل:

فقلت اجتنبني لا أبالك واطرح

ففي الأرض عني إذ تباعدت مطرح[1]

أي ابتعد، ففي الأرض إذ تباعدت مطارح بعيدة.

وقال الأخطل أيضاً:

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح

على أن للعينين في الصبح راحة يطرحهما طرفيهما كل مطرح[2]

أي بطرح العينين كل مطرح.

= وبفتح النون: مفسدة وقرح لكثرة دموعها، الجرشية: ناقة منسوبة إلى جرش، وهي أرض باليمن، وأهلها يستقون على الإبل، الجربة: المزرعة، الدبار: جمع دبرة، وهي القطعة من المزرعة، الغروب: جمع غرب، وهو الدلو الضخمة، شبه تحدر دموعه بتحدر ماء على جربة من غروب يستقى عليها، المربوع: حبل فتل على أربع قوى، العود: البعير المسن، أو المعترض المحور، والمحالة: البكرة، الخطاف: الحديد الذي في جانبيها.

(١) شرح ديوان الأخطل، ص٦٤٢.

(٢) ديوان أبي تمام ٢١٤/١ في هامش الصحيفة. أي إن الإنسان عند الصبح يشتغل بما يفتح عينيه عليه، فيخف عنه بعض الهم الذي يجثو على قلبه في الليل، لأن الليل إذا جاء خلا بكده.

* * *

فى سبب الطرح قال عروة بن الورد:

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا　　　من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلى عذرا أو ليبلغ حاجة　　　ومبلغ نفس عذرها مثل منجح(١)

يبرر طرح نفسه كل مطرح بأنه ذو عيال ومقتر من المال، إذ يطرح نفسه ليبلغ العذر بأنه سعى،أو ليبلغ حاجته، ومبلغ العذر مثل المنجح.

وقال آخر:

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى　　　وهم تعفاه معنى ركائبه

يبرر طرح الفتى بالحاجات التى تطرحه.

* * *

أما استظهاره على الأيام، قال البحترى:

صنت نفسي عما يدنس نفسى　　　وترفعت عن جدا كل جبس(١)

---

(١) البخلاء، ص١٩٢، الأمالى ٢/٢٣١.
(٢) لسان العرب ١٩/٣٤٠.
(١) ديوان البحترى ٢/١١٥٢ - ١١٥٣
الجدا: العطاء، الجبس: بكسر الجيم، الجبان واللئيم والفاسق والثقيل الروح.

وتماسكت حين زعزعنى الدهـ ... ر التماسا منه لتعسي ونكسي
بلغ من صبابة العيش عندى ... طففتها الأيـام تطفيف بخس
وبعيـد مـا بين وارد رفـه ... علـل شربـه ووارد خمس
وكأن الزمان أصبح محمـو ... لا هواه مع الأخس الأخس(١)

★★★

أجال: اللفظة تدل على الحركة والعمل، قال حاجب بن حبيب الأسدى:

هل أبلغنها بمثل الفحل ناجية ... عنس عذافرة بالرحـل مذعـان
كأنها واضح الأقـراب حلأه ... عن ماء ما وان رام بعد إمكان
فجال هاف كسفود الحديد لـه ... وسط الأماعز من نقع جنابان(٢)

جال: تدل على الحركة.

---

(١) المرجع السابق. النكس: انقلاب الرجل على رأسه، أو سقوطه كلما نهض، بلغ: جمع بلغة، وهى ما يتبلغ به فى العيش ولا يفضل منه شئ، الصبابة: البقية من الماء، التطفيف: النقص فى الوزن والتقدير، الرفة: طيب العيش ولينه، رفهت الإبل: وردت الماء متى شاءت، العلل: ورود الماء ثانية بعد الورود الأول الذى يسمى النهل،، الخمس: من أظماء الإبل، وهى أن ترعى ثلاثة أيام، وترد فى اليوم الرابع.

(٢) المفضليات ص٣٧٠. الناجية: السريعة، العنس: الناقة القوية الصلبة، العذافرة: الضخمة، المذعان: المطيعة المنقادة، الواضح: الأبيض. يصف حماراً وحشياً، الأقراب: جمع قرب، وهو الخاصرة، حلأه: منعه، ماوان: موضع، الرامى: الصائد، جال: جاء وذهب، الهافى: السريع. شبه بسفود الحديد فى النفاذ، الأماعز: أرض ذات حصى، النقع: الغبار: الجنابان: الجانبان، أراد أنه من شدة عدوه، ووقعه على الأرض يرتفع له غبار فى موضع لا يكون فيه غبار.

***

وقف: حبس، وجعل الشئ وقفا، قال كعب بن سعد

مع القدر الموقوف حتى يصيبنى   حمامى لو ان النفس غير عجول(١)

أى القدر المحبوس على من قدر عليه.

والحانوت: محل الخمار، قال الأعشى:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى   شاو مشل شلول شلشل شول(٢)

أى غدا إلى محل الخمار.

---

(١) الأصمعيات ص٧٤.

(٢) الشعر والشعراء ١/٧١، مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى وشرحها ص١٤٧، شرح بديع الزمان الهمذانى، ص١٩٦ - ١٩٧.

الشاوى: الذى شوى، الشلول: الخفيف، المشل: المطرد، الشلشل: الخفيف القليل، وكذلك الشول، والألفاظ متقاربة، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة، ويروى شاء من شأى يشأو إذا سبق أى سابق من سباق، وقيل: المشل: الخفيف السريع، ويرى شليل تصغير شلل بضمتين بمعنى المثل، يصف خادمه بغاية الخفة والسرعة فى الحاجة، وقيل: المشل: بكسر الميم وفتح الشين، المستحث والجيد السوق، وقيل: الذى يشل اللحم فى السفود، ويروى نشول: بفتح النون، وهو الذى يأخذ اللحم من القدر، والشلشل: الخفيف اليد فى العمل والمتحرك، والشول: بفتح فكسر: هو الذى يحمل الشئ، وقيل: هو المعنى بحاجته، ويروى شمل، وهو الطيب النفس والرائحة.

وقال الأخطل:

ولقد شربت الخمر فى حانوتها ولعبت بالقينات كل الملعب[(١)]

أى شرب الخمر فى محل الخمار.

وقال المتنخل:

يمشى بيننا حانوت خمر من الخرس الصراصرة القباط[(٢)]

أى صاحب حانوت خمر.

وقال أوس بن حجر:

كأن ريقتها بعد السرى اغتبقت

من ماء أصهب فى الحانوت نضاح[(٣)]

أى من ماء خمر فى الحانوت.

* * *

وقد يكون الحانوت للعطار، قال ابن الرومى:

---

(١) شرح ديوان الأخطل، ص٣٢٨، لسان العرب ٢/ ٣٣٠، مع تغيير فى الشطر الثانى.

(٢) ديوان الهذليين ٢/ ٢١.

(٣) ديوان أوس بن حجر، ص١٤.

كأنما نشرة أنفاسها تصدر عن حانوت عطار[1]

أى أنفاسها عطرة كأنها العطر الذى يصدر عن حانوت العطار.

★★★

المثابة: المرجع والمآب، قال معاوية بن مالك يفخر بتحمله العظائم:

وكنت إذا العظيمة أفظعتهم نهضت ولا أدب لها دبابا
بحمد الله ثم عطاء قوم يفكون الغنائم والرقابا
إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا
بكل مقلص عبل شواه إذا وضعت أعنتهن ثابا[2]

أى رجع هذا الفرس بجرى جديد، لقوته ونشاطه.

وقال عبد الله بن عنبسة يمدح الحرث بن شريك، ويصف فراره وهربه إلى عجوز اضطربت وقلقت، ولم تطعمه سوى الفصيد:

(١) ديوان ابن الرومى ١٠٣٦/٣.

(٢) المفضليات ص٣٥٩.

أفظعتهم: عظمت عليهم، الدباب والدبيب واحد، وهو المشى على هينة، يقول: قمت بها إذا ضعفوا عنها بقوة، ولم أضعف عن حملها فأدب بها ضعفا، وأراد بالسحاب الغيث الذى يكون منه النبات، المقلص: الطويل، أراد الفرس، شوى الفرس: قوائمه، الواحدة شواة، عبل الشوى: ضخمها فى اكتناز، ثاب: رجع، أى إذا وضعت أعنتهن عند التقصير منهن فى الجرى عند اللغوب والإعياء ثاب هذا الفرس عند ذلك بجرى جديد، للفضل الذى فيه.

فـآب إلـى عجـروفـة باهليـة   يـخـل عليها بالعشى بجـادهـا

حذنـة لمـا ثـابت الخيـل تدعـى   بمـرة لـم تمنـع وفـر رقـادهـا

تقـول لـه لمـا رأت خمـع رجلـه   أهذا رئيس القـوم راد وسـادهـا

رأت رجلا قد لاحـه الغـزو معلما   له أسرة فى المجد راس عمـادها

فباتت تعشيه الفصيد وأصبحت   يفزع من هول الجنان فـؤادها(١)

أى رجعت الخيل بأسير.

وقال امرؤ القيس يصف فرسا:

وخيـل كأسـراب القطـا قـد وزعتهـا

بـذى ميعـة ثبت الفـؤاد إذا جـرى(٢)

---

(١) المفضليات ص٣٨١.

فاب: أي الممدوح، عجروفة: عجوز، البجاد: الكساء، يخل: يدخل فيه الخلال، حذنة: اسم المرأة العجوز، ثابت بمرة: رجعت بأسير اسمه مرة، تدعى: تنسب، فر رقادها: خافت العجوز وأحست بالشر ففارقها النوم والهدوء، تقول له: تقول العجوز مقصرة بالممدوح ومزرية، الخمع: العرج، راد: قلق، دعا عليها بأن تبلى بما يقلقها، فلا تستقر على فراشها، لأنها ازدرته لما رأته يخمع، لاحه: غيره وأشحب لونه، المعلم: الجاعل لنفسه علما يعرف به فى الحرب، ولا يفعل ذلك إلا الشجاع، الراسى: الثابت، العماد: جمع عمود، أي بيته راس فى الكرم، تعشيه الفصيد: أى فصدت له جملا فأطعمته دم الفصيد، وكان قوم من العرب يفعلون ذلك فيعيرون به.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٣٣٣ - ٣٣٤

السرب: سرب القطا، وزعتها: كففتها، الميعة: النشاط.

طويل القرا نهد التليل مشذب

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

أشق شخيص طامح الطرف سابح

جواد إذا هيجته عاند الهوى

شديد اعتزام الشد يعطيك عفوه

إذا ابتل بعد الجهد من مائة طغى

إذا ثاب بعد الكبو مر كأنه

حفيف قطا من رابئ الصيد قد ضفا[١]

أى رجع بعد السقوط.

---

(١) المرجع السابق.

القرا: بفتح القاف، الظهر، النهد: المرتفع، التليل: العنق، المشذب: القصير الشعر، الشظا: عظيم فى يد الفرس، إذا تحرك ضعف عنه، العبل: الضخم، الشوى: القوائم، النسا: بفتح النون المشددة، عرق فى باطن الفخذ ينزل إلى الساقين إذا استرخى ضعفت رجلاه، الشنج: تقبض الجلد والأصابع، وفرس شنج النسا: متقبضه، وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه، الأشق: الطويل، الشخيص: الضامر، السابح: الذى يمد يديه فى الجرى، الجواد: السابق، الشد: العدو، عفوه: سيره من غير أن يقرع بسوط ولا غيره، ماؤه: عرقه، ثاب: رجع، الكبو: السقوط، الحفيف: الصوت، الرائى: الديدبان، وهو الذى يرقب، أى يحرس، ضفا: ارتفع.

* * *

أما قول الهمذاني: وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة فهو كقول طرفة بن العبد:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

فإن تبغنى فى حلقة القوم تلقنى وإن تقتنصنى فى الحوانيت تصطد

وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

نداماى بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد[1]

أى إنه إما أن يكون فى محفل القوم، أو فى بيت الخمار.

---

(١) شرح المعلقات السبع ص٤٥ - ٤٦.

التلاع: جمع تلعة: ما ارتفع من مسيل الماء، وانخفض من الجبال، أو قرار الأرض، الرفد: الإعانة، يقول: أنا لا أحل التلاع مخافة حلول الأضياف بى، أو غزو الأعداء إياى، ولكن أعين القوم إذا استعانوا بى إما فى قرى الأضياف، وإما فى قتال الأعداء، الحانوت: بيت الخمار، يقول: إن تطلبنى فى محفل القوم وجدتنى هناك، وإن تطلبنى فى بيوت الخمارين صدتنى هناك، يريد أنه يجمع بين الجد والهزل، المصمد: المقصود، أى إن اجتمع الحى للافتخار تلاقنى أنتمى وأعتزى إلى ذروة البيت الشريف، أى إلى أعلى الشرف، يريد أنه أوفاهم حظاً من الحسب، وأعلاهم سهماً من النسب، وصف الندامى بالبياض لإشراق ألوانهم، وتلألؤ غررهم فى الأندية والمقامات، إذ لم يلحقهم عار يعيرون به فتتغير ألوانهم، أو وصفهم بالبياض لنقائهم من العيوب، أو لاشتهارهم كالفرس الأغر، القينة: الجارية المغنية، المجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران، أو الثوب الذى أشبع صبغة، أو الثوب الذى يلى الجسد، يقول: نداماى أحرار كرام تتلألأ ألوانهم، وتشرق وجوههم، ومغنية تأتينا رواحا لابسة بردا أو ثوبا مصبوغاً بالزعفران، أو ثوبا مشبع الصبغ.

* * *

ورِفقَةٌ اتخذتها صحابة، قال أبو الأسود فى مثل هذا التعبير:

أريت امرأ كنت لم أبله　　أتانى فقال اتخذنى خليلا[1]

أى اتخذ منى صديقاً، وأخاً أى اجعلنى خليلك.

* * *

حاشيتا النهار: طرفاه، ومنه حاشيتا الثوب، طرفاه، وحواشى كل شئ، أطرافه، قال عبدة بن الطبيب:

ثم اصطبحت كميتا قرقفا أنفا　　من طيب الراح واللذات تعليل

صرفا مزاجا وأحيانا يعللنا　　شعر كمذهبة السمان محمول

تذرى حواشيه جيداء آنسة　　فى صوتها لسماع الشرب ترتيل

تغدو علينا تلهينا وتصفدها　　تلقى البرود عليها والسرابيل[2]

أى ترفع أطراف الشعر أو الصوت أو الغناء هذه المرأة.

---

(١) لسان العرب ٤/١٩، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص١٨٦.

(٢) المفضليات ص١٤٥.

الكميت: الخمر، سميت بها للونها، القرقف: التى تصيب شاربها رعدة، أنف: مستأنفة، يريد أنها لم يبزلها أحد قبله، ولم يشربها، صرفا مزاجا: نشربها صرفا لطيبها، وكأنها وإن كانت صرفا ممزوجة بالماء لسهولتها، يعللنا شعر: يلهينا غناء القيان به، السمان: وشى مقارب، مأخوذ من سم الإبرة، أو السمان: الأصباغ التى تزوق بها السقوف، محمول: يحمله الناس ويرونه لحسنه، حواشيه: أطرافه: تذريه: ترفعه من الذروة، أو تسقط حواشى =

* * *

تلقاء: ناحية، أو قبل، أو قبالة.

قال النابغة الذبيانى يعتذر للنعمان بن المنذر:

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى   وتلك التى تستك منها المسامع

مقالة أن قد قلت سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع

لعمرى وما عمرى على بهين   لقد نطقت بطلا على الأقارع[(١)]

أى من ناحيتك، أو قبلك.

=أغانيها تطريبا وترجيعا، الجيداء: الطويلة الجيد، الآنسة: المنبسطة المتحدثة، الشرب، بالفتح، الشاربون، نصفدها: تغطيها، البرود: جمع برد، السرابيل: الثياب.

(١) ديوان النابغة الذبيانى، ص٣٤.

تلك: أى الملامة التى أتتنى عنك أصمت مسامعى كراهة لسماعها، وتستك: تشتد وتضيق، فلا تسمع، والمسامع: الآذان، والسكك: ضيق الصماخ، مقالة: تبيين لقوله: أنك لمتنى، وذلك: أى وذلك القول رائع من تلقاء مثلك، أى يفزع من قبلك، ولم يرد أنه يروع من مثله خاصة، وإنما أراد أنه رائع منه، وممن هو مثله من أهل السلطان والقدرة، لعمرى: معناها البقاء، وإنما حلف بها، لأنها يمين كثرت فى الاستعمال، ولم يقصد أن يقسم ببقائه، البطل: بضم الباء وسكون الطاء، الباطل، وأراد بالأقارع بنى قريع بن عوف، وهم من بنى تميم، وكانوا قد وشوا به عند النعمان، وذكروا أنه يصف فى شعره المتجردة.

وقال النابغة الذبيانى أيضاً:

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبى
إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

وهبت الريح من تلقاء ذى أرل
تزجى مع الليل من صرادها صرما

صهب الظلال أتين التين عن عرض
يزجين غيما قليلاً ماؤه شبما

ينبئك ذو عرضهم عنى وعالمهم
وليس جاهل شئ مثل من علما[1]

تلقاء: أى قبالة.

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى، ص٦٢ - ٦٣.

يخاطب صاحبته سعاد، إذا الدخان تغشى: إذا اشتد الزمان، وقوى البرد فغشى الناس النار، فأحاط بهم الدخان، الأشمط: الذى بدا الشيب فى رأسه، وخصه لأنه أجرأ على البرد من الشاب، فيغشى النار، ولأنه أشد احتمالاً، وأجلد من الشاب، إذ كان قد جرب الأمور وذاق حلوها ومرها، وقيل: إذا قال الشاب كان أبلغ فى شدة الزمان، وبرد، البرم - بفتحتين - الذى لا يدخل فى الميسر إذا نحر القوم جزورا، بخلا منه ولؤما، أرل: جبل بأرض غطفان، بينها وبين عذرة، وإذا كانت الريح شمالاً كانت أشد الريح برداً، وأقلها خيراً، تلقاء: قبالة، تزجى: تسوق وتدفع، الصراد: سحاب بارد لا ماء فيه، بضم الصاد، وتشديد الراء، =

وقال البحترى:

الله جارك فى انطلاقك   تلقاء شامك أو عراقك[1]

أى ناحية، أو قبل.

★★★

وجر الجدال فينا ذيله، أى طال الجدل، وامتد، أو كاد أن ينزوى الجدال خجلاً، أو كاد الجدال أن يصيبه العجب حين نال منهم ما نال، أو حين كثر وزاد وفاض.

قال الشاعر:

أتته الخلافة منقادة   إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له   ولم يك يصلح إلا لها

أى بكل ما فيها، أو بطولها، أو بخجلها.

=الصرم: بكسر الصاد وفتح الراء، القطع من السحاب، صهب: قطع، ولا تكاد السحب تكون كذلك إلا عند هبوب الشمال، وأشد ما يكون البرد عند ذلك، التين: جبل مستطيل، وإذا كانت الريح شمالاً أتته من عرضه، أى جانبه، يزجين: بعضهن يزجى بعضا، أى يتدافعن ويتلو بعضهن بعضا، الشم: الماء البارد، أو تزجى: أى الرياح يزجين هذا الغيم، وأشد ما يكون البرد إذا كان غيم وريح، ذو عرضهم: أى الذى له فيهم عرض، وهو الكريم الذى يتقى الشتم.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص١١١.

وقال المرار بن منقذ:

لا تَمسُّ الأرض إلا دونها ... عن بلاط الأرض ثوب منعفر
تطأ الخز ولا تكرمه ... وتطيل الذيل منه وتجر
وترى الريط مواديع لها ... شعرا تلبسها بعد شعر
ثم تنهد على أنماطها ... مثل ما مال كثيب منقعر(١)

أي دلالة على العجب.

وقال آخر:

ولقد شربت الخمر حتى خلتني ... لما خرجت أجر فضل المئزر
قابوس أو عمرو بن هند قاعدا ... يجبى له ما بين دارة قيصر
في فتية بيض الوجوه خضارم ... عند الندام عشيرهم لم يخسر(٢)

---

(١) المفضليات ص٩١ - ٩٢.
الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة كلها نسيج واحد، مواديع: جمع ميدع، بكسر الميم، وهو الثوب يصان به الثوب والمباذل، شعر، بضم الشين والعين، جمع شعار، وهو الثوب يلي الجسد، والمراد أنها في مباذلها تلبس نفيس الثياب لا تصونها، وتبذلها ثوباً بعد ثوب، تنهد: كأنها تنكسر، الأنماط: ضرب من البسط، الكثيب: التل من الرمل، منقعر: منقطع، كما تنقطع النخلة.
(٢) البيان والتبيين ٣/٢٨٥ - ٢٨٦.

* * *

يقول الراوية عيسى بن هشام للبطل أبى الفتح الإسكندرى: فما تقول فى جرير والفرزدق؟ وأيهما أسبق؟

قال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القصيد ومرة لجرير

ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى اللها ببيانه المشهور

كل الثلاثة قد أبر بمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير(١)

* * *

تاح: أي تهيأ وتيسر.

قال الحرث بن حلزة:

ياأيها المزمع ثم انثنى لا يثنيك الحازى ولا الشاحج

ولا قعيد أعضب قرنه هاج له من مرتع هائج(٢)

---

(١) طبقات الشعراء، ص ٤٦.

اللها: العطاء.

(٢) البيان والتبيين ٣/٢٥٤

الحازى: الكاهن الذى يزجر الطير، الشاحج: الغراب.

القعيد الأعضب: الظبى المكسور القرن الذى يأتى من الخلف.

بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالج
يترك ما رفح من عيشه يعيث فيه همج هامج[1]

أي تهيأ أو تيسر.

***

وأعرض عنا فراح، أعرض: ولى، أو أبدى عرضه.

قال زهير بن أبى سلمى:

وأبيض فياض يداه غمامة على معتضيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فوجدته قعودا لديه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه وأعيا فما يدرين أين مخاتله
فأعرضن منه عن كريم مرزئ جموع على الأمر الذى هو فاعله
أخى ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
وذى نسب ناء بعيد وصلته بمال وما يدرى بأنك واصله[2]

---

(١) المرجع السابق، ما رفح: ما أصلح، همج هامج: رعاع أو شاب.
(٢) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى، ص١٣٩ -
الأبيض: يريد به النقى من العيب، والعرب إذا وصفوا بالبياض لا يريدون به بياض اللون، وإنما يريدون المدح بالكرم، ونقاء العرض من الدنس والعيوب، يداه غمامة: تمطر يداه=

أعرضن: أي ولين.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

بأحسن منها حين قامت فأعرضت   توارى الدمع حين جد انهمارها[1]

* * *

يقول الراوية: فجعلت أنفيه وأثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتني عليه تناياه، فقد حار بين معرفته وإنكاره، ونفيه وإثباته.

= بالإعطاء كما تمطر الغمامة. فواضله: يريد خصالا فاضلة، أو عطاياه لأنها تفضل كل عطاء، أو النعم الجسيمة أو الجميلة، ولازم الخصال الفاضلة السخاء والفضل. فياض: سخي: المعتفون: الذين يأتونه يطلبون ما عنده، ما تغب: أي عطاؤه كل يوم، أي إنها دائمة لا تنقطع، لا تكون غابة، أو لا تأتي يوماً وتترك يوما، أو ما تتأخر. الصريم: جمع صريمة، وهي القطعة من الرمل تنقطع من معظمه. عواذله: يعذلنه على إنفاق ماله. وقيل: الصريم: الليل، وقيل: النهار، ينصرم كل منهما من الآخر، وقيل الصريم الصبح، وهو أشبه بالمعنى، لأنه يسكر العشي، فإذا أصبح وقد صحا من سكره لمنه، يفدينه: يقلن له: فديناك بأنفسنا وآبائنا وأمهاتنا ليستنزلنه بذلك حتى يقبل عذلهن، ولكنه أعياهن فما يدرين كيف يخدعنه، أي أين الأمر الذي يختلنه فيه. أعرضن: ولين. مرزأ: يصاب منه الخير ويرزر أماله. جموع على الأمر: أي ماض عليه مجمع الرأي، إذا هم بأمر لم يتردد، ولم يساوره شك، وإذا قدر فعل أمر عزم عليه، وأمضاه، ولم يرد عنه. أخو ثقة: أي يوثق بما عنده من الخير لما علم من جوده وكرمه. نائله: عطاؤه. ثم يقول: هو مسرور بمن سأله مستبشر به، كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى، ولم يرد أنه حريص على الأخذ مستبشر به، ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة النفس للأخذ، وكراهيتها للإعطاء. متهللا: مستبشراً. ثم يقول: إنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته، فكان هو سبب ذلك الوصل، وهم لا يعرفون ذلك، وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معروفه، وسعة إفضاله، حتى يغنى من سأله. فيتفضل سائلوه على غيرهم، لغناهم وكثرة ما عندهم.

(١) لسان العرب ٩/ ٣٠.

قال أبو المثلم:

متَى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث(١)

أى عندما تنكرونها، تتذكرونها فتعرفونها، فلن يبق الإنكار، وستحل محله المعرفة.

وقال الحارث بن خالد المخزومى:

إنى وما نحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل

لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلها يعلو

فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإقواء والمحل

لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لأهلها قبل(٢)

أى يعرف الدار لو بدلت أعلى منازلها سفلا، وأسفل منازلها علوا.

وقال امرؤ القيس:

لمن طلل درست آية وغيره سالف الأحرس

تنكره العين من حادث ويعرفه شغف الأنفس(٣)

تنكره العين، وتعرفه النفس بشغفها.

---

(١) ديوان الهذليين ٢/٢٢٤، لسان العرب ٢٠/٣٦٥.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٥.

العقل: بضم العين وسكون القاف: جمع عقال، الإقواء: خلاء الديار، المحل: الجدب.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٧، الأحرس: الدهر.

وقال طريح بن إسماعيل الثقفى:

تستخبر الدمن القفار ولم تكن لترد أخبارا على مستخبر

فظللت تحكم بين قلب عارف مغنى أحبته وطرف منكر

أى قلبه يعرف منازل أحبته، وعينه تنكرها.

وقال الحسن بن وهب:

أبليت جسمى من بعد جدته فما تكاد العيون تبصره

كأنه رسم منزل خلق تعرفه العين ثم تنكره

تحار العين بين معرفته وإنكاره.

وقال يحيى بن منصور الذهلى:

أما يستفيق القلب إلا انبرى له تذكر طيف من سعاد ومربع

أخادع عن عرفانه العين إنه متى تعرف الأطلال عينى تدمع

يخادع عينه عن معرفة الأطلال، حتى لا تدمع العين عند رؤية الأطلال.

وقال آخر:

هى الدار التى تعـ رف لم لا تعرف الدارا

تـــرى منهـا لأحبا بـك أعلامـا وآثـارا
فيبدى القلب عرفانا وتبدى العين إنكـارا[١]

أى يظهر القلب المعرفة، وتبدى العين الإنكار.

وقال أبو نواس:

ألا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم
تغص بـه عينـى ويلفظـه وهمـى
أتت صـور الأشيـاء بينى وبينـه
فظنى كـلا ظـن وعلمـى كـلا علـم[٢]

ظنه كلا ظن وعلمه كلا علم، لأنه امترى فى رسم تضيق به عينه، ويرفضه وهمه، وقد تغيرت صور الأشياء، فوقفت حائلاً بينه وبين الصور الجميلة التى كان يرى هذا الرسم عليه.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٧.
(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ص٢٨٧.

* * *

الخشف: ولد الظبية.

قال تأبط شرا:

إنى إذا خلة ضننت بنائلها　　وأمسكت بضعيف الوصل أحذاق
نجوت منها نجائى من بجيلة إذ　　ألقيت ليلة خبت الرهط أرواقى
ليلة صاحوا وأغروابى سراعهم　　بالعيكتين لدى معدى ابن براق
كأنما حثحثوا حصا قوادمه　　أو أم خشف بذى شث وطباق
لا شئ أسرع منى ليس ذا عذر　　وذا جناح بجنب الريد خفاق
حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى　　بواله من قبيض الشد غيداق
ولا أقول إذا ما خلة صرمت　　يا ويح نفسى من شوق وإشفاق[1]

يصف سرعته بسرعة الظليم، وهو ذكر النعام، وسرعة الظبية.

---

(١) المفضليات ص٢٨، الروائع من الأدب العربى، ١/ ٤٤٤ - ٤٤٦.
الخلة: الصداقة، وتقال للصديق، وللمذكر والمؤنث، والواحد والجمع، وأنث الضمائر من أجل اللفظ، النائل: ما ينال، بضعيف الوصل: بحبل ضعيف، أحذاق: متقطع، بجيلة: القبيلة التى أسرته، الخبت: اللين من الأرض، الرهط: موضع ألقيت أوراقى: استفرغت مجهودى فى العدو، يقول: إذا ضن عنى صديقى بنائله، وكان وصاله ضعيفا أحذاقا، خليته ونجوت منه كنجائى من بجيلة، العيكتان: موضع، معدى: مصدر ميمى، أو اسم مكان =

وقال الحارثى من قصيدة يرثى بها قرضها على روى قصيدة متمم بن تويرة التى يرثى بها أخاه مالكا، ويصور الجزع عليه كجذع أم خشف على خشفها حين أكله الذئب أو السبع.

يقول الحارثى فى وصف الخشف:

فما أم خشف أودعته قرارة   من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

خليس كلون الأيهقان ابن ليلة   أمر قواه أن ينوء فيركعا

ويهتز فى الممشى القريب كأنه   قضيب من البان التوى فترعرعا[1]

=من عدا يعدو، ابن براق: هو عمرو، وهو والشنفرى صديقاً تأبط شرا،وكانا معه ليله انفلاته من بجيلة، وهو هنا يذكر حادث هربه من بجيلة، حين أرصدوا له كمينا على ماء، فأخذوه، وكتفوه بوتر، ثم دبر حيلة بارعة هو وعمرو بن براق، والشنفرى، تمكن بها الثلاثة من النجاء عدواً على الأقدام، وفيها تصوير جيد لقوة جريه، وشدة عدوه، حثحثوا: حركوا، من الحث، القوادم: فاولى الرأس من ريش الجناح، الحص: جمع أحص،وهو ما تناثر ريشه وتكسر، يشير بذلك إلى الظليم، وهو ذكر النعام، الخشف: ولد الظبية، الشث والطباق: نبتان طيبا المرعى، يضمران راعيبهما، ويشدان لحمهما، أى كأنما حركوا بحركتهم إياى ظليما، أو ظبية، والنعام والظباء مضرب المثل فى سرعة العدو، لعذر: جمع عذرة،وهى ما أقبل من شعر الناصية على وجه الفرس،الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل،يقول: لا شئ أسرع منى إلا الفرس،وإلا الطائر الجارح الذى يأوى إلى الجبل، إذ هو أسرع طيرانا من جارح السهل، السلب: ما يسلب فى الحرب، الواله: الذاهب العقل، الشد القبيض: الجرى السريع، الغيداق: الكبير الواسع، من الغدق، وهو المطر الكثير، يريد أنه نجا من بجيلة مسرعاً كالواله، فيكون قد جرد من نفسه شخصا كاد يذهب عقله من سرعة الهرب، والطلب وراءه، صرمت: قطعت.

(١) طبقات الشعراء ص٢٧٧.

الخليس: الأحمر، أو الذى خالط بياضه سواد، الأيهقان: عشب يطول، وله وردة حمراء، أمر قواه: أى أقوى قواه، ترعرع: تحرك.

فظلت بمستن الصبا من أمامه   تنعم فى المرعى إليه ليسمعا

إذا أغفلت نادت وإن ناب نبأة   على سمعها تذكر طلاها فتربعا[1]

أم خشف أى أم الظبى.

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

شبه أدماء مغزل ضل عنها   خشفها فانتحت مكانا سهويا[2]

خشفها: ولدها، أى ولد الظبية.

وقال كثير بن عبد الرحمن:

وما أم خشف ترعى به   أراكا عميما ودوحا ظليلا[3]

أى الظبية أم الظبى.

وقال ذو الرمة:

كأن عرى المرجان منها تعلقت   على أم خشف من ظباء المشاقر[4]

أى على ظبية أم ولد، من ظباء المشاقر.

---

(١) المرجع السابق.

مستن الصبا: موضع جريها، ناب: مقلوب نبأ، بمعنى صوت صوتاً خفيفاً، النبأة: الصوت ليس بالشديد، الطلى: ولد الظبى، تربع: تتوقف.

(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ١٠٨.

(٣) ديوان كثير عزة، ص ٣٩١.   (٤) لسان العرب ١٨/١٩١.

* * *

والتَّصوير بالخشف ورد في الشعر القديم كثيراً.

قال امرؤ القيس في وصف الفرس والربئ.

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق

بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا كذئب الغضى يمشى الضراء ويتقى

فظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائره مثل التراب المدقق

وجاء خفيا يسفن الأرض بطنه ترى الترب منه لاصقا كل ملصق

فقال ألا هذا صوار وعانة وخيط نعام يرتعى متفرق[1]

يصور الربيئة بالخشف، وهو ولد الظبية.

---

(١) ديوان امرئ القيس، ص١٧٢.

قبل العطاس: يعنى قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، الهيكل: الفرس الضخم المرتفع، شبهه بهيكل النصارى، وهو أكبر بيت لهم، شديد مشك الجنب: يعنى شديد مغرز الجنب فى الصلب، فعم المنطق: ممتلئ الجوف، الربئ والربيئة: الذى يربأ للقوم، أى ينظر الصيد من مكان مرتفع، مخملا: يعنى يخمل نفسه، أى يسترها ويخفيها، العضى: شجر، وأخبث الذئاب ما كان منشؤه ومأواه الغضى، يمشى الضراء: هى مشية فيها اختيال وتبختر، استتارا من الصيد، ويتقى أن يراه، كمثل الخشف: هو ولد الظبية، يصور الربئ، يرفع رأسه: ينظر هل يرى شيئاً، وسائره مثل التراب: قد لصق بالأرض، يعنى أنه يخفى شخصه من الصيد لئلا ينفر، يسفن: أى يمسح الأرض ببطنه، يعنى يزحف زحفا، الصوار والصيار: القطيع من البقر، العانة من الحمر: الجماعة، وكذلك الخيط من النعام.

وقال المعلى الطائى فى وصف مغنية:

إذا سمعت أذناي منطق عودها | وأفصحت الأوتار عنها بما تخفى
وغنت كصوت الصنج تحت لهاتها | تجاوبه النايات فى نغم الأنف
فيجمع بين الرجز والشج حذقها | وتسكت من غنج على مقطع الحرف
موردة الخديين مهضومة الحشا | معقربة الصدغين فاترة الطرف
تقمص أثواب الرجال تمرداً | وتأنف من لبس القلادة والشنف
كأن قضيب البان يهتز فى الثرى | تأود متنيها على الخصر والردف
لهاتيه معشوف وذلة عاشق | وفطنة جماش وناظرتا خشف
وإقدام ليث وانخذال مؤنث | وقسوة شار حين حكم فى الزحف
أراها بعين ثم أمضى بحسرة | كأن فؤادى فوق نار من الرضف
تقدمنى رجلى إلى البعد والهوى | يحول وجهى بالتفات إلى الخلف[1]

يصور ناظرتيها بناظرتى ولد الظبية، لشهرتها بجمال العينين.

(١) طبقات الشعراء ص٣٢٤
الشنف: ما علق فى الأذن

وقال أبو نواس:

نَظرت بعينى جؤذر خرق   وتلفتت بسوالف الخشف[1]

يصور عينيها بعينى الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، ثم يصورها كذلك بالخشف، وهو ولد الظبية.

وقال أبو نواس أيضاً:

إن فى المكتب خشفا   جعلت نفسى فداه[2]

يصور الفتاة بولد الظبية فى جمال العينين.

وقال أبو نواس أيضاً:

إنما العيش يا أخى   حب خشف من العرب[3]

أى فتاة من العرب كولد الظبية.

وقال أبو ذؤيب الهذلى:

فما أم خشف بالعلاية شادن   تنوش البرير حيث اهتصارها

مولعة بالطرتين دنا لها   جنى أيكة يضفو عليها قصارها

---

(١) ديوان أبى نواس، ص٦٦.
(٢) ديوان أبى نواس، ص٣٣١.
(٣) ديوان أبى نواس، ص٧١٤.

به أبلت شهرى ربيع كليهما فقد صار فيها نسؤها واقترارها

وسود ماء المرء فاها فلونه كلون النوور فهى أدماء سارها

بأحسن منها يوم قامت فأعرضت

توارى الدموع حين جد انحدارها(١)

يعقد مقارنة بين صاحبته والظبية أم الخشف.

وقال أبو ذؤيب الهذلى أيضاً:

وما أم خشف بالعلاية ترتمى وترمق أحيانا مخاتلة الحبل

بأحسن منها يوم قالت كليمة أتصرم حبلى أم تدوم على الوصل(٢)

يعقد مقارنة بين صاحبته والظبية أم الخشف.

وقال أبو ذؤيب الهذلى أيضاً:

كأن ابنة السهمى يوم لقيتها موشحة بالطرتين هميج

بأسفل ذات الدير أفرد خشفها فقد ولهت يومين فهى خلوج(٣)

يصف صاحبته بالظبية، وابنها بالخشف.

---

(١) ديوان الهذليين ٣٣/١ - ٣٤.

(٢) ديوان الهذليين ٣٦/١.

(٣) ديوان الهذليين ٥٩/١ - ٦٠.

* * *

- الجلف: بكسر الجيم، جلد الشاة والبعير، فكأن المعنى أنه أعرابى ببدويته وجفائه، أعرابى جلف، أى هو أعرابى بجلده، ولم يتزى بزى أهل الحضر وأخلاقهم، فيكون قد نزع جلده الذى جاء فيه ولبس غيره، كقولهم: هذا كلام العرب بغباره، أى لم يتغير من جهته.

وقيل: أصله من أجلاف الشاة المسلوخة بلا قوائم، ولا رأس، ولا بطن، فكأنه جسم فقط، أى ليس يفهم ما يراد منه. وقيل: جلف كل شئ: قشره، فكأن المعنى فيه أنه متزى بزى العرب متشبه بهم، وليس منهم، والأول أصح فى المعنى(١).

وفى الوصف بالجلف قال عيسى بن فاتك يتحدث عن بناته:

وأن يضطرهن الدهر بعدى ... إلى جلف من الأعمام جاف(٢)

جعل أعمامهن أجلافا جافين.

وقال على بن الخليل:

فصار تشبها بالقو ... م جلفا جافيا جشبا(٣)

جعله جلفا جافيا خشنا.

---

(١) الفاخر ص٨٠. (٢) الوحشيات ص٩٠.
(٣) مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ص١٦٩/٥.

وقال أبو نواس:

ومن عجب لعشقهم الـ جفاة الجلف والصحرا[1]

فجعلهم جفاة جلفا.

وقال عمرو الهذلى:

فلا تتمننى وتمن جلفا جراهمة هجفا كالخيال[2]

جعله جلفا غليظاً خشنا.

وقال المرار:

ولم أجلف ولم يقصرن عنى ولكن قد أنى لى أن أربعا[3]

أى لم أصر جلفا جافيا.

* * *

وقال ثعلب: الجلف: ذكر النخل الذى يلقح منه، ويقال له الفحال ولعل معنى الجلف من هذا المعنى، لأنه يدل على البداوة، وعدم التغير.

---

(١) ديوان أبى نواس ص٥٥٨.
(٢) لسان العرب ١٤/٢٦٤.
(٣) لسان العرب ١٠/٣٧٥ - ٣٧٦.

* * *

- على إثره، أى خلفه.

قالت الخنساء:

مضى وسنمضى على إثره كذاك لكل فتى مصرع[1]

أى سنمضى خلفه.

وقال جميل بثينة:

رحل الخليط جمالهم بسواد وحدا على إثر الحبيبة حادى[2]

أى حدا خلفها.

وقال كعب بن زهير:

وبعد ليال قد خلون وأشهر على إثر حول قد تجرم كامل[3]

أى خلف حول، أو بعد حول.

وقال أبو ذؤيب الهذلى:

على إثر أخرى قبلها قد أتت لها إليك فجاءت مقشعرا شواتها[4]

---

(١) شرح ديوان الخنساء ص٩٥. (٢) شرح ديوان جميل بثينة ص٢٤.
(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص٨٩.
(٤) لسان العرب ١٧٨/١٩.

أى خلف أخرى.

وقال النّابغة الذبيانى يمدح النعمان بن الحارث الأصغر، وكان قد خرج فى غزو له:

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معدا ملكها وربيعها
ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد وتلك المنى لو أننا نستطيعها
وإن يهلك النعمان تعرمطيه وتلف إلى جنب الفناء قطوعها
وتنحط حصان آخر الليل نحطة تقضنقض منها أو تكاد ضلوعها
على إثر خير الناس إن كان هالكا
وإن كان فى جنب الفراش ضجيعها(١)

أى خلف خير الناس بعد هلاكه، يقصد النعمان.

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى ص١٠٧ - ١٠٨.

الابتهاج: المسرة، ويأت معدا ملكها: أى يرجع إليها ملكها الذى كان لها بهذا الممدوح، ويروى بفتح الميم، لأنه كان مالكا لهم ولغيرهم، ولم يكن منهم، فيكون الملك لهم، ربيعها: خصبها وصلاح حالها، غسان: قبيلة الممدوح، السؤدد: الشرف، تلك المنى: أى رجعة النعمان هى المنى لو أستطيعها، تعرمطيه: يريد إن هلك النعمان ترك الوفاد والوفد، وحطوا رحالهم عن مطيهم، وألقوها إلى جنب أفنيتهم، لاستغنائهم عنها، القطوع: بضم القاف، أداة الرحل، كالطنافس ونحوها، تنخط حصان: أى تزفر حزنا لفقده، وتذكر المعروفه وفضله، تقضقض منها: أى تزفر حتى تكاد ضلوعها تكسر من شدة الزفير، والتقضقض التكسر، الحصان: المرأة العفيفة، أو ذات الزوج، وخص آخر الليل لأنه وقت هبوبها من نومها، فعند ذلك=

* * *

- ويقال: فى إثره أيضاً.

قال صخر الغى:

كأن إرنانها إذا ردمت ... هزم بغاة فى إثر ما فقدوا(1)

أى خلف ما فقدوا.

* * *

- ويقال أيضاً إثره.

قال أبو ذؤيب الهذلى:

وإن دموعى إثره لكثيره ... لو ان الدموع والبكاء يريح(2)

أى خلفه، أو بعده.

وقال أبو جندب:

تخذت غراز إثرهم دليلا ... وفروا فى الحجاز ليعجزونى(3)

أى خلفهم.

=تتذكره، وتزفر من أجله، وأيضاً فإنه وقت يرغب فيه العدو الغارة، فتتذكر النعمان لذبه عنها، ونصره لها، على إثر خير الناس: أى تنحط هذه الحصان خلف النعمان بعد موته، وإن كان معها زوجها، فهى تبكيه وتذكر أياديه ومعروفه.

(1) ديوان الهذليين ٢/ ٦٠.

(2) ديوان الهذليين ١/ ١١٤.

(3) ديوان الهذليين ٣/ ٩٠.

الفصل التاسع

المقامة الغيلانية
تحليل ونقد

المقامة الغيلانية

حدثنى عيسى بن هشام قال: بينا نحن بجرجان[1] فى مجتمع لنا نتحدث ومعنا يومئذ رجل العرب حفظا ورواية وهو عصمة بن بدر الفرازى فأفضى بنا الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلما. ومن أعرض عن خصمه احتقاراً. حتى ذكرنا الصلتان العبدى والبعيث وما كان من احتقار جرير والفرزق لهما. فقال عصمة: سأحدثكم بما شاهدته عيسى ولا أحدثكم عن غيرى. بينما أنا أسير فى بلاد تميم مرتحلاً نجيبة. وقائداً جنيبة. عَنَّ لى راكب على أورق جعد اللغام فحاذانى حتى إذا صك الشبح بالشبح رفع صوته بالسلام عليك. فقلت:

---

(١) مقامات أبى الفضل وشرحها ص٣٥ - ٤٠.

قال الأستاذ الأمام: جرجان مدينة من مدن بلاد خوارزم

الصلتان بتحريك اللام اسم لجملة من الشعراء منهم العبدى هذا وآخر ضبي وثالث فهمى والبعيث بفتح الباء وكسر العين مثال فعيل وهؤلاء الذين يذكرهم جميعهم من شعراء الدولة الأموية مشاهير.

ناقة نجيبة أى كريمة. والجنيبة ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تركب إذا تعبت إحداهما ركبت الأخرى. والمذكر منه جنيب والأنثى جنيبة.

عن لى أى ظهر لى. والأورق من الإبل الآدم أو ما فى لونه بياض وسواد قالوا: وهو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً و عملاً. واللغام زبد الجمل يقذفه من فيه وجعد اللغام متراكمه وهو صفة الاورق.

الشبح الشخص كانهما تقابلا حتى تلاطما وصك شخص أحدهما شخص الآخر. وفى نسخة: فاجتاز بى رافعاً بالسلام فقلت من الراكب الخ. وهى أدنى إلى الصواب من هذه النسخة لأن المار بسرعة قد يسكت عن السلام حتى يجوز فيسلم. ولا يصح للمقبل عليك أن يسكت حتى يلطمك بنفسه ثم يسلم. =

صنيعه فوليت ظهري الأرض. وعيناي لا يملكهما غمض. فنظرت غير بعيد إلى ناقة كوماء قد ضحيت وغبيطها ملقى. وإذا رجل قائم يكلأها كأنه عسيف أو أسيف فلهيت عنهما. وما أنا والسؤال عما لا يعنيني. ونام ذو الرمة غراراً. ثم انتبه. وكان ذلك في أيام مهاجاته لذلك المرى فرفع عقيرته. وأنشد يقول:

أمن مية الطلل الدارس ... ألظ به العاصف الرامس

فلم يبق إلا شجيج القزال ... ومستوقد ما له قابس

= كوماء أي عظيمة السنام. وضحيت من ضحى يضحى ضحاً إذا أصابته الشمس أو ضحى يضحى ضحاء إذا انكشف بعد ستر وهذا الثاني هو الأظهر لقوله فيما بعد وغبيطها ملقى أي ناقة عظيمة السنام قد انكشفت من غبيطها وهو ملقى على الأرض. والغبيط مركب مخصوص يتخذ لراكب الإبل وقالوا: هو الرحل يشد عليه الهودج أو هو مركب يشبه اكف النجاتي أو رحل قتبه واحناؤه واحدة. والقتب من الإكاف ما كان على قدر سنام البعير.

يكلأه أي يحفظه. والعسيف الأجير. والأسيف العبد ويستعمل كل مكان الآخر في جل معانيه.

لهيت كرضيت أي تركتهما واعرضت عنهما. وقوله: وما أنا والسؤال أي لست في شئ من السؤال عما لا يعنيني وأصله استفهام عما يجمعه والسؤال على سبيل الإنكار أي لا تجمعني والسؤال عما لا يعنيني جامعة وجود.

ذو الرمة غيلان بن عقبة، ونام غراراً أي قليلاً.

مهجوه من بني مرة ابن حجر.

رفع عقيرته أي صاح واصله ان تعقر الرجل فيرفعها الرجل ويصيح من الالم ثم غلب في الصياح مطلقاً.

رأى طللا أي شاخصاً من آثار ديار فكأنه لم يدر من شدة الوله هل هذا الطلل من آثار مية محبوبته فاستفهم عنه. والدارس العافي المضمحل. وألظ به أي لازمه. والعاصف الريح الشديدة. والرامس من رمس الشئ إذا غطاه ودفنه. أي لازمته الريح حتى دفنته وغطته بما تجلب من الإترية.

شجيج فعيل من شج بمعنى مفعول أي مشجوج مكسور. والقذال ما اكتنف فأس القفا=

وحوض تثلم من جانبيه ومحتفل دارس طامس
وعهدى به وبه سكنة وميـة والإنس والآنس .
كأنى بمية مستنفر غزالاً تراءى له عاطس
إذا جئتها ردنى عابس رقيب عليها لها حارس

= عن اليمين والشمال.فالمراد من شجيج القذال مكسور الرأس.وقصد به هنا الوتد الذى كانت تربط فيه الأطناب أو تقيد إليه الدواب فبعد خلو المكان من السكان بقيت الأوتاد المكسرة الرؤوس من الدق ايام كانوا يستعملونها .وقوله ومستوقد معطوف على شجيج القذال.والمستوقد على صيغة اسم المفعول مكان اشتعال النار. والقابس من قبس إذا أخذ من النار شعلة. كنى بنفيه عن عدم وجود النار فيه لأنه إذا لم يكن فيه نار لم يكن منها قابس بالضرورة.

الحوض كانت إبل أهل الحى تشرب منه فلما خلا منهم تثلم من جانبيه أى تهدم لعدم من يتعهده بالمحافظة والإصلاح. والمحتفل مكان الاحتفال أى الاجتماع فهو بفتح الفاء أى منتدى دارس عاف وفى نسخة: دائر بمعناه. طامس من طمس الشئ أى انمحى وذهب أثره.

عهدى به أى علمى متعلق به والضمير إلى (الطلل الذى هو مجموع تلك الآثار التى عددها وقد يرجع إلى المحتفل: يريد إنى أعلم هذا المكان فى حال كان به سكنه بتسكين الكاف أى ساكنوه فهو جمع ساكن كصاحب وصحب أو هو اسم جمع له. ومية معطوف على سكنه وهى منهم خصصها لامتيازها من بينهم عنده لما شغف حبها قلبه. والإنس بكسر الهمزة الأليف وهو مية كرر ذكرها بلفظ آخر. والآنس ما يسكن قلبه إليك ضد المستوحش وهو هى أيضاً. وقد يراد بالأليف والآنس أخلاء آخرون كانوا له بحى مية. ويصح ان تقرأ الأنس بضم الهمزة ضد الوحشة والموضع إذا كان فيه ساكنوه كان فيه الأنس وارتفعت الوحشة وكان فيه الآنسون وهم من يسكن بعضهم إلى بعض.

كأنه مع مية أى نسبته إليها كنسبة المستنفر للغزال. فكما أن مستنفره أى منفره لا يصل إليه كذلك الشاعر مع مية لا يصل إليها. وتراءى له ظهر بحيث يراه. والعاطس الصبح وإذا استنفرت غزالاً فى أول الصبح كان نفوره اشد ما يكون لان قربه من وحشة الليل تعظم الفزع فيه وضوء الصبح يريه سبيل المهرب.

بيان لسبب حرمانه منها كما يحرم مستنفر الغزال من الغزال وذلك أنه كلما جاءها يريد لقاءها يجد من أهلها عابساً غيوراً وهو رقيب عليها خيفة تعرض العاشقين لها حارس وحافظ لها من شرورهم. =

ستأتى امرا القيس مأثورة يغنى بها العابر الجالس
ألم تر أن امرأ القيس قد ألظ به داؤه الناجس
هم القوم لا يألمون الهجاء وهل يألم الحجر اليابس
فما لهم فى العلا راكب ولا لهم فى الوغى فارس
ممرطلة فى حياض الملام كما دعس الأدم الداعس
إذا طمح الناس للمكرمات فطرفهم المطرق الناعس
تعاف الأكارم إصهارهم فكل أياماهم عانس

= امرؤ القيس هذا هو مهجوه. والمأثورة المروية يريد القصيدة التى يهجوه بها أى إنه ستأتيه قصيدة تشتهر حتى يرويها الناس وتصير أغنية لا يتغنى بها السائرون فى الأسفار فقط بل والقائمون فى مساكنهم أيضاً فالجالس يغنى بها للعابر أي المار فى طريقه. وهذا البيت انتقال من ذكر الأطلال والآثار إلى الهجاء اقتضاباً لم يراع فيه حسن التخلص.

ألظ به لزمه. والناجس من الأدواء الذى لا يبرأ. وأراد من دائه ما يهيجه على هجاء ذى الرمة من الحسد أو الحقد أو اللؤم وخبث الطبيعة.

ضمير الجماعة لقوم امرئ القيس يقول إن قوم هذا المهجو لا يألمون من الهجاء لأنهم أحجار والمهجو واحد منهم فلا يألم كما لا يألمون وذكر الحجر لمزلهم باسم ابيهم، الوغى: الحرب

ممرطة اى ملطخة تقول مرطلت فلاناً بالطين ونحوه أي لطخته به وكأنه جعل الملام سائلاً من القذر يختزن فى حياض وقد غمس هؤلاء القوم فيها بتلك الاقذار وثبت ذلك فى أعراضهم كما يثبت الدباغ فى الأدم جمع أديم وهو الجلد المدبوغ.ودعسه وطئه وطئاً شديداً وهكذا يصنع بالجلد عند دبغه يدعس حتى يتشرب الدباغ وأنث وصف ممرطلة لتأويل القبيلة.

طمح الناس رموا بأبصارهم إلى المكرمات وأحاسن الفعال. وطرفهم بصرهم. والمطرق المنكس: إذا امتدت الابصار للجميل لتهدلى إلى فعله كان بصر المذمومين مغمضاً عنها.

تعاف أى تكره وتستقذر. الأكارم جمع أكرم يريد اعالى الناس والإصهار مصدر =

فلما بلغ هذا البيت تنبه ذلك النائم وجعل يمسح عينيه ويقول: أذو الرميمة يمنعني النوم بشعر غير مثقف ولا سائر فقلت: يا غيلان من هذا. فقال: الفرزدق وحمي ذو الرمة فقال:

وأما مجـــاشع الأرذلــو مـ ن فلم يسق منبتهم راجس

سيعقلهم عن مساعي الكرام عقـال ويحبسهم حـابس

فقلت: الآن يشرق فيثور ويعم هذا وقبيلته بالهجاء. فوالله ما زاد الفرزدق على أن قال: قبحا لك يا ذا الرميمة أتعرض لمثلي بمقال منتحل ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً. وسار ذو الرمة وسرت معه وإني لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا.

* * *

=أصهر إليهم وفيهم إذا تزوج من بناتهم فهؤلاء يأبى الكرام أن يتزوجوا منهم لهذا نجد كل أيامهم جمع أيم وهي التي لا زوج لها بكراً أو ثيباً عانساً أي لم تتزوج أصلاً ولا يقال لمن تزوجت مرة عانس وفي نسخة: بدل آياماهم نساءهم أي جميع بناتهم بلا أزواج لكراهة الناس في مصاهرتهم.

المثقف المقوم المهذب الذي لا عوج به. والسائر الذي لجودته يسير في البلاد رواية وحسن شهرة.

مجاشع قوم الفرزدق لأنه من مجاشع ابن دارم. وقوله فلم يسق منبتهم دعاء عليهم أن لا ينزل المطر بمنابتهم أي مواضع نباتهم فيجدبون. والراجس السحاب الشديد صوت رعده.

العقال ما تعقل به الناقة لتقف وتمنع عن المشي ولا يريد من السين في سيعقلهم حقيقة الاستقبال ولكنه أتى بها للدلالة على أن ما عرف فيهم من الامتناع عن مساعي الكرام سيلزمهم في الآتي من الزمن فهم عنده محبوسون عن مساعي الكرام دائماً قبل القول وبعده وشبه ما في طباعهم من الخسة التي تعقد عن مطالب الكرام بالعقال.

يشرق من شرق إذا شجي وغص بريقه كني به عن شدة الغيظ. ويثور أي يهيج فيشمل ذا الرمة وقومه بالهجو، تعرض أي تتعرض تقول عرضت لفلان بسوء أي تعرضت له. والمنتحل المدعى أي بمقال مسروق ليس له.

تعقيب:

هذه المقامة لا تسير وفق النظام الأمثل الذى ابتكره بديع الزمان الهمذانى لمقاماته،وإنما هى حكاية حدثت فى جلسة جمعت بين الراوية، وعصمة بن بدر الفزارى، الذى حكى قصة حدثت أمام عينى عصمة بين الفرزدق وذى الرمة، حيث هجا ذو الرمة الفرزدق،فما زاد الفرزدق على أن قال: قبحاً لك يا ذا الرميمة، أتعرض لمثلى بمقال منتحل؟

وليس فى هذه المقامة شئ سوى حكاية أدبية أراد الهمذانى بها أن يقول رأياً معيناً فى الأدب، وليس فيها حيل المقامات، ولا دور فيها للبطل، وإنما هى حكاية رواها الهمذانى زاعماً أن الراوية رواها عن عصمة بن بدر الفزارى.

وهى حكاية ما حدث فى مقام أو مجلس معين، لكنها لم تنهج نهج المقامات، لا فى حكايتها، ولا فى عنصر التشويق، ولا فى حيلة البطل، ولا التكسب بالأدب، فهى أشبه بما يكون من أخبار الأدباء والشعراء فى كتب التراث الأدبى.

أما الصلتان، والبعيث، وذو الرمة فهذا هو التعريف بهم!

الفصل العاشر

الصلتان، البعيث، ذو الرمة

الصلتان العبدى

هو قثم بن خبيئة، من عبد القيس[1].

واجتمع إليه فى الحكم بين الفرزدق وجرير، فقال:

أنا الصلتانى الذى قد علمتم   متى ما يحكم فهو بالحق صادع
أتتنى تميم حين هابت قضاتها   وإنى لبالفصل المبين قاطع
كما أنفذ الأعشى قضية عامر   وما لتميم فى قضائى رواجع
ولم يرجع الأعشى قضية جعفر   وليس لحكمى آخر الدهر راجع
سأقضى قضاء بينهم غير جائر   فهل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم   وليس له فى المدح منهم منافع
قضاء امرئ لا يرتشى فى حكومة   إذا مال بالقاضى الرشا والمطامع
فإن كنتما حكمتمانى فأنصتا   ولا تجزعا، وليرض بالحق قانع
فإن ترضيا أو تجزعا لا أقلكما   وللحق بين الناس راض وجازع
فأقسم لا آلو عن الحق بينهم   فإن أنا لم أعدل فقل أنت ضالع

(١) الشعر والشعراء ١/٥٠٠ - ٥٠٢ الموشح ص ٢٢٩، خزانة الأدب ١/٣٠٤.

فإن يك بحر الحظليين واحداً فما تستوى حيتانه والضفادع[1]

وما يستوى صدر القناة وزوجها وما يستوى شم الذرى والأكارع[2]

وليس الذنابى كالقدامى وريشه وما تستوى فى الكف منك الأصابع[3]

ألا إنما تحظى كليب بشعرها وبالمجد تحظى دارم والأقارع

ومنهم رؤوس يهتدى بصدورها والاذناب قدماً للرؤوس توابع

أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره ولكن خيراً من كليب مجاشع

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جرير ، ولكن فى كليب تواضع

جرير أشد الشاعرين شكيمة ولكن علته الباذخات الفوارع

ويرفع من شعر الفرزدق أنه له باذخ لذى الخسيسة رافع

وقد يحمد السيف الددان بجفنه وتلقاه رثا عمده وهو قاطع[4]

---

(١) «لأن كليب بن يربوع بن حنظلة: قوم جرير، ودارم ابن مالك بن حنظلة: قوم الفرزدق».

(٢) الأكارع: جمع كراع، وأكارع الأرض: أطرافها القاصية، شبهت بأكارع الشاة وهى قوائمها، ويقال «الكراع» ركن من الجبل يعرض فى الطريق، وفى الأمالى والخزانة: «والأجارع» وهى جمع «أجرع» وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الركل.

(٣) الأمالى ٢/١٤١، خزانة الأدب ١/ ٣٥٠، طبقات الشعراء ص٩٥.

(٤) السيف الددان: الكهام الذى لا يمضى.

يناشدني النصر الفرزدق بعدما ألحت عليه من جرير صواقع

فقلت له: إني ونصرك كالذي يشبت أنفاً كشمته الجوادع[1]

وقالت كليب: قد شرفنا عليكم فقلت لها: سدت عليك المطالع

وقال جرير للصلتان:

أقول ولم أملك سوابق عبرة: متى كان حكم الله في كرب النخل[2]

والصلتان هو القائل:

أشاب الصغير وأفنى الكبـ ـر كر الليالي ومر العشي

إذا هرمت ليلة يومها أتى بعد ذلك يوم فتي

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

إذا قلت يوماً لمن قد ترى: أروني السري أروك الغني

ألم تر لقمان أوصى بنيه وأوصيت عمراً ونعم الوصي

---

(١) كشمته: فسره القالي في الأمالي قال: «كشم أنفه: إذا قطعه».

(٢) البيت في اللآلي ٧٦٦ وذكر بيتين أجاب بهما جريراً. وفي المؤتلف: «فأما الفرزدق فرضي بهذا القول، لما فضل قومه على بني كليب، وقال: إنما شعره مروءة من لا مروءة له، وهو أخس حظ الشريف. وأما جرير فإنه غضب وقال» وذكر البيت.

بنى بدا خبء نجوى الرجال　　فكن عند سرك خبء النجى

وسرك ما كان عند امرئ　　وسر الثلاثة غير الخفى

فكن كابن ليل على أسود　　إذا ما سواد بليلٍ خشى

فكل سواد وإن هبته　　من الليل يخشى كما تختشى

أرد محكم الشعر إن قلته　　فإن الكلام كثير الروى

[كما الصمت أدنى لبعض اللسا　　ن، وبعض التكلم أدنى لعى][1]

***

(١) خزانة الأدب ٣٠٨/١، معاهد التنصيص ص٣٥، الشعر والشعراء ٥٠٢/١.

البعيث

هو خُداش بن بشر، من بني مجاشع، من ولد خالد بن بيبة. وأمه أصبهانية يقال لها مردة أو وردة. وإنما لقب بالبعيث بقوله:

تبعث مني ما تبعث بعد ما   أمرت قواي واستمر عزيمتي[1]

أراد أنه قال الشعر بعد ما أسن وكبر. ويكنى أبا مالك. وكان البعيث أخطب بني تميم إذا أخذ القناة. وله عقب بالبادية. وكان يهاجي جريراً.

وقال أبو عبيدة: سألت بعض بني كليب فقلت: ما أشد ما هجيتم به؟ قال: قول البعيث.

ألست كليبيا إذا سيم خطة   أقر كإقرار الحليلة للبعل

وكل كليبي صحيفة وجهه   أذل لأقدام الرجال من النعل

وكل كليبي يسوق أتانه   له حاجة من حيث تثفر بالحبل

سواسية سود الوجوه كأنهم   ظرابي غربان بمجرودة محل[2]

---

(١) الشعر والشعراء ٤٩٧/١، سمط اللآلي ص٢٩٦، النقائض ص٣٨.

(٢) الظرابي: جمع «ظربى» بفتح الظاء وكسر الراء وفتح الباء، مقصور، ويجمع أيضاً على «ظربان» بوزن «قطران» أو «الظريان» مفرد أيضاً، وهو دويبة شبه الكلب أصم الأذنين صماخاه يهويان طويل الخرطوم أسود السراة أبيض البطن كثير الفسو منتن الرائحة، يشبه بالقرد. وإضافتها إلى الغربان لعلها على التشبيه في اللون: أنها جمعت قبحاً وسواداً. مجرودة: أرض أكل الجراد نبتها، اللسان ٥٩/٢.

وكان للبعيث أولاد: منهم مالك وبكر، وخرجا مع أبيهما إلى المدينة فأرسلهما يرعيان عليه الإبل، فمرض مالك، فأرسل بكراً إلى أبيه ليقدم عليه، فقدم فوجده قد مات، فقال:

أرسل بكرا مالك يستحثنا   يحاذر من ريب المنون فلم يئل

أمالك مهما يقضه الله تلقه   وإن حان ريث من رفيقك أو عجل[1]

---

(١) الشعر والشعراء ١/٤٩٨.

ذو الرمة

غيلان بن عقبة من بنى عدى، ويكنى أبا الحرث.

لقب بذى الرمة لبيت قاله(١).

كان بدوياً قحاً، ولكنه كان يتردد على البصرة والكوفة، فقيل: إنه تحضر، وقل ما عرف عن حياته، غير حبه لمية التى شبب بها عشرين سنة، وللخرقاء أيضاً، قيل: إنه مات سنة مائة وسبع من الهجرة.

روى أن ذا الرمة بدأ فى الشعر بالرجز، ولكنه تركه لما رأى أنه لا يقع من العجاج، ورؤية موقعاً، فعول على الشعر(٢).

وكان ذو الرمة آخر من ذهب مذهب البدو فى القصيد، الذى أخذه عن الراعى، وقد كان ذو الرمة راويته، وكان ربما تشكى من ذلك، وأنه كان لا يستطيع مجاراة شعراء عصره فى مذاهبهم التي أحدثوها.

وليس ذو الرمة من الشعراء المطبوعين.

ويرى المرزبانى أن ذا الرمة لم يكن له حظ فى المدح، إذ قال فى مدح بلال

---

(١) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ١/ ٢٢٠، الأغانى ١٦/ ١٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٥١٠.
(٢) الموشح ص١٧٤.

سمعت الناس ينتجعون غيثا   فقلت لصيدح انتجعى بلالا

ولما سمع بلال هذا البيت غضب، وقال: يا غلام،مر لها بقت ونوى.

روى أن جريراً قال في شعر ذي الرمة: إنه نقط عروس، وأبعار ظباء، وأن الفرزدق قال فيه: أرى شعراً مثل بعير الصيران.

وقد أعجب اللغويين شعره لإكثاره من استعمال الغريب وقال أبو عمرو بن العلاء: إن امرأ القيس أول الشعراء، وذا الرمة آخرهم، وكاد ذو الرمة يكون أكبر الشعراء، لو سكت بعد أن قال قصيدته:

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنه من كلى مفرية سرب(١)

وسئل جرير عن شعره، فقال: أبعار غزلان ونقط عروس!

وكان يوماً ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه:

* عذبتهن صيدح *

و«صيدح» ناقته، فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول! فقال فما بالي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدمن وصفتك للأبعار والعطن، وأنشأ يقول:

---

(١) تاريخ الأدب العربي ٢٢٢/١.

ودوية لو ذو الرميم يرومها ... بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح[1]

قطعت إلى معروفها منكراتها ... إذا خب آل الأمعز المتوضح[2]

وقال عيسى بن عمر: قال لى ذو الرمة: ارفع هذا الحرف، فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه: أى اكتم على فإنه عندنا عيب.

قال: وقدمت من سفر فأتانى ذو الرمة فعرضت له بأن أعطيه شيئاً، فقال لى: أنا وأنت (واحد) نأخذ ولا نعطى.

[illegible] قال: أنا ابن نصف الهرم، أى أنا ابن [illegible][3].

يا قابض الروح من نفسى إذا احتضرت ... وغافر الذنب زحزحنى عن النار[3]

وإنما سمى ذا الرمة بقوله فى الوتد:

---

(١) الدوية: المفازة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة، كالدو، أو هى نسبة إلى «الدو».

(٢) [illegible] والخبب: ضرب من السير. الآل: السراب. الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة. المتوضح: الأبيض، من «الوضح» وهو الضوء والبياض. وفى الأغانى «قال عمرو بن شبة فى هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً! فقال: إنهما بيتان ولن أزيد عليهما شيئاً».

(٣) فى الأغانى ١٦: ١٢٢ وكان آخر ما قال: [illegible]

يا رب قد أشرفت نفسى وقد علمت ... علماً يقيناً لقد أحصيت آثارى

يا مخرج الروح من جسمى إذا احتضرت ... وفارج الكرب زحزحنى عن النار

(لم يبق منه أبد الأبيد غير ثلاث ماثلات سود

وغير مرضوخ القفا موتود) أشعث باقي رمة التقليد[(١)]

وكان ذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مية بنت عاصم أو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم بن سنان[(٢)].

قال أبو سوار الغنوى: رأيت مية، وإذا معها بنون لها صغار، فقلت: صفها لى، فقال: مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وشم جمال. فقالت: ما تلقيت بأحد من بنى هؤلاء إلا فى الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة؟ قال: نعم، كانت تسح سحاً ما رأى أبوك مثله[(٣)].

ومكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وتسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنه يوم تراه، فلما رأته رأت رجلاً دميماً أسود، وكانت من

---

(١) أبد الأبيد: أى أبد الدهر، يقال «لا أفعل ذلك أبد الأبيد» و«أبد الآباد» و«أبد الأبدية» ونحو ذلك.

مرضوخ: من الرضخ. وهو الدق والكسر. موتود: مثبت، يقال «وتدت الوتد أتده» أى أثبته.

(٢) ففى اللآلى أنها «بنت عاصم بن طلبة» وفى ابن خلكان «ابنة مقاتل بن طلبة».

(٣) مسنونة الوجه: مخروط وجهها أسيل كأنه قد سن عنه اللحم.

يقال: «تلقت المرأة» و«هى متلق» أي علقت.

تسح سحاً: أصل «السح» سيلان الماء من فوق وشدة انصبابه، يريد أنها تكثر الإنشاد وتسرع فيه بقوة.

أجمل النساء، فقالت: واسوأتاه! وابؤساه! فقال ذو الرمة:

على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا

ألم تر أن المـاء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فيا ضيعة الشعر الذى لج فانقضى بمى ولم أملك ضلال فؤاديا

وكان يشبب أيضاً بخرقاء، وهى من بنى البكاء بن عامر بن صعصعة. وكان سبب تشبيبه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادى، فإذا خرقاء خارجة من خباء (لها)، فنظر إليها، فوقعت فى قلبه، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها، فقالت: والله إنى ما أحسن العمل، وإنى لخرقاء. والخرقاء: التى لا تعمل (بيدها شيئاً) لكرامتها على أهلها. فشبب بها وسماها خرقاء.

وقال المفضل الضبى: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت، فقال لى يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبه ذى الرمة؟ فقلت: إن فعلت فقد بررتنى، فتوجهنا جميعاً نريدها، فعدل بى عن الطريق بقدر ميل، ثم أتينا أبيات شعر، فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت علينا امرأة طويلة حسانة بها فوه(١)، فسلمت وجلست، فتحادثنا ساعة ثم

---

(١) حسانة: بضم الحاء وتشديد السين: حسنة. وفى ابن خلكان: «الحسانة أشد حسناً من الحسناء». الفوة بفتح الفاء والواو: سعة الفم وعظمه، وهو أيضاً خروج الأسنان من الشفتين وطولهما.

قالت لي: هل حججت قط؟ قلت: غير مرة، قالت: فما منعك من زيارتي؟ أما علمت أني منسك من مناسك الحج؟! قلت: وكيف ذاك؟ قالت: أما سمعت قول عمك ذي الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام؟!

وكان لذي الرمة أخوة، هشام وأوفى ومسعود، فمات أوفى، ثم مات (بعده) ذو الرمة، فقال مسعود:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ريان مترع

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

قال ابن أبي فروة: قلت لذي الرمة في قوله:

إذا انجابت الظلماء أضحت رؤوسها

عليهن من جهد الكرى وهي ظلع

ما علمت أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك؟ قال: أجل[1].

وكان ذو الرمة كثير الأخذ من غيره. ومما أخذه من غيره قوله في الحرباء:

---

(١) لأن الظلع، بفتحتين، العرج، وهو في الأرجل لا في الرؤوس!

يظل بها الحرباء للشمس ماثلاً ... لدى الجذل إلا أنه لا يكبر
إذا حولَ الظل العشى رأيته ... حنيفاً وفى قرن الضحى يتنصر[١]

وقال ظالم بن البراء الفقيمى:

ويوم من الجوزاء أما سكونه ... فضح ، وأما ريحه فسموم
إذا جعل الحرباء والشمس تلتظى ... على الجذل من حر النهار يقوم
يكون حنيفاً بالعشى وبالضحى ... يصلى لنصرانية ويصوم[٢]

روى الأصمعى عن رؤبة قال: دخل على ذو الرمة فسمع قولى:

يطرحن بالدوية الأملاس ... لكل ذئب قفرة ولاس
موتى العظام حية الأنفاس ... أجنة فى قمص الأغراس[٣]

---

(١) الحرباء: دويبة نحو العظاءة أو أكبر، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيف دارت ويتلون ألواناً بحر الشمس، وهو مذكر، والأنثى «حرباءة» و«أم حبين». الجذل: ما عظم من أصول الشجر المقطع.

(٢) الضح: بكسر الضاد: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض، أصله «ضحى» فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها وقالوا «الضح» بتشديد الحاء.

(٣) الأملاس: جمع «ملس» بفتحتين، وهو المكان المستوى. الولاس: المولس، أى المخادع، أو هو من «الولس» بسكون اللام، أى السرعة.

الأغراس: جمع «غرس» بكسر الغين وسكون الراء، وهو الجلدة التى تخرج على رأس الولد أو الفصيل ساعة يولد، فإن تركت قتلته. يريد أن النوق لسرعتها فى المفازات تطرح فصلانها وتدعها للذئاب.

فخرج من عندى، فبلغنى (بعد ذلك) أنه يقول:

يطرحن بالدوية الأغفال كل جنين لثق السربال

حى الشهيق ميت الأوصال فرج عنه حلق الأقفال

من السرى وجرية الجبال ونغصان الرحل من معال(١)

قال الأصمعى: فإذا رؤبة يرى أن ذا الرمة يسرق منه(٢).

وقال أيضاً فى قول ذى الرمة * يطفو إذا ما تلقته الجراثيم *

أخذه من قول العجاج: * إذا تلقته الجراثيم طفا *(٣)

قال: وأخذ قوله:

إذا استهلت عليه عيبة أرجت مرابض العين حتى يأرج الخشب

من معنى قول العجاج: * مشواه عطارين بالعطور *

وأخذ قوله: * كأنها فضة قد مسها ذهب *

---

(١) الأغفال: جمع «غفل» بضم الغين وسكون الفاء، وهى الأرض المجهولة الميتة التي لا أعلام فيها يهتدى بها. اللثق: اللزج المبتل.

(٢) القصة فى الأغانى، وفى آخرها أن محمداً قال لرؤبة: «فقوله والله أجود من قولك وإن كان سرقه منك! فقال: ذلك أغم لى».

(٣) الجراثيم: ما اجتمع من التراب فى أصول الشجر. «العقاقيل» وهى جمع «عقنقل» وهو الكثيب العظيم المتداخل الرمل. «وسرقه العجاج من علقمة بن عبدة فى قوله * تطفو إذا ما تلقته العقاقيل*».

من معنى امرئ القيس:

كبكَر مقاناة البياض بخضرة (غذاها نمير الماء غير محلل)

وكذلك كان يرويه[1].

وأخذ من كعب بن زهير فى صفة الآثار.

وقال ذو الرمة، وهو من حسن شعره.

وأرمى إلى الأرض التى من ورائكم لترجعنى يوماً عليك الرواجع

وقال آخر فى معناه:

وأذهب فى الأرض التى من ورائكم لأعذر فى إتيانكم حين أرجع

وسمع أعرابى ذا الرمة وهو ينشد:

تصغى إذا شدها بالكور جانحة

حتى إذا ما استوى فى غرز هاتثب[2]

فقال الأعرابى صرع والله الرجل! ألا قلت كما قال عمك الراعى:

---

(١) البيت من المعلقة، وروايتهم * كبكر المقاناة: البياض بصفرة، والبكر: هنا أول بيض النعامة، المقاناة: أى المخالطة أى التى قونى بياضها، أى خلط. البياض روى بالنصب والرفع والجر، وتوجيهها فى شرح القصائد. النمير من الماء: الذى ينجع فى الشارب وإن لم يكن عذباً

(٢) الكور: الرحل. الغرز: ركاب الرحل.

(١) الصعر: الميل فى الخد خاصة، وكلاهما بفتحتين.

وواضعـــة خدهـا للزما م، فالخد منها له أصعـر

ولا تعجل المرء قبل البرو ك، وهـى بركبتها أبصــر

وهى إذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر[1]

وأخذ عليه قوله يصف الكلاب:

حتى إذا دومت فى الأرض راجعة كبر، ولو شاء نجى نفسه الهرب

قالوا: والتدويم إنما هو فى الجو، يقال: دوم الطائر فى السماء: إذا حلق واستدار (فى طيرانه)[2]، ودوى فى الأرض: أى ذهب

وقالوا: ذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً، وإنما وضعه عندهم أنه كان لا يجيد المدح ولا الهجاء. ولما أنشد بلال بن أبى برده (قوله):

رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعى بلالا[3]

---

(٢) هذا المأخذ نسب فى اللسان إلى الأصمعى. وذهب غيره إلى صواب ما قال ذو الرمة، ففيه: «قال الأخفش وابن الأعرابى: دومت: أبعدت، وأصله من دام يدوم، والضمير فى دوم على الكلاب. وقال على بن حمزة: لو كان التدويم لا يكون إلا فى السماء لم يجز أن يقال: به دوام، كما يقال: به دوار، وما قالوا: دومة الجندل، وهى مجتمعة مستديرة».

(٣) صيدح: اسم ناقة ذى الرمة. والرواية المشهود «سمعت الناس» برفع «الناس» «وفى الصحاح: رأيت الناس، بدل سمعت، والمحفوظ: سمعت الناس، فالنصب ظاهر، وأما الرفع فعلى الحكاية، لأن سمعت فعل غير مؤثر، فجاز أن يعلق وتقع بعده الجملة، وتقدير المعنى: سمعت من يقول الناس ينتجعون غيثا، وأما مع رأيت فلا يصح ذلك».

(١) مرثيات: منسوبات لامرئ القيس، وقد غلب على القبيلة، وهذه النسبة مما تنسب

قال بلال: يا غلام أعطه حبل قت لصيدح.

وقالوا: وغلط في قوله في النساء:

وما الفقر أزرى عندهن بوصلنا ولكن جرت أخلاقهن على البخل

قالوا: والجيد قول علقمة:

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقول امرئ القيس:

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وأشد هجائه قوله:

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب على طول الهوان جلودها

وما انتظرت غيابها لعظيمة ولا استعمرت في جل أمر شهودها

إذا مرئيات حللن ببلدة من الأرض لم يصلح طهوراً صعيدها[1]

ويستحسن له قوله في الظبية وولدها:

إلى الأول دون الثاني. يقال «امرئي» بسكون الميم وكسر الراء، و«مرئي» بفتحهما، كأنهم أضافوا إلى «مرء»، فكان قياسه فتح الميم وسكون الراء، ولكنه نادر معدول النسب.

(١) الصفصف: الفلاة لا نبت فيها. الصريمة: القطعة المتقطعة من معظم الرمل. نصت

إذا استودعته صفصفاً أو صريمة   تنحت ونصت جيدها للمناظر

حذاراً على وسنان يصرعه الكرى   بكل مقيل من ضعاف فواتر

وتهجره إلا اختلاساً بطرفها   وكم من محب رهبة العين هاجر[1]

ومما صحف فيه من شعره قوله:

براهن تفويزى إذا الآل أرقلت   به الشمس إزر الحزورات الفوالك[2]

رواه أبو عمرو «أرقلت»، وقال الأصمعي: إنما هو «أرفلت» ومعناه أسبغت وغطت، يريد أسبغت إزر الحزورات من الآل.

☆ ☆ ☆

والقصيدة التي ذكرها الهمذاني لذي الرمة في هجاء الفرزدق بدأها ذو الرمة بالبكاء على الأطلال، شأن قصائد الشعر القديم، وقد قال الهمذاني على لسان البطل في معرض الحديث عن امرئ القيس: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، وقد ذكرت آنفاً أمثلة لذلك من شعر امرئ القيس.

جيدها: رفعته.

(٢) التفويز: ركوب المفازة، يقال «فوز الرجل بإبله» إذا ركب بها المفازة. يريد أن إبله براها السرى في المفازة وأنضاها. الآل: السراب. أرقلت. بالقاف: أسرعت. الحزورات: جمع «حزورة» وهي الرابية الصغيرة. الفوالك: المستديرات.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٣٥.

* * *

وكذلك صنع أصحاب المعلقات، فقد بدأ معظمهم قصائدهم بوصف الديار.

قال طرفة بن العبد فى مطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد[١]

* * *

ويروى هذا البيت بعد البيت الأول:

فروضة دعمى فأكناف حائل وقفت بها أبكى وأبكى إلى الغد[٢]

خولة: اسم امرأة كلبية، الطلل: ما شخص من رسوم الدار، البرقة: مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى، ثمهد: موضع، الوشم: النقش في اليد، وهى غرز ظاهر اليد بإبرة، وحشو المغارز بالكحل، والنقش بالنيلج، الصحب: جمع صاحب، المطى: المراكب، سميت لأنه يركب مطاها، أى ظهرها، أو من المطو، وهو المد فى السير، التجلد: تكلف الجلادة، وهو التصبر، يصف دروسها يقول: لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذى يخالط أرضه حجارة وحصى من ثمهد فتظهر تلك الآثار والأطلال بعد أن درست، كبقايا الوشم فى ظاهر الكف.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص٠ ٣٤.

يعنى يبكى ويبكى عليه من كثرة بكائه على هذه الأطلال، وروضة دهمى: اسم جبل فى بلاد بنى عقيل.

(١) شرح المعلقات السبع ص٥٨.

***

وقال زهير فى مطلع معلقته:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم

بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أثافى سفعا فى معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحا أيها الربع واسم(١)

الحومانة: المكان الغليظ، الدمنة: ما اسود من آثار الديار بالبعر والرماد وغيرهما، الدراج والمتثلم: موضعان، أم أوفى: كنية محبوبته، الرقمتان: حرتان إحداهما قريبة من المدينة، والأخرى قريبة من البصرة، والمراجع: المجددة والمرددة، نواشر: عروق، والمعصم: موضع السوار من اليد، العين: البقر الواسعات العيون، الآرام: الظباء خالصة البياض، خلفة: يخلف بعضها بعضا، والأطلاء: أولاد الظباء والبقر الوحشى، ويكون هذا الاسم للولد من حين ولد إلى شهر أو أكثر منه، المجثم: موضع البروك للوحوش، حجة: سنة، اللأى: الجهد والمشقة، الأثافى: حجارة توضع القدر عليها، سفع: سود، المعرس: المنزل من التعريس وهو النزول وقت السحر، والمقصود المكان الذى تنصب فيه القدر، المرجل: القدر، والنؤى: نهر يحفر حول البيت ليجرى فيه الماء الذى ينصب من البيت عند المطر، ولا يدخل البيت، الجذم: الأصل، ويروى الجد وهو البئر القريبة من الكلأ، لم يتثلم: لم يتهدم. يقول: أمن دمن أم فى دمنة لم يتكلم أهلها، أى دمنة لا تجيب، وهذا توجع، ويقول: إن عهدى بهذه الدار قد قدم حتى أشكلت على، فعهدى بها من عشرين سنة، ولهذا عرفت هذه الديار بعد جهد ومشقة بعد تغرس وتبينى.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٧٢ - ٧٥.

* * *

وقالَ لبيد بن ربيعة العامرى فى مطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحى سلامها

دمن تجرم بعد بين أبيسها حجج خلون حلالها وحرامها

رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها

من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب أرزامها

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

والعين ساكنة على أطلائها عوذا تأجل بالفضاء بهامها

وجلا السيوف عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

أو رجع واشمة أسف نؤورها كففا تعرض فوقها وشامها

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبين كلامها

عريت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغودر نؤيها وثمامها(١)

عفت: انمحت، المحل من الديار: ما حل فيه لأيام معدودة، والمقام منها: ما طالت الإقامة به، ومنى: موضع بحمى ضرية، تأبد: توحس، والغول والرجام: جبلان، المدافع: أماكن = =يندفع عنها من الربى والأخياف، والريان: جبل، الوحى: جمع وحى وهو الكتاب، الريان.

ويروى بعد البيت الأول:

لمية أطلال بحزوى دوائر عفتها السوافى والرياح المواطر(١)

★★★

وقال عنترة بن شداد العبسى فى مطلع معلقته:

واد بنجد، عرى رسمها: خلا، السلام - بكسر السين - الحجارة، التجرم: التكمل والانقطاع، الخلو: المضى، الحرام: الأشهر الحرم، والحلال: أشهر الحل، ، مرابيع النجوم: الأنواء الربيعية، وهى المنازل التى تحلها الشمس فصل الربيع، والصوب: الإصابة، الودق: المطر، الجود: المطر التام العام، أو هو المطر الذى يرضى أهله، والرواعد: ذات الرعد من السحاب، الرهام: جمع رهمة، وهى المطرة التى فيها لين. السارية: السحابة الماطرة ليلاً، المدجن: الملبس آفاق السماء بظلامه لفرط كثافته، الأرزام: التصويت، جمع لها أمطار السنة، لأن أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلاً، وأمطار الربيع أكثرها يقع غداة، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشيا، الأيهقان - بفتح الهاء وضمها - ضرب من النبت، وهو الجرجير البرى، وأطفلت: أى صارت ذات أطفال، الجهلتان: جانبا الوادى، ونعامها: يقصد باضت نعامها، العين: واسعات العيون من البقر، والكلا: ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتى عليه شهر، العوذ: الحديثات النتاج، والأجل: القطيع من بقر الوحش، والتأجل: صيرورتها أجلا أجلا، الفضاء: الصحراء، البهام: أولاد الضأن ورذا اختلطت بأولاد الضأن أولاد المعز قيل للجميع بهام وإن نفرت المعز عند العرب، جلا: كشف، الطلول: جمع الطلل، والزبر: جمع زبور وهو الكتاب، تجد: تجدد، الرجع: الترديد والتجديد، والإسفاف: الذر، والنؤر: النقش المتخذ من دخان السراج والنار، وقيل: النيلج، والكفف: جمع كفة، وهى الذرات، تعرض: ظهر ولاح، والوشام: جمع وشم، الصم: الصلاب، خوالد: بواق، يبين: يظهر، أو يعرف، بكر: سار بكرة، المغادرة: الترك، والثمام: ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت، عريت: لم يبق فيها أحد لما ذهب أهلها، النؤى: حاجز يجعل حول البيوت.

(١) جمهرة أشعار العرب ص٢٣٧.

الدوائر: التى قد امحت، السوافى: الرياح التى تسفى التراب، والمواطر: السحائب.

(١) شرح المعلقات السبع ص١٠٩ - ١١٠.

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دارَ عبلة بالجواء تكلمى ... وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

فوقفت فيها ناقتى وكأنها ... فدن لأقضى حاجة المتلوم

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ... بسالحزن فالصمان فالمتثلم

حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم(١)

ومطلع القصيدة فى الجمهرة هكذا:

أعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصم الأعجم

ولقد حبست بها طويلا ناقتى ... ترغو إلى سفع رواكد جثم

وبعد البيت الأول على الرواية السابقة بيت هو

إلا رواكد بينهن خصائص ... وبقية من نؤيها المتجرثم(٢)

المتردم: الموضع الذى يسترقع فيه ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهى، والتردم أيضاً مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزن، أم بمعنى بل، توهم: شك، الجواء: الوادى وهو موضع معين فى البيت، عبلة: اسم محبوبته، عمى صباحاً: كانت العرب تقول فى تحيتها: أنعم صباحاً أو أى نعمت صباحاً، أى طاب عيشك فى صباحك، وخص الصباح بهذا الدعاء لأن الغارات والكارثة تقع صباحاً، وفيها أربع لغات: انعم بفتح العين، وكسرها، وعم بفتح العين وكسرها من نعم، ووعم، الفدن: القصر، المتلوم: المتمكث، الجواء والحزن والصمان والمتثلم مواضع، الإقواء والإقفار: الخلاء.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٣٤٧، ٣٤٨.

الرواكد: الأثافى، والخصائص: الفروج بين الأثافى، المجرنثم: المجتمع.

* * *

وقال الحارث بن حلزة اليشكري في مطلع معلقته:

آذنتنا بينها أسماء   رب ثاو يمل منه الثواء
بعد عهد لنا ببرقة شما   ء فأدنى ديارها الخلصاء
فالمحياة فالصفاح فأعنا   ق فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا فأودية الشر   بب فالشعبتان فالأبلاء
لا أرى من عهدت فيها فأبكى   اليوم دلها وما يحير البكاء[1]

* * *

وقال النابغة:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار   ماذا تحيون من نؤى وأحجار
أقوى وأقفر من نعم وغيره   هوج الرياح بهابى الترب موار[2]

---

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٢٤

الإيذان: الإعلام، البين: الفراق، الثواء: الإقامة، العهد: اللقاء، برقة شماء، وخلصاء، والمحياة، والصفاح وأعناق فتاق، وعاذب، والوفاء ورياض القطا، وأودية الشربب، والشعبتان، والأبلاء كلها مواضع عهد بها، الإحارة: من حار أي رجع، والدله: ذهاب العقل.

(٢) عوجوا: قفوا، الدمنة: ما بقى من آثار الديار، النؤى: الخندق يكون حول الخباء ليمنع المطر. أقوى: خلا، هوج: جمع هوجاء، وهى الشديدة العاصفة، الهابى: الذى يسفى على النؤى، الموار: الذى يجئ ويذهب.

دار لنعم بالحمآت قد دثرت ... لم يبق إلا رماد بين أظآر

وقفت بها سراة اليوم أسألها ... على آل نعم أمونك عبر أسفار

فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا ... والدار لو كلمتنا ذات أخبار

فما وجدت بها شيئا ألوذ به ... إلا الثمام وإلا موقد النار(١)

***

وقال الأعشى:

ما بكاء الكبير فى الأطلال ... وسؤالى وما تـرد سؤالى

دمنة قفرة تعاورها الصيـ ... ـف بريحين من صبا وشمال(٢)

***

---

(١) الحم: التراب الأسود، الأظآر: الحجارة التى تنصب عليها القدور، ويقال لها الأثافى، وسميت كذلك لتعطفها على الرماد لئلا يطير بها الرياح، السراة - بفتح السين - الوسط، أراد وسط النهار، الأمون: الناقة المريحة أمنت أن تكون ضعيفة، عبر - بضم العين - أى بقية، أو الكثير من كل شئ، أو مثل الفلك، أى لا يزال يسافر عليها، أو يعبر عليها للأسفار، الثمار - بضم الثاء - شجر، الموقد: حيث أوقد الحى نارهم.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص٢٠٢.

الأطلال: ما شخص من آثار الديار، الرسم: الأثر بلا شخص أو هو ما لصق بالأرض منها، أو الأثر، أو بقية الأثر، يقول: ما بكاء شيخ كبير مثلى، وسؤالى من لا يرد علىّ، الدمنة: ما اجتمع من آثار القوم فى الديار، قفرة: خالية، تعاورها الصيف مرة بعد مرة، وتداولها الريحان، والصبا التى تأتى من ناحية الشرق، والشمال ما تأتى عن شمال الكعبة، وهى تخالف الجنوب.

* * *

وقال طرفة:

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه(١)

وقال سلامة بن جندل:

وقفت بها ما إن تبين لسائل وهل تفقه الصم الخوالد منطقي(٢)

* * *

وقال ذو الرمة أيضاً بادئا قصيدته بالبكاء على الأطلال:

لمية أطلال بحزوى دواثر عفتها السوافي والرياح المواطر(٣)

وقال ذو الرمة:

دار لمية إذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

* * *

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٨٧.

(٢) الأصمعيات ص١٣٣.

الصم: الحجارة الصلبة، وجعلها خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال.

(٣) جمهرة أشعار العرب ص ٢٣٧.

مية: اسم محبوبته، الدواثر: التي قد امحت، السوافي: الرياح التي تسفي التراب، المواطر: السحائب.

* * *

- أمّا قصائد الهجاء التى قال عنها ذو الرمة:

ستأتى امرأ القيس مأثورة   يغنى بها العابر الجالس

فإن ذلك يدل على أنها قصيدة سائرة فى الهجاء، أثرها بعيد.

قال عبد المسيح بن عسلة:

وأنا امرؤ من آل مرة إن   أكلمكم لا ترقئوا كلمى[1]

مما يدل على أنه هجاء يسير كل مسير.

* * *

وقال مزرد الأبيانى:

تركت ابن ثوب وهو لا ستر دونه   ولو شئت غنتنى بشوب ولائدى

صقعت ابن ثوب صقعة لا حجى لها   يولول منها كل آس وعائد[2]

---

(١) المفضليات ص ٢٧٩.

أكلمكم: أحرجكم، لا ترقئوا: لا تقطعوا الدم، يكنى بالكلم والدم عن الهجاء، وأنه إن هجاهم ذاع شعره، فلم ينقطع ذكره.

(١) المفضليات ص ٧٧، ٧٨، لا ستر دونه: أى كان ممكنا لى لا يستره شئ عن هجائيه، بشوب: والدزرعة يقول: ولو شئت لهجوته هجاء تغنينى به الولائد، وهن الإماء الشواب، الصقع: الضرب على الرأس، وأصله الضرب على كل شئ يابس، لا حجى لها: لا تمالك لها، كالرجل لا حجى له: أى لا عقل له، الآسى: المتطيب المعالج.

فردوا لقاح الثعلبى أداؤها . أعف وأتقى من أذى غير واحد
فإن لم تردوها فإن سماعها لكم أبدا من باقيات القلائد[1] .

★★★

وقال سويد بن أبى كاهل اليشكرى:

وعدو جاهدنا ضلته في تراخي الدهر .عنكم والجمع
فتساقينا بمر ناقع في مقام ليس يثنيه الورع
وارتمينا والأعادى شهد بنبال ذات سم قد نقع
بنبال كلها مذروبة لم يطق صنعتها إلا صنع
خرجت عن بغضة بينة فى شباب الدهر والدهر جذع
وتحارضنا وقالوا إنما ينصر الأقوام من كان ضرع[2]

---

(١) العائد: من يعود المريض، اللقاح: جمع لقحة، وهى ذوات الألبان من الإبل، أتقى: أوقى من الوقاية، يريد أن أداءها خير من أن يؤذى بسببها جماعة منهم، ويقول: فإن لم تردوها هجوتكم هجاء يبقى عليكم لازما لكم، كالقلائد فى الأعناق.

(٢) المفضليات ص ٢٠١

يريد بالعدو والجماعة، الجمع: الجماعات، المر: أراد به الكلام، الناقع: المجتمع القاتل، شبه كلامه بالسم الناقع، الورع -بفتح الراء- الهيوب الجبان، أى ليس يغنى فى ذلك المقام الرجل الضعيف، ارتمينا: ترامينا، النبال: السهام، أراد بها الحجة فى الافتخار ونشر المكارم، والأعادى شهد، لأنه أشد لتحرزه فى كلامه من أن يغلب، مذروبة: محددة، الصنع: الحاذق الرفيق، الجذع: الشاب الحدث، أراد فى أول الدهر، تحارضنا: من الحرض وهو الهلاك، الضرع: الضعيف من الرجال

فرمني هاربا شيطانه حيث لا يعطي ولا شيئا منع
فرمني حين لا ينفعه موقر الظهر ذليل المتضع
ورأى منى لسانا صادقا ثابت الموطن كتام الوجع
ولسانا صيرفيا صارما كحسام السيف ما مس قطع(١)

* * *

وقال المزرد:

ندع ذا ولكن ما ترى رأى عصبة أتتنى منهم منديات عضائل
يهزون عرضى بالمغيب ودونه لقرمهم مندوحة ومآكل
على حين أن جريت واشتد جانبى وأنبح منى رهبة من أناضل
وجاوزت سن الأربعين فأصبحت قناتى لا يلفى لها الدهر عادل
فقد علموا فى سالف الدهر أننى معن إذا جد الجراء ونابل(٢)

---

(١) أى: إنما ينصر الأقوام من ضعف عن حجته، حين لا ينفعه، أي الفرار، موقر الظهر: مثقله، كتام الوجع: صبور لا يظهر وجعه، الصيرفى: المتصرف فى الأمور المجرب لها، يتصرف كيفما شاء، كحسام السيف: حده وطرفه القاطع.

(٢) المفضليات ص ١٠٠.

المنديات: المخزيات، التى يندى لها الوجه ويعرق، العضائل: الشدائد، يهزون: يقطعون كما فسرها ابن الأنبارى، القرم: الأكل بمقدم الفم، أنبح منى: صيرته إلى أن ينبح كالكلب، العادل: المقوم، أو المساوى المماثل، المعن: المعترض فى الخصومة والمناظرة، الجراء: الجرى، النابل: الحاذق فى أموره، يقول: إذا جرت الخصومة ففى فضل أعترض به على الناس.

زعيم لمن قاذفته بأوابد يغنى بها السارى وتحدى الرواحل
مذكرة تلقى كثيراً رواتها ضواح لها فى كل أرض أزامل
تكر فلا تزداد إلا استنارة إذا رازت الشعر الشفاه العوامل
فمن أرمه منها ببيت يلح به كشامة وجه ليس للشام غاسل
كذاك جزائى فى الهدى وإن أقل فلا البحر منزوح ولا الصوت صاحل
فعد قريض الشعر إن كنت مغزرا فإن غزير الشعر ما شاء قائل(١)

★★★

وقال جرير:

لسانى وسيفى صارمان كلاهما وللسيف أشوى وقعة من لسانيا(٢)

★★★

---

(١) الزعيم: الكفيل، الأوابد: الغرائب من الكلام، وأراد هنا ما يهجوهم به، مذكرة: شديدة قوية، صفة للأوابد، ضواح: بارزة ظاهرة، لكثرة ما يرددها الرواة، أزامل: كل صوت مختلط، تكر: تعاد كرة بعد كرة، رازت: جربت، تنظر كيف هو، العوامل: النواطق بالشعر، يلح يظهر من لاح، الشام: جمع شامة، الهدى: المهاداة، وأصله ما يهدى، والمراد: التهادى بالشعر، وهو المهاجاة، صاحل: من الصحل، بفتح الحاء - وهو بحة الصوت.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص١٠١.

أشوى: أيسر وأهون، يقول: لسانى أمضى من سيفى، فالسيف أسلم موقعاً من لسانى وأهون.

وقال الحصين المري:

جزى الله عنا عبد عمرو ملامة ... وعدوان سهم ما أدق وألأما

وحي مناف قد رأينا مكانهم ... وقران إذ أجرى إلينا وألجما

وآل لقيط إنني لن أسوءهم ... إذا لكسوت العم بردا مسهما(١)

* * *

وقال راشد بن شهاب اليشكري:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد

أموف بأدراع ابن طيبة أم تذم

بذم يغشى المرء خزيا ورهطه

لدى السرحة العشاء في ظلها الأدم(٢)

---

(١) المفضليات ص ٦٨، ٦٩.

عدوان سهم: يعني عدوان بن سهم بن مرة، أضاف الابن إلى الأب، الدقة: الخسة، قران: قبيلة أو رجل، أجرى الخيل، وألجمها، العم: الجماعات، البرد المسهم: المخطط الذي يشبه وشيه بنقش السهام، والمعنى: لهجوتهم جميعاً هجاء يبقى أثره، ويشتهرون به شهرة البرد المسمع، ويتسامع الناس به.

(٢) المفضليات ص ٣٠٩.

السرحة: واحدة السرح، هو شجر كبار عظام لا ترعى، وإنما يستظل فيه، العشاء - بتشديد الشين - الخفيفة، وهذه السرحة كانت بعكاظ، يجتمع الناس إليها، ويضربون قباب الأدم.

* * *

وقال عقال بن هاشم:

لئن كان في قيس وخندف ألسن   طوال وشعر سائر ليس يقدح

* * *

وقال ثابت قطنة يهجو حاجب المازني الشاعر:

أحاجب لولا أن أصلك زيف   وأنك مطبوع على اللؤم والكفر

وأني لو أكثرت فيك مقصر   رميتك رميا لا يبيد يد الدهر

* * *

وقال الأعشى:

ساق شعري لهم قافية   وعليهم صار شعري دمدمه(١)

* * *

وقال أيضاً:

ليأتينه منطق قاذع   مستوسق للمسمع الآثر(٢)

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٩. دمدمة: أي تدميرا، كقوله تعالى: فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها، الشمس ١٤، أي دمر.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٢٠، ديوان الأعشى ص١٤٣. الآثر: الراوية، كقوله تعالى: إن هو إلا سحر يوثر، المدثر ٢٤، أي يروى، قاذع، ويروى سائر، المسمع بصيغة اسم الفاعل، أي القائل.

* * *

وقال زبان بن سيار:

ألم ينه أولاد اللقيطة علمهم بزبـان إذ يـهجـونـه وهـو نائم

يطوفون بالأعشى وصب عليهم لسان كصدر الهند وانى صـارم[(١)]

* * *

وكذلك قصائد المدح السائرة

قال سلامة بن جندل

دع ذا وقل لبنى سعد لفضلهم مدحا يسير به غادى الأراكيب[(٢)]

* * *

وقال المسيب بن علس

فلأهدين مع الرياح قصيده مني مغلغلة إلى القعقاع

ترد المياه فلا تزال غريبة في القوم بين تمثل وسماع[(٣)]

---

(١) الأصمعيات ص ٢١١ اولاد اللقيطة بنو حذيفة بن بدر الفزارى، واللقيطة: لقب أمهم، وهى نضيرة الفزاريه. يقول يهجونه وهو لا يعبأ بهم، ولا يلتفت إليهم.

(٢) المفضليات ص ١٢

الأراكيب: جمع أركوب - بضم الهمزة - وهو أكثر عدداً من الركب الذى هو جمع راكب.

(٣) المفضليات ص٩٢. مع الرياح: يعنى تذهب كل مذهب، مغلغلة: يتغلغل بها الناس لحسنها، ويسلكون بها كل غامض. غريبة: لا تزال تأتى قوماً على مياههم، ليست من قول شعرائهم، فهى غريبة لذلك.

* * *

وقال الشاعر:

مصون الشعر تحفظه فيبقى   وحشو الشعر يورثك الملالا(١)

* * *

أما قول ذي الرمة:

فما لهم في العلا راكب   ولا لهم في الوغى فارس
ممرطلة في حياض الملام   كما دعس الأدم الداعس
إذا طمح الناس للمكرمات   فطرفهم المطرق الناعس

هذه المعاني وردت كثيراً في الشعر القديم.

* * *

وقال الفرزدق في هجاء جرير:

وإن تهج آل الزبرقان فإنما   هجوت الطوال الشم من هضب يذبل
وقد ينبح الكلب النجوم ودونها   فراسخ تضني القين للمتأمل

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٤٤.

* * *

وقال البعيث فى هجاء جرير:

كليب لئيم الناس قد تعلمونه   وأنت إذا عدت كليب لئيمها

أترجو كليب أن يجئ حديثها   بخير وقد أعيا كليبا قديمها

* * *

وقال جرير يهجو الأخطل:

ولو ان تغلب جمعت أنسابها   يوم التفاضل لم تزن مثقالا

* * *

قال الأخطل فى هجاء الفرزدق

ولقد شددت على المراغة سرجها   حتى نزعت وأنت غير مجيد

وعصرت نطفتها لتدرك دارما   هيهات من مهل عليك بعيد

وإذا تعاظمت الأمور لدارم   طأطأت رأسك عن قبائل صيد[1]

* * *

(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٠٢.

وقال سويد بن أبى كاهل اليكشرى:

ثم ولى وهو لا يحمى .... طائر الإتراف عنه قد وقع
ساجد المنخر لا يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع(١)

***

وقال الفرزدق فى هجاء الأخطل:

يا ابن المراغة والهجان إذا التقت أعناقها وتماحل الخصمان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان
إن الأراقم لن ينال قديمها كلب عوى متهتم الأسنان(٢)

***

وقال فى هجاء جرير:

ولو ترمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضحت لسار
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا بجار(٣)

---

(١) المفضليات ص٢٠١، الإتراف: الترف والتنعم، قد وقع: يريد أنه ذهب عنه تنعمه.
(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٠١، الهجان: جمع هجين.
(٣) السارى: السائر فى الليل، بجار: يريد أنهم أذلاء جبناء لا تقضي حوائجهم إلا فى حماية قوى، يجيرهم من الأذى.

* * *

وقال نابغة بنى جعدة:

إذا افتخر الأزدى يوما فقل له   تأخر فلن يجعل لك الله مفخرا
فإن ترد العليا فلست بأهلها   وإن تبسط الكفين بالمجد تقصرا(1)

* * *

والتصوير بالحجر ورد فى الشعر القديم:

قال العباس بن الأحنف:

أيا زهر الملاحة والجمال   فؤادك من سقام الحب خالى
ولم أر مثل من يشكو هواه   إلى من لا يرق ولا يبالى
وأنت كأن قلبك حين أشكو   براه الله من صم الجبال(2)

---

(1) جمهرة أشعار العرب ص ٦٣٠، ٦٣١.

(2) سقام: مرض، الملاحة: غير الجمال، لأن الملاحة معنى يمكن إدراكه، ولا يمكن وصفه، بخلاف الجمال، فإنه يمكن أن يوصف، براه: خلقه، صم الجبال: يقال حجر أصم وصخرة صماء أى صلب مصمت.

الفصل الحادى عشر

الألفاظ والمعانى فى المقامة الغيلانية

وعلاقتها بالشعر القديم

* * *

خصم: يقال للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

قال ثعلبة بن صعير:

ولرب خصم جاهدين ذوى شذا　　تقذى صدوورهم بهتر هاتر(١)

وقال متمم بن نويرة فى أخيه مالك:

ويوما إذا ما كظك الخصم إن يكن

نصيرك منهم لا تكن أنت أضيعا(٢)

* * *

النجيبة: الكريمة من الإبل المختارة.

قال الراهب زهرة بن سرحان:

يصرخ فى عشيرة مجيبه　　فيركب النجيب والنجيبه(٣)

الكريم والكريمة.

---

(١) المفضليات ص١٣١، الخصم: بفتح الخاء وسكون الصاد، الشذا: الأذى، تقذى: تقذف بالقذى، الهتر الهاتر: الكلام القبيح.

(٢) المفضليات ص ٢٦٤. كظك: بلغ منك غاية الغم، حتى يقطعك عن الكلام، الخصم: بفتح الخاء يقال للمفرد والجمع والمذكر والمونث، يكن: الضمير لأخيه مالك.

(٣) الوحشيات ص ٩٦.

وقال أوس بن حجر:

برأس النجيبة والعبد والـ وليدة كالجؤذر الكاعب(١)

أى الناقة الكريمة.

وقال عنترة:

صبر أعدوا كل أجرد سابح ونجيبة ذبلت وخف حشاها(٢)

أى الجواد والناقة الضامرة، وهى من صفات المدح فى الإبل.

* * *

والجنيبة: ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تركب، إذا تعبت إحداهما ركبت الأخرى، والمذكر منه جنيب.

قال أبو سلمى فى خاله أسعد المرى، وابنه كعب، وكان حمل أمه وفارقهما:

لتصرفن إبل مجنبة من عند أعد وابنه كعب

الآكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب(٣)

المجنبة أى الجنيبة.

---

(١) ديوان أوس بن حجر ص ١١. (٢) ديوان عنترة ص ٧٤.

(٣) الشعر والشعراء ١٤٣/١، شرح ديوان زهير ص٢.

مجنبة: مجنوبة، من قولهم: جنب الفرس: قاده إلى جنبه، وشدد للتكثير. الحبارى: طائر. البرعم: كم ثمر الشجر والنور. هوج منيبة: أى راجعة. قدر مهوى: حيث يهوى منه.

وقال آخر:

تعارضُ مجرى الريح هوج منيبة   إذا نصبت أعناقهـا للجنـائب
فما زال كالموقوذ حتى غشيته   وكان قريبا قدر مهوى المواثب(١)

الجنائب: جمع جنيبة.

وقال المعرى:

تسرى إذا هفت الجنوب لعلنا   نخفى حسيس جنائب ورواحل(٢)

وقال زهير:

القائد الخيل منكوبا دوابرها   قد أحكمت حكمات القد والأبقا
غزت سمانا فآبت ضمرا خدجا   من بعد ما جنبوها بدنا عققا
حتى يؤوب بها شعثا معطلة   تشكو الدوابر والأنساء والصفقا(٣)

جنبوها: أي قادوا الخيل إلى جانبها.

---

(١) مجالس ثعلب ٢/٥٠٧.

(٢) شروح سقط الزند ٢/٧٣١.

هفت الجنوب: أي خفت فى هبوبها، الرواحل: جمع راحلة، وهى الناقة التى تركب فى السفر، السرى: سير الليل، الجنوب: الريح القبلية، والجنائب: الخيل المقودة، واحده جنيب، وتكون فى موضع آخر الإبل المقودة، الحسيس: الصوت الخفى، يقول: كنا فى الطريق نخاف فلا نسرى إلا إذا هبت الرياح لندس بين صخبها نبأة الرواحل، فنخفى سرانا.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٤٩ - ٥١

أى قادها فى الغزو فأبعد بها حتى نكبت دوابرها، أحكمت: جعل لها القد حكمات، والحكمة: حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه، =

وقال امرؤ القيس:

وتنوفة جرداء مهلكة جاوزتها بنجائب فتل

فيبتن ينهسن الجبوب بها وأبيت مرتفقا على رحلي[1].

النجائب: جمع نجيبة.

* * *

=وكانت العرب تتخذها من القد والأبق، لأن قصدهم الشجاعة لا الزينة، وسميت حكمة لذلك، يقال حكمت الفرس: إذا قدعته وكففته، الأبق: شبه الكتان، أو حبال القنب، الدوابر: مآخير الحوافر، أى أكلت الأرض دوابرها، قيل: قد أحكمت هذه الخيل فى الصنعة كما أحكمت هذه الحكمات، وكإحكام الأبق، خدجت: إذا وضعته قبل وقته، وأخدجت: إذا جاءت به ناقصاً وإن كان لتمام، أى رجعت ضمرا مهازيل قد ألقت بأولادها لغير تمام من التعب مفردها خدوج، جنبوها: من الجنيبة، أى قادوها، وكانوا يركبون الإبل، ويقودون الخيل، فهى جنيبة ومجنوبة، بدنا: عظام الأبدان، مفردها بادن، العقق: جمع عقوق، وهى التى عظمت بطونها، أو التى استبان حملها، فيقول: وضعت ما فى بطونها من شدة السير، وخص ذكر العقق ليخبر بجهد جميعها، وشدة عنائها وتعبها، يؤوب: يرجع مع الليل، معطلة: لا أرسان عليها من الإعياء والجهد، فتمشى بلا أرسان، والنسا: عرق فى الفخذ، والصفاق: الجلد الذى دون الجلد الأعلى مما يلى البطن، حيث ينقب البيطار.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٣٧.

التنوفة: الأرض الخالية الواسعة التى لا شئ فيها، الجرداء: التى لا نبت ولا شجر فيها، المهلكة: التى يهلك فيها الناس لبعدها، النجائب: الكرام من الإبل المختارة، والذكر نجيب، والأنثى نجيبة، والفتل من الإبل: التى فى مرافقها وأيديها بعد عن مناكبها، وذلك أكرم لها، ويقال للذكر أفتل، والأنثى فتلاء، ينهسن: أى يأكلن، الجبوب: الأرض ذات المدر الغليظ، أبيت مرتفقا: أى واضعا مرفقي.

وقال امرؤ القيس في وصف بيد:

وقد محا الجدب عنها كل ساكنها   فما بأجوازها عجم ولا عرب
ما يأنس القوم فيها من مخافتها   والهول فيها ولا المهرية النجب[1]

النجب: جمع نجيبة أي المختارة.

وقال امرؤ القيس:

مطوت بهم حتى تكل مطيهم   وحتى الجياد ما يقدن بأرسان[2]

أي الجياد المجنبة أو الجنيبة.

وقال امرؤ القيس يصف ناقة:

كأن بها هرا جنيبا تجره   بكل طريق صادفته ومأزق[3]

أي مجنوبا.

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣٠٤. الجدب: القحط، أجوازها: أي أوساطها، المهرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، من اليمن، النجب: المختارة.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٩٣، يقول: ركبت أنا وهم المطي، ومددت بهم في السير حتى كلت وأعيت حتى لا تحتاج الجياد من الإعياء والتعب إلى أرسان تقادبها، وكانوا يركبون المطي، ويقودون الخيل، والجياد: جمع جواد؛ وهو اللاحق الضامر الكشح، الكريم.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٧٠.

كأن بها هرا: أي هي من سرعتها كأن إلى جنبها هرا يخدشها، فهي لا تستقر، ومعنى جنيب: أي مجنوب، صادفته: أي مرت به، والمأزق: الطريق الضيق، وأكثر ما يقال ذلك في الدرب بين الصفين.

وقال عنترة:

هر جنيب كلما عطفت له　　　غضبى اتقاها باليدين وبالفم(١)

أي مجنوب.

وقال المثقب العبدي في وصف ناقة:

كأن جنيبا عند معقد غرزها　　　تــزاولــه عن نفســه ويــريــدهــا

تهالك منها في الرخاء تهالكا　　　تهالك إحدى الجون حان ورودها(٢)

جعل الجنيب هرا.

وقال الممزق في لكيز بن أقصى زعيم قبيلة لكيز:

قضى لجميع الناس إذ جاء أمرهم　　　بأن يجنبوا أفراسهم ثم يلحقوا

يؤم بهن الجزم خرق سميدع　　　أحذ كصدر الهندواني مخفق(٣)

---

(١) شرح المعلقات السبع ص١٨٧، هامش صفحة ١٧٠، ديوان امرئ القيس.

(٢) المفضليات ص ١٥٠ - ١٥١، الشعر والشعراء ٧٥٦/٢.

الجنيب: الدابة تقاد إلى جنب أخرى، أراد به هرا، يقول: كأنها لسرعتها ينهسها هر عند معقد غرزها، وهو حزامها، تزاوله: تخاتله وتعالجه، يريدها: يقصدها بالأذى، التهالك: شدة السير والاجتهاد فيه، الرخاء: الاسترخاء، يقول: استرخاؤها في سيرها تهالك، فكيف باعتمادها، الجون - بالضم - القطا، وأصله جمع جون بالفتح، وهو الأسود، شبهها بقطاة حين ورودها عطشى، فهي لا تألو طيرانا.

(٣) المفضليات ص ٣٠١ - ٣٠٢.

قضى: أي لكيز، اسم أبي القبيلة، تجنبوا أفراسهم: يقودون أفراساً بجانب إبلهم =

أي يقودون أفراسهم بجانب إبلهم ليركبوها عند الحرب.

***

الأورق من الإبل: الآدم، أو ما في لونه بياض وسواد، أو على لون الرماد، والورق من ألأم الإبل، ومن أطيب الإبل لحماً، لا سيرا وعملا.

قال ثعلبة العبدى يصف فرسه:

وتعطيك قبل السوط ملء عنانها وإحضار ظبى أخطأته المجادف

بللت بها يوم الصراخ وبعضهم يخب به فى الحى أورق شارف(١)

أي جمل على لون الرماد.

وقال زهير:

إذا ما سمعنا صارخا معجت بنا إلى صوته ورق المراكل ضمر(٢)

=ليركبوها عند الحرب، والمعنى: أوجب عليهم أن يركبوا الإبل، ويجنبوا الخيل متوجهين إلى الغارة، يؤم بهن على حزم من أمره، أو الحزم: الحزن من الأرض، وهو الغليظ، الخرق: المتخرق فى فنون الخير والمعروف، السميدع: الجميل الشجاع، الأحذ: الخفيف، الهندوانى: السيف، المخفق: المضروب.

(١) المفضليات ص ٢٨٢. ملء عنانها: أى عدوا ملء عنانها، الإحضار: العدو، المجادف: ما يجدف به، أى يرمى به، بللت بها: ملكتها وكانت فى قبضتى، الصراخ: إجابة المستصرخ، ويقال أيضاً للاستعانة، يخب: من الخبب، وهو ضرب من العدو، الأورق: على لون الرماد، والورق ألأم الإبل، الشارف: الهرم الكبير.

(٢) شرح ديوان زهير ص ٢١٥

الصارخ والصريخ: المغيث والمستغيث ضد، معجت: مرت مرا سريعاً سهلا، وأصل =

ورق المراكل: قد اسودت مواضع أرجل الفرسان.

وقال النابغة الذبياني:

فيهم بنات العسجدي ولاحق   ورق مراكلها من المضمار(١)

★★★

ومنه الورقاء للحمامة.

قال المرار بن منقذ:

ما أنا الدهر بناس ذكرها   ما غدت ورقاء تدعو ساق حر(٢)

أي الحمامة بلون الرماد.

=المعج: سرعة المر، ومعج الفرس: اعتمد على إحدى عضادتي العنان، مرة في الشق الأيمن، ومرة في الشق الأيسر، ورق المراكل: قد اسودت مواضع أرجل الفرسان، لأن الشعر تحات عنها، فاسود موضعه لكثرة الركوب في الحرب، والأورق: لون الرماد، ومراكل الدابة: حيث يركله الفارس برجله إذا حركه للركض، وهما مركلان، وإنما جمعه بما حوله.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص٩٥.

فيهم بنات العسجدي: يعني أنهم أهل خيل وحروب، والعسجد، ولاحق: فرسان كانا في الجاهلية من فحول الخيل المنجبة، ورق مراكلها من المضمار: كانت خيلا ترعى فركبها الوبر، فلما دخلت المضمار، وركبها الغلمان ضربوا مراكلها بأعقابهم، فذهب الوبر، وبذل منه الشعر، ومراكلها: موضع أعقاب الغلمان حيث يحركونها، والورق: جمع أورق، وهو الذي لونه يضرب إلى السواد مثل لون الرماد، وإذا تحات وبر المركل وشعرها لم ينبت شعرهن الذي سقط منهن، فلذلك وصفها بالورقة، لأنها تضرب إلى السواد.

(٢) المفضليات ص ٩٣. الورقاء: الحمامة، ساق حر: ذكر الحمام القماري، سمي بذلك أخذا من صوته، ويسمى صوته أيضاً ساق حر.

قال العديل بن الفرخ فى الإبل:

قوارب الماء سوامى الأبصار

وهن ينهضن بدكداك هار

أورق من ترب العراق خوار(١)

★ ★ ★

جعد اللغام: أي متراكمه، فكأنه جعد بعضه فوق بعض كالشعر المجعد، فيه تقبض.

قال المرار بن منقذ:

راقه منها بياض ناصع   يؤنق العين وضاف مسبكر

تهلك المدراة فى أفنانه   فإذا ما أرسلته ينعفر

جعدة فرعاء فى جمجمة   ضخمة تفرق عنها كالضفر(٢)

---

(١) الشعر والشعراء ١/٤١٤. قوارب الماء: طوالب الماء، الدكداك: الرمل يتلبد بعضه على بعض بالأرض ولا يرتفع كثيراً، الأورق: الذى لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد أورق، يريد أن لون الدكداك كلون الرماد.

(٢) المفضليات ص ٨٩ - ٩٠.

يؤنق: يعجب، ضاف: سابغ طويل، عنى شعرها، مسبكر: منبسط مسترسل، المدراة: المشط، هلاكها: غوصها فلا تظهر فيه، أفنانه: ذوائبه، وأصل الفنن: الغصن، ينعفر: يصيبه العفر - بفتحتين، أى التراب، من طوله، جعدة: جعدة الشعر: فيه تقبض، فرعاء: طويلة الشعر، الضفر: جمع ضفير.

أى جعدة الشعر فيه تقبض، ليس بسبط.

وقال المخبل السعدى

وتضل مدراها المواشط فى جعد أغم كأنه كرم(١)

أى الشعر المتقبض ليس بالسبط.

وقال الراعى:

تضم على مضمومة فارسية ضفائر لا ضاحى القرون ولا جعد(٢)

على المعنى نفسه.

وقال أبو النجم:

كأنه حين تدمى مسحله

وابتل ماء نحره وكفله

جعد طوال ظل دجن يغسله(٣)

---

(١) المفضليات ص ١١٦.

المدرى: المشط، الجعد: الشعر المتقبض ليس بالسبط، الأغم: الشعر الكثير، وأصله من الغمم، وهو أن يسيل الشعر من كثرته فى الوجه والقفا، الكرم: شجر العنب، شبهه به لكثرته، والجعد لا يكون إلا قليلاً، فإن كان كثيراً فهو غاية مدحه.

(٢) لسان العرب ١٣١/١٧.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٧١.

المسحل هنا: اللجام أو الحديدة التى لا تكون على طرفى شكيم اللجام، وهى التى تجعل فى فم الفرس ليخضع، جعد: متقبض مجتمع شديد.

أى متقبض متجمع شديد.

وقال ابن ميادة:

ألم يبلغك أن الحى كلبا أرادوا فى عطيتك ارتدادا
أرادوا لى بها لونين شتى وقد أعطيتها دهما جعادا[1]

* * *

أو الجعد: المندى، أو المبتل.

قال النابغة الذبيانى يصف مواضع دمن:

تأبد لا ترى إلا صوارا بمرقوم عليه العهد خال
تعاورها السوارى والغوادى وما تذرى الرياح من الرمال
أثيث نبته جعد ثراه به عوذ المطافل والمتالى[2]

أى ترابه ند.

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٧٧٣.
يقصد إبلاً دهما جعاداً، والدهم من الدهمة، وأصلها السواد، وهى فى ألوان الإبل أن تشتد الورقة حتى يذهب البياض، جعاد: جمع جعد، وهو من جعودة الشعر، ولعل هذا عندهم من محاسن الإبل.

(٢) ديوان النابغة الذبيانى ص ١٤٩ - ١٥٠.
تأبد: أى توحش موضع هذه الدمن، الأوابد: الوحش، الصوار: قطيع البقر، بمرقوم: =

وقال نابغة بنى جعدة:

من رمل عرنان أو من رمل أسنمة

جعد الثرى بات فى الأمطار مدجونا[1]

أى مبتل،أو مندى،فإن ابتل صار جعداً،فان تجاوز ذلك صار طينا.

★ ★ ★

وقال امرؤ القيس يصف فرسا يطارد نعاجا:

وولى كشؤبوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثراه منصب[2]

أى الشديد النداوة، أو المتراكب بعضه على بعض.

=يعنى برسم، العهد: أراد به المطر، أى على هذا الرسم أثر العهد وتغيره، خال: من نعت المرقوم، أى لا أنيس به، تعاورها: أى تعاقب على هذه الدمن أمطار الليل والنهار، فمحت آثارها، وغيرت رسومها، جعد ثراه: أى ترابه ند، وما كان فيه ندى فهو جعد، العوذ: الحديثات النتاج، المطافل: التى معها أولادها، المتالى: التى نتج بعضها، فما بقى فهو المتالى، وقيل: المتالى: هى التى تتلوها أولادها.

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨٩. عرنان: اسم نقا، وأسنمة: اسم مكان.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٥٠.

ولى كشؤبوب العشى: شبه شدة دفع الفرس فى الجرى بدفعة المطر، وخص شؤبوب العشى، لأنه أغزر من غيره وأشد، والجعد: الشديد النداوة، المنصب: المرتفع المنتصب، وصفه بذلك لشدة وقع حوافرهن، فيثرن ما لا يكاد يثور، وقيل: الجعد: المتراكب بعضه على بعض، وهو من صفة الغبار، والتقرير: يخرجن من غبار جعد ثراه، والأفضل: ويخرجن من مكان مخصب ند قد تجعد ثراه لندوته، وربت أرضه وتنصبت لريها، وثراها، فعلت، =

* * *

وقال امرؤ القيس يصف آتنا وفحلاً.

ويأكلن بهمى جعدة حبشية   ويشربن برد الماء فى السبرات(١)

أى مبتلة أو منداة، أو متراكبة بعضها فوق بعض.

* * *

أو الجعد بمعنى الخفيف

قال سلامة بن جندل:

فبت كأن الكأس طال اعتيادها   على بصاف من رحيق مروق

كريح ذكى المسك بالليل ريحه   يصفق فى إبريق جعد منطق(٢)

أى الساقى الخفيف.

=والمعنى أن هذه النعاج كانت فى خصب فهو أسرع لها وأقوى على العدو، والفرس مع ذلك لاحق بهن.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨٠.

يصف الأتن والفحل، يأكلن بهمى: أى هى فى خصب، والبهمى: نبت له شوك تكلف به الحمير، وتصلح عليه، حبشية: أى شديدة الخضرة تضرب إلى السواد لريها ونعمتها، ويشربن برد الماء: أى لقوتهن وجلدهن، وتمكن سمنهن يشربن بارد الماء فى الغدوات الباردة، ولا يبالينه، والسبرات: جمع سبرة، وهى الغداة الباردة.

(٢) الأصمعيات ص ١٣٣.

اعتيادها: معاودتها، المروق: المصفى بالراووق، وهو المصفاة، يصف ذهوله لما نابه من الحزن، كالمكثر من الشراب، يصفق: يمزج، أو يحول من إناء إلى إناء، الجعد: الخفيف من الرجال، عنى به الساقى، المنطق: المشدود على وسطه النطاق.

***

أو الجعد بمعنى القصير.

قال دريد بن الصمة:

وأنت امرؤ جعد القفا متعكس   من الأقط الحولي شبعان كانب[1]

أي قصير القفا.

وقال ذو الرمة:

سوى وطأة في الأرض من غير جعدة

ثنى أختها في غرز عوجاء ضامر[2]

وقال حميد بن ثور في صفة الوطب:

فعضت تراقيه بصفراء جعدة   فعنها تصاديه وعنها تراود[3]

---

(١) الأصمعيات ص ١١٣.

الجعد: القصير، المتعكس: المتثنى غضون القفا، أو المجتمع، الكانب: الغليظ، وقيل أي أنت سمين وأنت صاحب غنم.

(٢) الشعر والشعراء ١٤٨/١.

سوى وطأة: يعني نفسه عند نزوله، من غير جعدة: من رجل غيره كبيرة ليست قصيرة.

(٣) التراقي: جمع ترقوة، وأصلها العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وأراد بتراقي الوطب هنا أعاليه، والوطب: سقاء اللبن خاصة، وهو جلد الجذع فما فوقه، وأراد بالصفراء الجعدة سنها، ووصفها بالجعودة على معنى أنها قصيرة شديدة.

* * *

وهو وَصف للناقة كثيراً ما يكون فى الشعر القديم، أى إن زبدها كثير.

قال الحكم الخضرى:

إذا غضبت أن يزجر العيس خلفها

كست خطمها من كسوة لم تهدب[1]

أى الزبد الذى يعلو فم الناقة.

* * *

واللغام: زبد الجمل يقذفه من فيه.

قال ذو الرمة:

ولم ينقضوا التوريك عن كل ناعج وروعاء تعمى باللغام سناد[2]

أى بالزبد.

---

(١) الأصمعيات ص ٣٢.

العيس: الإبل الخالصة البياض، الخطم: مقدم الأنف، لم تهدب: من هدبة الثوب، وهى طرفه الذى لم ينسج، وأراد بالكسوة ما يعلو فم الناقة من الزبد، فهى تغضب إذا حاول غيرها أن يلحقها.

(٢) شرح ديوان ذى الرمة ص ٢٦.

وقال كعب بن زهير:

تنفى اللغام بمثل السبت خصره حاذ يمان إذا ما أرقلت خفقا[1]

أى تنفى الزبد

وقال المعرى

والعيس نعلن بالحنين لبكم ولغامها كالبرس طار نديفه[2]

وقال آخر

كأن لغامها برس نديف[3]

وقال المعرى.

يراقب ضوء الصبح من كل مطلع ولا ضوء إلا ما بدا من لغامه[4]

★★★

والتلغيم: من اللغام.

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٢٣٦.

(٢) شروح سقط الزند ١١٠٨/٣ - ١١٠٩.

العيس: الإبل البيض، لغامها: ما ترميه من الزبد من فيها إذا سارت، البرس: القطن.

(٣) شروح سقط الزند ١١٠٩/٣.

(٤) شروح سقط الزند ٤٩٥/٢

جعل لغامه، وهو زبده، لما كان أبيض، صبحا، وهو تصوير للغام الجمل.

قال علقمة بن عبدة يصف ناقة:

كأن غسلة خطمى بمشفرها   فى الخد منها وفى اللحيين تلغيم[(١)]

تلغيم: من اللغام، وهو الزبد.

* * *

وهذا المعنى يدل على كثرة اللغام.

قال المعرى:

على عشر كالنخل أبدى لغامها

جنى عشر مثل السبيخ الموضع[(٢)]

أى زبدها.

---

(١) المفضليات ص ٣٩٩.
الغسلة: ما غسل به الرأس، الخطمى: نبات يغسل به، التلغيم: تفعيل من اللغام، وهو زبد تخلطه خضره مما رعت، وهذا المشتق لم يذكر فى المعاجم، يقول: قد رعت البقل وكأن بمشرفها خطيما من خضرته.

(٢) شروح سقط الزند ١٥٠٧/٤.
العشر من الإبل: التى أظماؤها العشر، وهو ورود الماء فى كل عشرة أيام، واحدها عاشر، ويقال لها العواشر، والعشر أطول الأظماء، وشبهها بالنخل فى ارتفاع خلقها، اللغام: لعاب الإبل، شبهه فى بياضه بجنى العشر، لأنه أبيض، والعشر: ضرب من الشجر لا قوة له، أو نوع من العضاة، وجناه: ما يجنى منه، وهو شئ يظهر منه أبيض، يشبه القطن، يقال له: الفوف، ويشبه به لغام الإبل، والسبيخ: جمع سبيخة، وهى القطعة المستطيلة من القطن،=

وقال ذو الرمة:

كأن اللغام الهيبان تطيره   جنى عشر تنفيه أشداقها الهدل[1]

أى الزبد.

وقال الراجز:

كـأن مـا تنفيـه مـن لغامهـا

سبائخ القطن على زمامها[2]

أى زبدها.

وقال النابغة:

وإذا يلوث لغامه بسديسه   ثنى فهب هبابه وتزيدا[3]

أى زبده.

* * *

= الموضع: الموضوع فوق الثوب أو غيره، الخياط يوضع القطن على الثوب توضيعاً، يقول:
أراك جفنك منعطف الوادى، وأنت على إبل ضوادى.

(١) شروح سقط الزند ١٥٠٨/٤، شرح ديوان ذى الرمة ص ٧٥.
يروى: تطير اللغام الهيبان كأنه.

(٢) شروح سقط الزند ١٥٠٨/٤.

(٣) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٣.

* * *

وقال حبيب أبو تمام:

فالرزق لا تكمد عليه فإنه   يأتى ولم تبعث إليه رسولا

وقال أبو ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال محمود الوراق:

يا عائب الفقر ألا تزدجر   عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله   على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصى كى تنال الغنى   وليس تعصى الله كى تفتقر(١)

* * *

قال أعرابى بعد أن نال بغيته وهو ابن سبيل:

لا والذى أنا عبد فى عبادته   لولا شماتة أعداء ذوى إحن

ما سرنى أن أبلى فى مباركها   وإن أمرا قضاة الله لم يكن

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال:

---

(١) العقد الفريد ٢/١٤٤

لولا شماتة أعداء ذوى حسد　　وإن أنال بنفعى من يرجينى
لما خطبت إلى الدنيا مطالبها　　ولا بذلت لها عرضى ولا دينى
لكن منافسة الأكفاء تحملنى　　على أمور أراها سوف تردينى
وقد خشيت بأن أبقى بمنزلة　　لا دين عندى ولا دنيا تواتينى

***

دخل أعرابى على خالد بن عبد الله القسرى، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

أصلحك الله قل ما بيدى　　فما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلكله　　فأرسلونى إليك وانتظروا

قال: أرسلوك وانتظروا، والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم، فأمر له بأربعة أبعرة موقورة براً وتمراً وخلع عليه.

***

أقبل أعرابى إلى مالك بن طوق، فأقام بالرحبة حيناً وكان الأعرابى من بنى أسد صعلوكاً فى عباءة صوف وشملة شعر، فكلما أراد الدخول منعه الحجاب، وشتمه العبيد وضربه الأشراط، فلما كان فى بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة، فعارضه الأعرابى، فضربوه

ومنعوه، فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه، ثم قال: أيها الأمير إنى عائذ بالله من أشراطك هؤلاء، فقال: مالك، دعوا الأعرابى ، هل من حاجة يا أعرابى ؟ قال أصلح الله الأمير أن تصغى إلى بسمعك ، وتنظر إلى بطرفك وتقبل إلى بوجهك، قال: نعم ، فأنشأ الأعرابى يقول:

ببابك دون الناس أنزلت حاجتى   وأقبلت أسعى حوله وأطوف
ويمنعنى الحجاب والستر مسبل   وأنت بعيد والشروط صفوف
يدورون حولى فى الجلوس كأنهم   ذئاب جياع بينهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا   فأصرف عنه إننى لضعيف
ومالى من الدنيا سواك ولا لمن   تركت ورائى مربع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف   ومن هو فيها نازل وحليف
تخطى أعناق الملوك ورحلتى   إليك وقد حنت إليك صروف
فجئتك أبغى اليسر منك فمر بى   ببابك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن نحو بابك عودة   فقلبى من ضرب الشروط مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه. ثم قال لمن حوله: من يعطيه درهماً بدرهمين وثوباً بثوبين، فوقعت عليه الثياب والدراهم

من كل جانب حتى تحير الأعرابى، ثم قال له: هل بقيت لك حاجة يا أعرابى؟ قال: أما إليك فلا، قال: فإلى من؟ قال: إلى الله أن يبقيك للعرب، فإنها لاتزال بخير ما بقيت لها[1].

***

وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما، فقالت: إنى أتيت من أرض شاسعة، تهيضنى هائضة وترفعنى رافعة فى بوادبرين لحمى، وهضن عظمى، وتركتنى والهة قد ضاق بى البلد، بعد الأهل والولد، وكثرة من العدد لا قرابة تؤوينى، ولا عشيرة تحمينى، فسألت: أحياء العرب من المرتجى سيبه، المأمون عيبه، الكثير نائله، المكفى سائله فدللت عليك، وأنا امرأة من هوازن فقدت الولد والوالد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث إما أن تحسن صفدى، وإما أن تقيم أودى، وإما أن تردنى إلى بلدى، قال: بل أجمعهن لك ففعل ذلك بها. وقال أعرابى:

يا عامل الخير رزقت الجنه اكس بنياتى وأمهنه

وكن لنا من الزمان جنه واردد علينا إن إن إنه[2]

***

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٢.
(٢) العقد الفريد ٢/١٨٣.

وقف أعرابى بقوم فقال: أشكو إليكم أيها الملأ زماناً كلح فى وجهه، وأناخ على كلكله، بعد نعمة من المال، وثروة من المال وغبطة من الحال، اعتورتنى جدائده، بنبل مصائبه عن قسى نوائبه، فما تركا لى ثاغية أجتدى ضرعها، ولا راغبة أرتجى نفعها، فهل فيكم من معين على صرفه، أو معد على حتفه؟ فرد القوم عليه ولم ينيلوه شيئاً فأنشأ يقول:

قد ضاع من يأكل من أمثالكم
جودا وليس الجواد من فعالكم
لا بارك الله فى لكم مالكم
ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالفقر خير من صلاح حالكم

* * *

سأل أعرابى، فلم يعط شيئاً، فرفع يديه إلى السماء وقال:

يا رب أنت ثقتى وذخرى
لصبية مثل صغار الذر
جاءهم البرد وهم بشر

بغير لحف وبغير أزر

كأنهم خنافس فى حجر

تراهم بعد صلاة العصر

وكلهم ملتصق لصدرى

فاسمع دعائى وتول أجرى

***

سأل أعرابى ومعه ابنتان له، فلم يعط، فأنشأ يقول:

أيا ابنتى صابرا أباكما

إنكما بعين من يراكما

الله مولاى وهو مولاكما

فاخلصا لله من نجواكما

تضرعا لا تدخرا بكاكما

لعله يرحم من أواكما

إن تبكيا فالدهر قد أبكاكما[1]

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٤.

***

وقف أعرابى غنوى على قوم، فقال بعد التسليم: أيها الناس ذهب النيل، وعجف الخيل، وبخس الكيل، فمن يرحم نضر سيف وقل سنة، ويقرض الله قرضاً حسناً لا يستقرض الله من عدم ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، ثم أنشأ يقول:

هل من فتى مقتدر معين ... على فقير بائس مسكين

أبى بنات وأبى بنين ... جزاه ربى بالذى يعطينى

أفضل ما يجزى به ذو الدين

***

وقال أعرابى للمأمون:

قل للإمام الذى ترجى فضائله ... رأس الأنام وما الأذناب كالراس

أنى أعوذ بهرون وحفرته ... وبابن عم رسول الله عباس

من أن تشد رحال العيس راجعة ... إلى اليمامة بالحرمان والياس

***

أصابت الأعراب مجاعة، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق وهو يقول:

يـا رب إنـى قـاعـد كـمـا تـرى
وزوجـتـى قـاعـدة كـمـا تـرى
والـبـطـن منـى جائـع كـمـا تـرى
فـمـا تـرى يـا ربـنـا فـيـمـا تـرى

***

حدث بعض الأعراب قال: أصابتنا سنة وعندنا رجل غنى وله كلب، فجعل كلبه يعوى جوعاً فأنشأ، يقول:

تشكى إلى الكلب شدة جوعه　　وبى مثل ما بالكلب أو بى أكثر
فقلت لعل الله يأتى بغيثه　　فيضحى كلانا قاعدا يتذمر
كأنى أمير المؤمنين من الغنى　　وأنت من النعم كأنك جعفر

***

سأل أعرابى رجلاً يقال له عمرو،فأعطاه درهمين فردهما عليه وقال:

تركت لعمرو درهميه ولم يكن　　ليغنى عنى فاقتى درهما عمرو
وقلت لعمرو خذهما فاصطرفهما　　سريعين فى نقض المودة والأجر(١)

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٥.

* * *

وقال حبيب أبو تمام:

ذل السؤال شجى فى الحلق معترض　　من دونه شرق من خلفه حرض

ما مال كفك إن جادت وإن بخلت　　من ماء وجهى إن أفسدته عوض

وقال الشاعر:

ما نال باذل وجهه بسؤاله　　عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

وإذا النوال مع السؤال وزنته　　رجح السؤال وشال كل نوال

* * *

وقال مسلم بن الوليد:

سل الناس إنى سائل الله وحده　　وصائن عرضى عن فلان وعن فلا

وقال عبيد بن الأبرص:

من يسأل الناس يحرموه　　وسائل الله لا يخيب

وقال ابن أبى حازم:

لطى يوم وليلتين　　ولبس ثوبين باليين

أهون من منة لقوم　　أغض منها جفون عينى

إنى وإن كنت ذا عيال قليل مال كثير دين

لأحمد الله حين صارت حوائجى بينه وبينى

وقال ابن عبد ربه:

سؤال الناس مفتاح عتيد لباب الفقر فاكلف بالسؤال(١)

وقال حبيب أبو تمام:

لم يخلق الرحمن أحمق لحية من سائل يرجو الغنى من سائل

***

- الشيب والشباب:

قال حبيب الطائى:

غدا الشيب مختطا بفودى خطة طريق الردى منها إلى النفس ضيع

هو الزور يخفى والمعاشر يحتوى وذو الإلف يبلى والجديد يرقع

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع(٢)

***

(١) العقد الفريد ٢/٤٦.
(٢) العقد الفريد ٢/٤٧.

وقال محمود الوراق:

بكيت لقرب الأجل وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرأ بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

وقال أيضاً:

لا تطلبن أثرا بعين فالشيب إحدى الميتتين
أبدى مقابح كل شين ومحاسن كل زين
فإذا رأيت الغانيا ت رأين منك غراب بين
وربما ينافسن فيـ ـك وكن طوعا لليدين
أيام عممك الشبا ب وأنت سهل العارضين
حتى إذا نزل المشيـ ـب وصرت بين عمامتين
سوداء حالكة وبيـ ـضاء المناشر كاللجين
مزج الصدود وصالهن فكن امرأ بين بين
وصبرن ما صبر السوا د على مصانعة ودين

حتى إذا شمل المشيـ ـب فجاز قطر الحاجبين
فتقين شراً تقية وأخذن منك الأطيبين
فاقن الحيا أو سل نفـ ـسك أو فناء الفرقدين
ولئن أصابتك الخطو ب بكل مكروه وشين
فلقد أمنت بأن يصيـ ـبك ناظر أبدا بعين

***

وقال حبيب الطائى:

نظرت إلى بعين من لم يعدل لما تمكن حبها من مقتلى
لما رأت وضح المشيب بلمتى صدت صدود مجانب متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف والشيب يغمزها بأن لا تفعلى

وقال آخر:

صدت أمامة لما جئت زائرها عنى بمطروفة إنسانها غرق
وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

***

وقال محمد بن أمية:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواضر
وكن إذا أبصرنني أو سمعن بي دنين فرفعن الكرا بالمحاجر

وقال العلوي:

عيرتني بشيب رأسي نوار يا ابنة العم ليس في الشيب عار
إنما العار في الفرار من الزحـ ـف إذا قيل أين أين الفرار

* * *

وقال ابن عبد ربه في الشيب:

بدا وضح المشيب على عذاري وهل ليل يكون بلا بهار
شريت سواد ذا بياض هذا فبدلت العمامة بالخمار
وألبسني النهى ثوباً جديداً وجردني من الثوب المعار
وما بعت الهوى بيعاً بشرط ولا استثنيت فيه بالخيار(١)

وقال أيضاً:

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم هل من جديد على كر الجديدين

---

(١) العقد الفريد ٢/٤٨.

صل من هويت وإن أبدى معاتبه فاطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه فربما ضاقت الدنيا على اثنين

وقال ابن عبد ربه:

جار المشيب على رأسي فغيره لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
كأنما جن ليل فى مفارقه فاعتاقه من بياض الصبح أسفار

وقال أيضاً:

سواد المرء تنفذه الليالى وإن كانت تصير إلى نفاذ
فاسوده يعود إلى بياض وأبيضه يعود إلى سواد

ومن قوله أيضاً:

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها لم يبق من عهدها إلا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدها على فنائك والدنيا تزكيها
الشيب سفتجة فيها معنونة لم يبق للموت إلا أن يسجيها

ومن قوله أيضاً:

نجوم فى المفارق ما تغور ولا يجرى بها فلك يدور

كأن سواد لمته ظلام أغار من المشيب عليه نور
ألا إن القتير وعيد صدق لنا لو كان يزجرنا القتير
نذير الموت أرسله الينا فكذبنا بما جاء النذير
وقلنا للنفوس لعل عمرا يطول بنا وأطوله قصير
متى كذبت مواعدها وخانت فأولها وآخرها غرور
لقد كاد السلو يميت شوقى ولكن قلما فطن الكبير
كأنى لم أرق بل لم يرقنى شموس فى الأهلة أو بدور
ولم ألق المنى فى ظل لهو بأقمار سحائبها الستور(١)

* * *

وقال محمود الوراق:

أليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مفد إليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه

(١) العقد الفريد ٢/٤٩.

وقال ابن أبى حازم:

ولى الشباب فخلى الدمع ينهمل فقد الشباب يفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

وقال جرير:

ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشترى أو يرجع

وقال صريع الغوانى:

واها لأيام الصبا وزمانه لو كان أسعف بالمقام قليلا
سل عيش دهر قد مضت أيامه هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا

* * *

وقال الحسن:

ولذاتى إذ ذاك فى طاعة الجهـ ـل قوتى من الصبا امراء
ترب عيش لريطتى فضل ذيل ولرأسى ذؤابة فرعاء
بقناع من الشباب جديد لم ترقعه بالخضاب النساء
قبل أن يلبس المشيب عذارى وتبلى عمامتى السوداء

وقال أعرابي:

لله أيام الشباب وعصره   لم يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره   وكذاك أيام السرور قصار

* * *

وقال ابن عبد ربه في الشباب:

ولى الشباب وكنت تسكن ظله   فانظر لنفسك أي ظل تسكن
ونهى المشيب عن الصبا لو أنه   يدلي بحجته إلى من يلقن

ومن قوله فيه:

قالوا شبابك قد مضت أيامه   بالعيش قلت وقد مضت أيامي
لله أية نعمة كان الصبا   لو أنها وصلت بطول دوام
حسر المشيب قناعه عن وجهه   وصحا العواذل بعد طول ملام
فكأن ذاك العيس ظل غمامة   وكأن ذاك اللهو طيف منام[1]

وقال آخر:

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ   ود ما لم يعاض كان جنونا

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٥٠.

وقال آخر:

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها   إن الشباب جنون برؤه الكبر

***

وقال ابن عبد ربه فى الشباب:

كنت إلف الصبا فودعنى   وداع من بان غير منصرف
أيام لهوى كظل أسحلة   وذا شبابى كروضة أنف

ومن قوله فى الشباب:

شبابى كيف صرت إلى نفاد   وبدلت البياض من السواد
وما أبقى الحوادث منك إلا   كما أبقت من القمر الدآدى
فراقك عرف الأحزان قلبى   وفرق بين جفنى والرقاد
فيا لنعيم عيش قد تولى   ويالغليل حزن مستفاد
كأنى منك لم أربع بربع   ولم أرتد به أحلى مراد
سقى ذاك الثرى وبل الثريا   وغادى نبته صوب الغوادى
فكم لى من غليل فيه خاف   وكم لى من عويل فيه باد

زمان كان فيه الرشد غيا   وكان الغى فيه من الرشاد
يقبلنى بدل من قبول   ويسعدنى بوصل من سعاد
وأجنبه فيعطينى قيادا   ويجنبنى فاعطيه قيادى(١)

* * *

وقال مالك بن أسماء:

عيرتنى خلقا أبليت جدته   وهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً

وقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذى فارقت بهجته   من الجديدين من آت ومنطلق
لم يبقيا لى فى طول أختلافهما   شيئاً يخاف عليه لذعة الحدق

* * *

وغنت جارية أمام معاوية:

أليس عندك شكر للتى جعلت   ما ابيض من قادمات الريش كالحمم
وجدت منك ما قد كان أخلقه   ريب الزمان وصرف الدهر والقدم

---

(١) العقد الفريد ٢/٥١.

* * *

وقال محمود الوراق فى الخضاب:

للضيف أن يقرى ويعرف حقه   والشيب ضيفك فاقره بخضاب

وافى بأكذب شاهد ولربما   وافى المشيب بشاهد كذاب

فازح شهادته عليك بخضبه   تنفى الظنون به عن المرتاب

فإذا دنا وقت المشيب فخله   والشيب يذهب فيه كل ذهاب

وقال آخر:

وقائلة تقول وقد رأتنى   أرقع عارضى من القتير

عليك الخطر هل لك أن تدنى   إلى بيض ترائبهن حور

فقلت لها المشيب نذير عمرى   ولست مسودا وجه النذير

وقال غيره:

إن شيباً صلاحه بخضاب   لعذاب موكل بعذاب

فوحق الشباب لولاه والبيـ   ـض وأن تشمئز نفس الكعاب

لأرحت الخدين من وضر الخطـ   ـر وآذنت بانقضاء الشباب

وقال غيره:

بكرت تحسن لى سواد خضابى   لكان ذاك يعيدنى لشبابى
وإذا أديم الوجه أخلقه البلا   لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ماذا ترى يجدى عليك سواده   وخلاف ما يرضيك تحت ثيابى
ما الشيب عندى والخضاب لمن أصف   إلا كشمس جللت بسحاب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصبا   فيصير ما سترت به لذهاب

* * *

وقال ابن عبد ربه:

أصمم فى الغوية أم أنابا   وشيب الرأس قد أنضى الشبابا
إذا نصل الخضاب بكى عليه   ويضحك كلما نصل الخضابا
كأن حمامة بيضاء ظلت   تقاتل فى مفارقه غرابا[1]

* * *

قال أبو نواس فى الشيب:

يقولون فى الشيب الوقار لأهله   وشيبى بحمد الله غير وقارى

---

(١) العقد الفريد ٢/٥٢.

وقال غيره:

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب إن كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

* * *

وقال أبو دلف:

تهزأت أن رأت شيبى فقلت لها لا تهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيبكن له الويل فاكتئبى
فينا لكن وان شيب بدا أرب وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال محمود الوراق:

وعائب عابنى بشيب لم يعد لما ألم وقته
فقلت للعائبى بشيبى يا عائب الشيب لا بلغته

وقال محمود بن مناذر:

لا سلام على الشباب ولا حيا الإله الشباب من معهود
قد لبست الجديد من كل شئ فوجدت الشباب شر جديد

صاحب ما يزال يدعو إلى العيـــب وما من دعا له برشيد
ولنعم المشيب والوازع الشيـــب ونعم المفاد للمستفيد[1]

★★★

وقال أعرابى:

سلنى أنبئك بآيات الكبر
نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الزاد إذا الزاد حضر
وتركك الحسناء من قبل الظهر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال أعرابى:

أشكو إلى الله وجعاً بركبتى
وهدجاناً لم يكن فى مشيتى
كهدجان الزحلف المبقة

(١) العقد الفريد ٥٣/٢.

وقال آخر:

وللكبير رأيان أربع　　الركبتان والنسا والأخدع

★★★

وقال جرير:

تحيى العظام الراجفات من البلا　　وليس لداء الركبتين دواء

وقال أعرابى فى امرأة:

يا بكر حواء من الأولاد　　وأقدم العالم فى الميلاد

عمرك ممدود إلى التناد　　فحدثنا بحديث عاد

ومبتدا فرعون ذى الأوتاد　　وكيف جاء السيل بالأطواد

وقال آخر:

إذا عاش الفتى سبعين عاما　　فقد ذهب المسرة والغناء[1]

★★★

وقال محمد بن مناذر فى رجل من المعمرين:

إن معاذ بن مسلم رجل　　قد ضج من طول عمره الأبد

(١) العقد الفريد ٢/٥٤.

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهـــر وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كيف تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

* * *

ودخل الشعبى على عبد الملك بن مروان، فوجده قد كبا مهتما، فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: يا شعبى ذكرت قول زهير:

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رأيتها ولكننى أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

قال له الشعبى: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة، وقد بلغ سبعين سنة:

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبى ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعين قال:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا وفى الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ مائة سنة قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف لبيد

فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال:

أليس فى مائة قد عاشها رجل وفى تكامل عشر بعدها عمر

فلما بلغ ثلاثين ومائة وقد حضرته الوفاة قال:

تمنى بناتى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما وقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا عذر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

* * *

قال الشعبى: فقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها. وقال لبيد أيضاً:(١)

---

(١) العقد الفريد ٢/٥٥.

أليس ورائى أن تراخت منيتى لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت أدب كأنى كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد الجفن والنصل قاطع

وقال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر

***

وقال حميد بن ثور الهلالى:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال آخر:

كانت قناتى لا تلين لغامز فألانها الإصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فإذا السلامة داء

وقال بعض المحدثين:

يحيفنى عضوا فعضوا فلم يدع صحيحا سوى اسمى وحده ولسانى

ولو كانت الأسماء يدخلها البلى إذا بلى اسمى لامتداد زمانى

ومالى لا أبلى لسبعين حجة وسبع أتت من دونها سنتان

إذا عن لى شئ تخيل دونه شبيه ضباب أو شبيه دخان

* * *

وقال الغزالى:

أصبحت والله محمودا على أمد من الحياة قصير غير ممتد

حتى بقيت بحمد الله فى خلف كأننى بينهم من وحشة وحدى

وما أفارق يوما من أفارقه إلا حسبت فراقى آخر العهد(١)

وقال آخر:

يا من لشيخ قد تخدر لحمه أفنى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء حالكة وبرد مفوف وأجد لونا بعد ذاك هجانا

قصر الليالى خطوه فتدانى وحنون قائم صلبه فتحانا

والموت يأتى بعد ذلك كله وكأنما يعنى بذاك سوانا(١)

---

(١) العقد الفريد ٢/٥٦.

(٢) العقد الفريد ٢/٥٧.

***

أوهام الكهنة

قال صاحب نهاية الأرب:

وكانت كهنة العرب[1] لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم، ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فمنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع فى الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال فى الوحى، فمن أخبار الكهنة، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تكن قد خمدت قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس، فلما أصبح كسرى تصبر تشجعاً ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومرزبته، فلبس تاجه،

---

(١) العقد الفريد ١٢٨/٢.

وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فازداد غماً وسأل الموبذان وكان أعلمهم فقال: حادث يكون من قبل العرب، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر: أن وجه إلى رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه فوجد إليه عبد المسيح بن حسان بن نفيلة الغسانى فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرنى الملك فإن كان عندى منه علم، وإلا أخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رآه فقال: علم ذلك عند خالٍ لى يسكن مشارق الشام يقال له: سطيح، فأرسله كسرى إليه فورد على سطيح وقد أشفي على الموت فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جواباً فأنشد يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن

أم فاز فازلم به شأو العنن؟

يا فاصل الخطة أعيت من ومن

وكاشف الكربة عن وجه الغضن

أتاك شيخ الحى من آل سنن

وأمه من آل ذئب بن حجن

أزرق ممهى الناب صرار الأذن

أبيض فضفاض الرداء

رسول قيل العجم يسرى بالوسن

لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن

يجوب فى الأرض على ذات شجن

ترفعنى وجنا وتهوى بى وجن

حتى أتى عارى الجاجى والقطن

تلفه فى الريح بوغاء الدمن

كأنما حثحث من حضنى ثكن(١)

ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح،على جملٍ مشيح،أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان؛ رأى إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادى السماوة، وغاصت بحيرة ساوه، وخمدت نار فارس؛ فليس الشام لسطيح شاما، ولا بابل للفرس مقاما، يملك فيهم ملوك وملكات، بعدد الشرفات، وكل ما هو آت آت،ثم قضى سطيح لوقته، فثار عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

---

(١) نهاية الأرب ١٢٩/٣.

شمر فإنك ماضى العزم شمير لا يفزعنـك تفـريق وتغييـر
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوار دهـارير
فـربمـا ربمـا أضحـوا بمنزلـة تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته والهـرمزان وسابـــور وشابـور
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم أما أ ن رأوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن فالخيـر متبع والشـر محـذور

فلما قص الخبر على كسرى قال: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمـور؛ فمـلـك مـنهـم عشرة فى أربـع سـنين، ومـلـك الـباقـون إلى زمـن عثمان رضى الله عنه[1].

* * *

ومـن أخبـارهـم: أن سعـدى بنت كريز بـن ربـيـعـة كـانـت قـد تـطـرقـت وتكهنت وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عنه أنه قال: لما زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته رقية من عتبة بن أبى لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتنى الحسرة أو كالحسرة أن لا أكون سبقت

---

(١) نهاية الأرب ٣/ ١٣٠.

إليها ثم لم ألبث أن انصرفت إلى منزلى فألفيت خالتى فلما رأتنى قالت:

أبشر وحييت ثلاثا تترى

ثم ثلاثا وثلاثا أخرى

ثم بأخرى كى تتم عشرا

أتاك خير ووقيت شرا

نكحت والله حصانا زهرا

وأنت بكر ولقيت بكرا

وافيتها بنت نفيس قدرا

بنت نبى قد أشاد ذكرا

قال عثمان: فعجبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين: فقالت:

عثمان يا ابن أخت يا عثمان

لك الجمال ولك البيان

هذا نبى معه البرهان

أرسله بحقه الديان

وجاءه التنزيل والفرقان

فاتبعه لا تحتالك الأوثان

فقلت: يا خالة! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأثبتيه لي، فقالت: إن محمد بن عبد الله رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، مصباحه مصباح، وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، ذلت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال: ثم قامت فانصرفت ووقع كلامها في قلبي، وجعلت أفكر فيه، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية؛ فكان يقال: إنهما أحسن زوجين اتفاقاً وجمالاً[1].

***

ومنها أن هندا بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت الضيافة، خارجاً من البيوت، تغشاه الناس من غير إذن؛ فخلا البيت ذات يوم واضطجع هو وهند فيه، ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه، فلما رآها ولى هارباً وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها برجله وقال لها: من هذا الذي خرج من عندك؟ قالت: ما رأيت أحداً، ولا انتبهت حتى أنبهتني! فقال لها: ارجعي إلى أبيك، وتكلم الناس فيها، فقال

(١) نهاية الأرب ١٣١/٣.

لها أبوها: يا بنية! إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئينى نبأك،فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله، فتنقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض الكهان،فقالت: لا والله! ما هو على بصادق؛ فقال له: يا فاكه! إنك قد رميت ابنتى بأمر عظيم، فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن؛ فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم، وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف، ومعهم هند ونسوة، فلما شارفوا البلاد، وقالوا: غدا نرد على الرجل، تنكرت حال هند، فقال لها عتبة: إنى أرى ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكنى أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ولا آمنة أن يسمنى ميسما يكون على سبة فقال: إنى سوف أختبره لك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل فى إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدوا قال له عتبه: قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئاً أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمرة، فى كمره. قال إنى أريد أبين من هذا، قال: حبة، فى إحليل مهر، قال: انظر فى أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضى، حتى دنا من هند فقال لها: انهضى غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكا اسمه معاوية؛ فنهض اليها الفاكة فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت: إليك عنى فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك؛ فتزوجها أبو سفيان(١).

---

(١) نهاية الأرب ١٣٢/٣

***

ومنها أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إنى أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، تنحرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن وخرجا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نخبأ له خبئاً فإن أصابه تحاكمنا إليه، وإن لم يصبه تحاكمنا إلى غيره،فوجدا أبا همهمة وكان معهم أطباق جمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأناخوا ببابه وكان منزله بعسفان: فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبئاً فأنبئنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بتهامة من تهمه، وما بنجد من أكمه، لقد خبأتم لى أطباق جمجمه، مع الفلندج أبى همهمه؛ فقالوا: صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلمٍ مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أولا منه وآخر؛ فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين؛ فيقال: إنها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين بنى أمية.

***

ومنها: أن بنى كلاب وبنى نضر خاصموا عبد المطلب فى مال قريبٍ من الطائف فقال عبد المطلب: المال مالى فسلونى أعطكم، قالوا: لا،

قال: فاختاروا حاكماً قالوا: ربيعة بن حذار الأسدى، فتراصوا به وعقلوا مائة ناقة فى الوادى وقالوا: الإبل والمال لمن حكم له، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب حرب بن أمية فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم بجزائر فنحرها عبد المطلب، وأمر فصنع جزرا وأطعم من أتاه، ونحر الكلابيون والنضريون ووشقوا فقيل لربيعة فقال: إن عبد المطلب امرؤ من ولد خزيمة فمتى يملق يصله بنو عمه وأرسل إليهم أن اخبأوا لى خبيئاً فقال: عبد المطلب: قد خبأت كلباً اسمه سوار فى عنقه قلادة، فى خرزة مزادة، وضممتها بعين جرادة، فقال الآخرون: قد رضينا ما خبأت وأرسلوا إلى ربيعة فقال: خبأ ثم خبيئا حيا، قالوا: زد، قال: ذو برثن أغبر، وبطن أحمر، وظهر أنمر قربت؛ قال: سما فسطع، ثم هبط فلطع، فترك الأرض بلقع، قالوا: قربت فطبق قال: عين جرادة، فى خرزة مزادة، فى عنق سوار ذى القلادة، قالوا: زه زه أصبت فاحكم لأشدنا طعاناً وأوسعنا مكاناً، قال عبد المطلب: احكم لأولانا بالخيرات، وأبعدنا عن السوآت وأكرمنا أمهات، فقال ربيعة: والغسق والشفق، والخلق المتفق، ما لبنى كلاب وبنى رباب من حق، فانصرف يا عبد المطلب على الصواب، ولك فصل الخطاب، فوهب عبد المطلب المال لحرب بن أمية[١].

* * *

---

(١) نهاية الأرب ١٣٣/٣

- سحر البيان:

روى عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال: وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، فقال الزبرقان: يا رسول الله: أنا سيد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ له بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - يعنى عمراً - فقال عمرو: أجل يا رسول الله، إنه مانع لحوزته، مطاع فى عشيرته، شديد العارضة فيهم.

فقال الزبرقان: أما إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدنى شرفى! فقال عمرو، أما لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن زمن المروءة أحمق الأب لئيم الخال، حديث الغنى؛ فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله،فقال:يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت: فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الأولى، وقد صدقت فى الثانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحراً. وإن من الشعر لحكمة) ويروى لحكما ، والأول أصح. والذى روى أهل الثبت من هذا الحديث أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن من البيان سحراً،أو من بعض البيان لسحراً[1].

---

(١) جوزة الرجل: ما يجوزه ويملكه، العارضة: البديهة وقوة الكلام، العطن: المناخ حول الورد، وضيق العطن كناية عن البخل، زمن: بالى. زهر الآداب وثمر الألباب ٣٨/١.

وهذا تعليق رائع يدل على تذوق الرسول صلى الله عليه وسلم العالى فى كلام العرب.

* * *

وعمرو بن الأهتم هو عمرو بن سنان بن تميم، وسمي الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فاه. هذا قول ابن قتيبة. وقال غيره بل هتم فوه يوم الكلاب الثانى، وهو يوم كان لبنى تميم على أهل اليمن، وكان عمرو يلقب المكحل لجماله، وبنو الأهتم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والاسلام، وكان يقال: الخطابة فى آل عمرو بن الأهتم وكان شعر عبد الله ابنه حللا منشرة عند الملوك تأخذ منه ما شاءت، وهو القائل:

ذرينى فإن البخل يا أم مالك   لصالح أخلاق الرجال سروق

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها   ولكن أخلاق الرجال تضيق(١)

* * *

والزبرقان اسمه حصن بن بدر، وسمى الزبرقان لجماله، والزبرقان

---

(١) هذا البيت ورد أيضاً فى أبيات بشار التى مطلعها:

خليلى إن العسر سوف يفيق   وإن يسارا فى غد لخليق

وفى القاموس مادة زبرق (زبرق ثوبه) صبغه بصفرة أو حمرة والزبرقان بالكسر: القمر، والخفيف اللحية، ولقب حصن بن بدر الصحابى، لجماله أو لصفرة عمامته.

القمر، وقيل لأنه كان يزبرق عمامته، أي يصغرها فى الحرب؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون: اللفظ الجميل من إحدى النفثات فى العقد.

وهذان البيتان غاية فى الروعة فى المعانى، والألفاظ، والتناول والسهولة فى اللفظ والنظم.

★ ★ ★

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفود أهل كل بلد، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز، فاشرأب منهم غلام للكلام، فقال عمر: يا غلام! ليتكلم من هو أسن منك! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحق بمجلسك منك! فقال عمر: صدقت، تكلم فهذا السحر الحلال. فقال يا أمير المؤمنين! نحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأنا قد أمنا فى أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا.

فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين.

★ ★ ★

المصادر والمراجع

- **البخلاء الجاحظ**، تحقيق دكتور طه الحاجرى، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٩٠م.

- **بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبى، تحقيق محمد مرسى الخولى، مراجعة دكتور عبد القادر القط، القاهرة.

- **البيان والتبين**، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، حققه وشرحه حسن السندوبى، القاهرة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.

- **ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٥م.

- **تجريد الأغانى**، ابن واصل الحموى، تحقيق دكتور طه حسين، إبراهيم الإبيارى، القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

- **مجالس ثعلب**، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقبق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **مجموع الأمثال، الميدانى**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣١٠هـ.

- **جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام**، أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة، ١٩٨١م.

- **الحماسة الشجرية**، ابن الشجرى هبة الله بن على بن حمزة العلوى الحسنى، تحقيق عبد المعين الملوحى، دمشق، ١٩٧٠م.

- **الحيوان**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.

- **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تقى الدين أبو بكر على المعروف بابن حجة الحموى الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٠٤هـ.

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، عبد القادر بن عمر البغدادى، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

- **مختارات الشعر الجاهلى**، عبد المتعال الصعيدى الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م القاهرة.

- **مختارات أشعار العرب**، ابن الشجرى.

- **مختار العقد الفريد**، مراجعة محمد محمود القاهرة.

- **مختار الأغاني في الأخبار والتهاني**، ابن منظور محمد بن مكرم، تحقيق إبراهيم الإبياري، عبد العزيز محمد، دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٣٨٥، ١٩٦٥م.

- **اختيار الممتع في علم الشعر وعمله**، أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، تحقيق دكتور محمود شاكر القطان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ١٩٨٥م، القاهرة.

- **المختار من كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف، بالراغب الأصبهاني، اختيار أنور الجندي، مراجعة علي الجندي، القاهرة، ١٩٦٠م.

- **ديوان إبراهيم بن هرمة**، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٦٩م.

- **ديوان أبي تمام**، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، الطبعات الثالثة، الرابعة الخامسة، القاهرة، سنة ٨٢، ٨٣، ١٩٨٧م.

- **ديوان أبي دلامة الأسدي**، إعداد دكتور علي حسن، عمان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

- **ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري**، المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبط مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

- **ديوان أبي العتاهية**، بيروت، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤.

- **ديوان أبي نواس**، الحسن بن هانئ، أشرف على التحقيق عزيز أباظة، القاهرة، ١٩٥٣م.

- **ديوان أمية بن أبي الصلت**، تحقيق دكتور عبد الحفيظ السطلي، دمشق، ١٩٧٧م.

- **ديوان أوس بن حجر**، تحقيق دكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

- **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الطبعات الأولى، الثانية، الثالثة، القاهرة، ١٩٧٧م.

- **ديوان بديع الزمان الهمذاني**، تحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

- **ديوان ابن الدمينة**، صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد إتب النفاخ، تصدير محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م.

- **ديوان ابن الرومي**، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٣٩٣، ٧٣- ١٩٧٩م.

- **ديوان جرير**، شرح محمد بن حبيب، تحقيق دكتور نعمان محمد أمين طه، القاهرة، ١٩٦٩م.

- **ديوان جميل بثينة**، تعليق دكتور حسين نصار، القاهرة.

- **ديوان حاتم الطائي**، بيروت.

- **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق دكتور سيد حنفي حسنين، القاهرة، ١٩٨٣م.
- **ديوان الحطيئة**، شرح ابن السكيت، والسكرى، تحقيق نعمان أمين طه.
- **ديوان حميد بن ثور الهلالي**، شرح عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٣٧١هـ، ١٩٥١م.
- **ديوان الحماسة**، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، شرح دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
- **ديوان الأخطل**، شرح مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- **ديوان دريد بن الصمة**، تحقيق دكتور عمر عبد الرسول، القاهرة، ١٩٨٥م.
- **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، بيروت، ١٩٧٢م.
- **ديوان ذي الرمة**، تحقيق دكتور عبد القدوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٢.
- **ديوان الراعي النميري**، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨٠م.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، كرم البستاني، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- **ديوان السموءل**، بيروت.
- **ديوان سحيم**، عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.
- **ديوان أشعار الأمير أبي العباس**، عبد الله بن محمد بن المعتز بالله، تحقيق دكتور محمد بديع شريف، القاهرة، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م.
- **ديوان شعر بشار بن برد**، جمع وتحقيق السيد بدر الدين العلوي، بيروت.
- **ديوان شعر الخوارج**، جمع وتحقيق دكتور إحسان عباس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢، ١٩٨٢م، بيروت.
- **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**، تحقيق صلاح الدين الهادي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- **ديوان طرفة بن العبد**، شرح مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- **ديوان عبيد بن الأبرص**، بيروت، ١٩٥٨م.
- **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، تحقيق دكتور محمد يوسف نجم، بيروت، ١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م.
- **ديوان العباس بن مرداس السلمي**، تحقيق دكتور يحيى الجبوري، بغداد، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- **ديوان العرجي**، تحقيق خضر الطائي، رشيد العبيدي، بغداد، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
- **ديوان عروة بن الورد**، شرح كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣م.

- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح مهدى محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

ديوان عنترة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

ديوان المعانى، أبو هلال العسكرى، القاهرة، ١٣٥٢هـ

ديوان الفرزدق، شرح على قاعود، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٩٧هـ، ١٩٨٧م.

ديوان القطامى، تحقيق دكتور إبراهيم السامرائى، بيروت، ١٩٦٠م.

ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، هـ، ١٩٦٢م، الطبعة الأولى.

ديوان قيس بن الملوح العامرى، جمع الامام أبى بكر الوالبى.

ديوان كثير عزة، جمع دكتور إحسان عباس، بيروت، ١٣٩١، ١٩٧١م.

يوان الكميت بن زيد الأسدى، تقديم محمد شاكر النابلسى

يوان لبيد ربيعة العامرى، بيروت

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٤م.

ديوان مروان بن أبى حفصة، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة.

يوان المتنبى، شرح عبد الرحمن البرقوقى، بيروت

يوان النابغة الذبيانى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٥م.

ديوان الهذليين، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

و الرمة شاعر الحب والصحراء، دكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٧٠

يل الأمانى، أبو على القالى، القاهرة، ١٣٢٤هـ

راجعات فى الآداب والفنون، عباس محمود العقاد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٦.

رسائل بديع الزمانى الهمذانى، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

سائل الجاحظ، جمع حسن السندوبى، القاهرة، ١٩٣٣

رسالة الصاهل والشاحج، أبو العلاء المعرى، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، ثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

- رسالة الغفران، أبو العلاء المعرى، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، الطبعة الثانية، القاهرة، هـ، ١٩٨٤م.

- **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، معجم البلدان**، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، القاهرة، ١٩٣٦م.
- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد الرزاق جمعة، محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.
- **الروائع من الأدب العربي**، الجزء الأول، العصر الجاهلي، إشراف ومراجعة د. يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨٣م.
- **زهر الآداب وثمر الألباب**، أبو إسحق الحصري القيرواني، شرح الدكتور زكي مبارك، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ١٩٣١م.
- **شرح ديوان أبي الطيب المتنبي**، أبو العلاء المعري، معجز أحمد، تحقيق د. عبد الحميد دياب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- **شرح ديوان أبي نواس**، إيليا الحاوي، بيروت، ١٩٨٧م.
- **شرح ديوان جرير**، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مضافاً إليه تفسيرات أبي جعفر محمد بن حبيب، دمشق، بيروت.
- **شرح ديوان جميل بثينة**، سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، بيروت.
- **شرح ديوان الحماسة**، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق أحمد أمين، عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧١هـ، ١٩٥١م.
- **شرح ديوان الأخطل**، إيليا سليم الحاوي، بيروت، ١٩٧٩م.
- **شرم ديوان الخنساء**، بيروت.
- **شرح ديوان ذي الرمة**، غيلان ابن عقبة العدوي، تعليق سيف الدين الكاتب، أحمد عثمان الكاتب، بيروت.
- **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بس زيد الشيباني، ثعلب، القاهرة ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- **شرح ديوان صريع الغواني**، مسلم بن الوليد الأنصاري، تحقيق د. سامي الدهان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٥م.
- **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي**، محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٥م.
- **شرح ديوان الفرزدق**، شرح إيليا الحاوي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧م.
- **شرح ديوان كعب بن زهير**، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري، القاهرة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

- **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى**، تحقيق د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- **شرح ديوان امرئ القيس**، حسن السندوبى، القاهرة.
- **شروح سقط الزند**، تحقيق مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الإبيارى، حامد عبد المجيد، إشراف الدكتور طه حسين، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.
- **شرح المشكل من شعر المتنبى**، على بن إسماعيل بن سيدة، تحقيق مصطفى السقا، دكتور حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٧٦م، ١٩٨٠م.
- **شرح المعلقات السبع**، الإمام القاضى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزنى، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.
- **شرح المفضليات**، أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى التبريزى، تحقيق على محمد البجاوى، القاهرة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- **شرح القصائد العشر**، أبو زكريا يحيى بن على التبريزى، تصحيح عبد السلام الحوفى، بيروت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- **شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى**، أبى الفضل أحمد بن الحسين، بديع الزمان، الهمذانى، محمد محى الدين عبد الحميد، بيروت.
- **شعر الأحوص الأنصارى**، حققه عادل سليمان جمال، قدم له دكتور شوقى ضيف، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.
- **الشعراء المخضرمون**، دكتور عبد الحليم حفنى، القاهرة، ١٩٨٣م.
- **شعر خفاف بن ندبة**، جمع وتحقيق دكتور نورى حمودى القيسى، بغداد، ١٩٦٧م.
- **الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى**، دكتور عبده بدوى، القاهرة، ١٩٨٨م.
- **الشعراء الصعاليك، فى العصر الأموى**، دكتور حسين عطوان، القاهرة ١٩٧٠م.
- **الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى**، دكتور يوسف خليف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٦م.
- **شعر الصعاليك منهجه وخصائصه**، دكتور عبد الحليم حفنى، القاهرة، ١٩٧٩م.
- **الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجرى**، دكتور محمد مصطفى هدارة، القاهرة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- **شعر على بن جبلة، الملقب بالعكوك**، حققه دكتور حسين عطوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- **شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى**، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشى، دمشق، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٢م.

- **شعر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام**، دكتور النعمان عبد المتعال القاضى، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

- **شعر مروان بن أبى حفصة**، حققه دكتور حسين عطوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٢م.

- **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٢م.

- **الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية**، دكتور شوقى ضيف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٩م.

- **شعر الهذليين فى العصرين الجاهلى والإسلامى**، دكتور أحمد كمال دكى، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

- **شياطين الشعراء**، دكتور عبد الرزاق حميدة، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

- **الأصمعيات**، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعى، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦م.

- **المصون فى الأدب**، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، القاهرة.

- **المصون فى سر الهوى المكنون**، أبو إسحق إبراهيم بن على الحصرى القيراونى، تحقيق دكتور محمد عارف محمود حسين، الطبعة الأولى القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

- **طبقات الشعراء**، ابن المعتز. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨١م.

- **طبقات النحويين واللغويين**، أبو بكر محد بن الحسن الزبيدى الأندلسى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤م.

- **التطور والتجديد فى الشعر الأموى**، دكتور شوقى ضيف، الطبعة الثامنة، القاهرة، ١٩٨٧م.

- **معجم الشعراء**، عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.

- **عصر المأمون**، دكتور أحمد فريد رفاعى، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

- **العقد الفريد**، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى، القاهرة، ١٣٥٩هـ، ١٩٤٠م.

- **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده**، أبو على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

- **عيوان الأخبار**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى، القاهرة، ١٩١٤م.

- **الأغانى**، أبو الفرج الاصفهانى، إعداد لجنة نشر كتاب الأغانى، إشراف محمد أبى الفضل إبراهيم القاهرة.

- **الفاخر**، أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق عبد العليم الطحاوى، مراجعة محمد على النجار، القاهرة، ١٩٧٤م.

- **المفصل فى تاريخ الأدب العربى**، أحمد الإسكندرى، أحمد أمين، على الجارم، عبد العزيز البشرى، أحمد ضيف الجزء الثانى، القاهرة، ١٩٣٦.

- **الفاضل**، المبرد، القاهرة، ١٩٥٦م

- **المفضليات**، المفضل بن محمد بن يعلى الضبى، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٨٣م

- **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب لفيروزبادى القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م

- **مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى وشرحها**، الشيخ محمد عبده، تقديم جمال الفيطانى، القاهرة ١٩٨٨م

- **كتاب البخلاء**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تصحيح أحمد العوامرى، على الجارم، القاهرة، ١٩٤٠م

- **كتاب شرح أشعار الهذليين**، صنعة أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، راجعة محمود محمد شاكر القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م

- **كتاب العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب**، ناصيف اليازجى، بيروت، ١٣٠٥هـ.

- **كتاب الأمالى**، أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٤هـ

- **كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى**، أبو تمام حبيب بن أوس الطائى، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، زاده فى حواشيه محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٦٣م.

- **الكامل فى اللغة والأدب**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، القاهرة، ١٣٥٥هـ. تحقيق لجنة من العلماء، ونسخة أخرى تحقيق دكتور زكى مبارك، القاهرة، ١٩٣٦م.

- **الممتع فى صنعة الشعر**، عبد الكريم النهشلى القيروانى، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

- **المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر**، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير الموصلى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٥٨، ١٩٣٩م.

- **من غاب عنه المطرب**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثالبى النيسابورى، تحقيق دكتور النبوى عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

- **المنتخب من أدب العرب**، الجزء الثاني، جمعة وشرحه طه حسين، أحمد الإسكندري، أحمد أمين، على الجارم، عبد العزيز البشرى، أحمد ضيف، القاهرة، ١٩٣٤م.
- **نقائض جرير والأخطل**، أبو تمام، تعليق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، ١٩٢٢م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تصحيح... أحمد الزين، القاهرة، ١٩٨٥م.
- **مهذب الأغاني**، محمد الخضرى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٦م.
- **تهذيب الكامل في اللغة والأدب السباعي بيومي**، القاهرة، ١٣٤١هـ، ١٩٢٣م.
- **الموازنة بين أبي تمام والبحترى**، أبو القاسم حسن بن بشر يحيى الأمدى البصري، محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٤٤م ونسخة أخرى تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، على بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى، القاهرة، ١٩٦٦م.
- **لسان العرب**، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى، القاهرة.
- **يتيمة**، الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٧٧ .

محتوى الدراسة